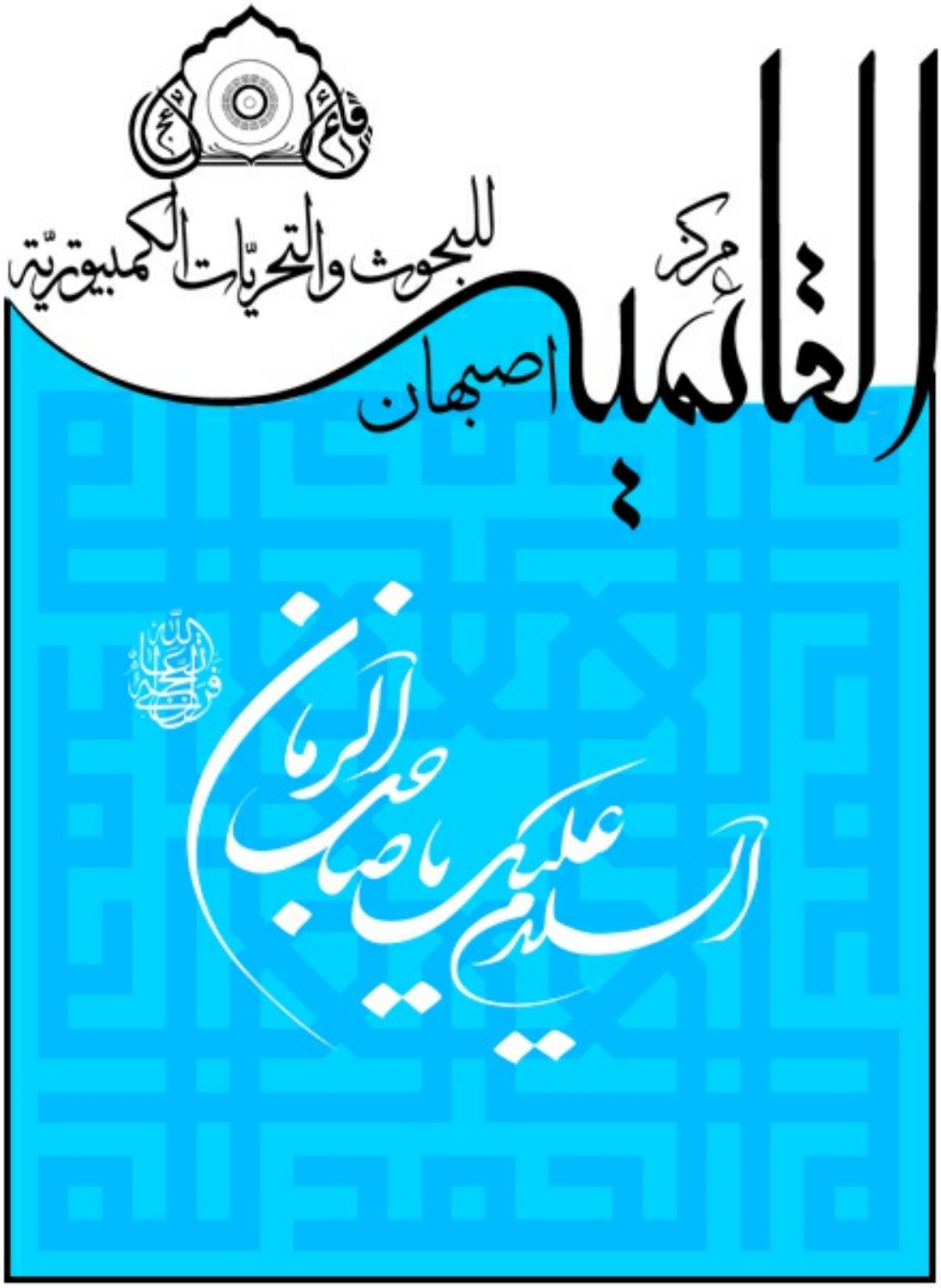

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

٥٠
نساء الطفوف
تأليف: فواطمة الموسى
كفاح الحداد

بسم الله الرحمن الرحیم

نساء الطفوف

كاتب:

محمد على الحلو

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

نساء الطفوف 11

اشارة 11

اشارة 11

الاهداء 15

مقدمة اللجنة العلمية 16

المقدمة 18

الفصل الأول: المرأة قبل الطفوف 23

اشارة 23

1 - المرأة فی العصر الجاهلی 25

2 - المرأة فی العصر النبوی (العصر الذهبی) 27

3 - المرأة فی عصر خلافة الشیخین 39

4 - المرأة فی العصر الأموی 54

الفصل الثانی: نساء الطفوف 68

اشارة 68

لماذا حمل الإمام نساءه وعیاله إلی کربلاء؟ 72

أدوار النساء فی ملحمة الطفوف 80

اشارة 80

1 - دور نصرة الثورة ودعمها بشتی الوسائل 80

ألف - دور حرائر أهل البیت فی نصرة الإمام الحسین علیه السلام ونصرة ثورته 80

باء - دلهم بنت عمیر 82

جیم - دور طوعة فی نصرة مسلم بن عقیل سفیر الإمام الحسین علیه السلام 86

دال - دور ام وهب فی نصرة آل البیت علیهم السلام 87

هاء - ام عمرو بن جنادة الانصارى 89
واو- دور مارية بنت منقذ العبدى 89
زاء - دور النساء النادبات على الإمام عليه السلام فى منع تعيين عمر بن سعد والياً على الكوفة 91
حاء - ام سلمة تبكى الإمام عليه السلام 92
طاء - مجالس العزاء 94
2 - دور المتابعة والحماية 94
3 - الدور القيمى 101
اشارة 101
ألف . الدفاع عن المقدس 103
باء . قيم حماية المرأة 108
اشارة 108
1 - منع الإمام الحسين عليه السلام النساء من القتال 109
2 - خاطب الإمام الأعداء بان لا يتعرضوا للنساء فهو الذى يقاتل 109
3 - حفر الخندق حول الخيام 110
4 - منع النساء من الخروج من الخيام حتى استشهاده عليه السلام 110
5 - مراعاة مشاعر النساء 111
جيم . ادب التعامل مع المصاب الجلل 115
دال . ايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة 118
اشارة 118
1 . الأم تحث ولدها على الشهادة لنصرة الإمام 120
2 . ام عمرو بن جنادة الانصارى 120
3 . دلهم تحث زوجها على الالتحاق بالحسين عليه السلام 120
هاء . القيم الانسانية والاخلاقية 121
اشارة 121
أ- قيمة الوفاء 121

ب - قيمة استنكار الظلم ـ 122
اشارة ـ 122
1 . موقف نساء ربيعة ومضر من عمر ابن سعد فى توليه الإمارة ـ 122
2 - موقف النوار ـ 122
3 - موقف العيوف ـ 123
4 - موقف نساء المدينة لما جاء خبر استشهاد الامام عليه السلام ـ 123
5- امرأة من بنى بكر بن وائل ـ 125
6- موقف أُم عبد الله ابنة الحر... ـ 125
7- ما ظهر من مواقف السيدة زينب عليها السلام مع ابن زياد ويزيد ـ 126
8- موقف امرأة فى قصر يزيد ـ 126
9- موقف نساء أُخريات لم يكنّ مواليات ولكن لم يدُرْ فى خلدهن ان يزيد سيقوم بارتكاب هذه الجريمة البشعة كزوجة يزيد ـ 126
ج - قيمة الصدق ـ 127
د - قيمة حفظ العز ـ 127
هـ - قيم العطاء ـ 127
و - قيمة الإيثار والتضحية ـ 128
ز - قيمة الصبر ـ 129
واو . قيم تكامل الشخصية ـ 130
اشارة ـ 130
أ - التكيف الذكى ـ 130
ب - التصميم والإرادة ـ 131
ج - الأمل بالمستقبل ـ 132
د - الثقة بالنفس ـ 132
هـ - الجرأة الشخصية ـ 132
4 - الدور الإعلامى ـ 133
اشارة ـ 133

المرحلة الأولی ----- 135
اشارة ----- 135
ألف - مجیء النساء إلی أرض المعرکة بعد الاستشهاد ----- 135
باء - عند باب الکوفة ----- 138
جیم - فی مجلس ابن زیاد ----- 146
المرحلة الثانیة من الدور الإعلامی ----- 150
اشارة ----- 150
محطات من خطاب السیدة زینب علیها السلام فی قصر یزید ----- 154
المرحلة الثالثة من الدور الإعلامی ----- 158
اشارة ----- 158
ألف - القسم الأول ----- 158
باء - القسم الثانی ----- 161
الدور الإعلامی فی المیزان ----- 166
5 - روایة المقتل الحسینی ----- 173
6 - اعلان الحزن العام (الحداد الرسمی) ----- 175
اشارة ----- 175
السبی.. المأساة الکبری ----- 177
الفصل الثالث: نساء الطفوف فی دائرة الضوء ----- 191
اشارة ----- 191
الموازنة بین أدوار الجنسین ----- 193
اشارة ----- 193
العنف السیاسی ضد نساء الطفوف ----- 195
التعامل مع الضغوط ----- 197
غیاب الشکوی ----- 199
المهارات الحیاتیة ----- 200

اشارة 200
1 - مهارات الحوار 200
2 - مهارة التعاون والمشاركة 201
3 - مهارة الاتصال الشفوى والتواصل اللفظى 201
4 - مهارة التعاطف 201
5 - مهارة الاقناع عبر تقديم الدليل والبرهان 201
6 - مهارة اتخاذ القرار وحل المشكلات 202
7 - مهارات إدارة المشاعر 202
الضبط العاطفى 202
الاستقلالية 206
نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح 208
اشارة 208
الإمام الحسين رائد الإصلاح 211
غياب أم حضور؟ 213
دور المرأة فى صناعة التاريخ 213
نساء بين النهضتين 219
ما بين نساء الانتظار ونساء الطفوف 219
نساء الطفوف.. القدوة الخالدة 228
السيدة زينب عليها السلام .. المثل الأعلى للمرأة المسلمة 228
نساء الطفوف ... القدوة الحسنة 230
الشهيدة بنت الهدى ..نموذج معاصر 233
كيف تبقى صورهم فى الذاكرة؟ 235
الفصل الرابع: سيدة الطف الأولى 239
اشارة 239
السيدة زينب بنت على بن أبى طالب عليهم السلام 241

اشارة 241
مناقبها الفاضلة 242
زواجها المبارک 243
زينب... المرأة الصابرة 244
تأملات فی خطاب السيدة زينب (عليها السلام) فی مجلس ابن زياد 256
اشارة 256
1 - الشجب والتأنيب والتقريع 257
2 - عاقبة الخذلان 258
3 - التعميم فی الخطاب 259
4 - الإمهال فی العذاب 263
5 - الإحباط 266
6 - علاقة الكوارث الكونية بسيّئات الناس 268
اشارة 268
الكوارث الكونية عند مصرع الحسين عليه السلام 269
الكوارث الكونية وعلاقتها بسيئات الناس فی القرآن 270
النعمة وعلاقتها بالتقوى 272
العلاقة بين العمل والجزاء 273
7 - ما يقدمه الإنسان بين يديه إلى الله 274
المصادر 279
المحتويات 281
تعريف مركز 296

نساء الطفوف

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ـــ وزارة الثقافة العراقية

لسنة 2010؛ 1665

الحداد، كفاح، 1959 - م.

نساء الطفوف / لكفاح الحداد[تدقيق ....، تقديم محمد على الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1432ق. = 2011م.

ص271. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 50)

المصادر: ص 263 - 264؛ وكذلک فى الحاشية.

1 . الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 - 61 ق. أصحاب - النساء. 2 . واقعة كربلاء، 61 ق. والنساء المسلمات. 3 . النساء فى الإسلام. 4 . النساء والمهدوية - الانتظار. 5 . عاشوراء - فلسلفة - روابط - النساء. 6 . زينب بنت على بن أبى طالب (س)، 6 -62ق. 7 . الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 - 61 ق. - النساء - دراسة وتعريف . ألف. الحلو، محمد على، 1957 - م.، مقدم ب. .... ج. العنوان.

4 ح 5 ن / 7509 / BP 41

تمت الفهرسة قبل النشر فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ص: 1

اشارة

ص: 3

نساء الطفوف

للباحثة الاجتماعية

كفاح الحداد

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

وحدة الدراسات التخصيصة فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

حقوق النشر محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1432هـ ـــ 2011م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الاهداء

إلى المولودة فى معقل العصمة والتقى ومهبط الوحى والهدى إلى

المرأة الصالحة

والمجاهدة الناصحة

والحرة الأبية

واللبوة الطالبية

والمعجزة المحمدية

والذخيرة الحيدرية

والوديعة الفاطمية

إلى سيدتى ومولاتى زينب بنت أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهم السلام

اقدم هذه الوريقات

كفاح الحداد

مقدمة اللجنة العلمية

لم تكن عاشوراء حكايـة عابرة يسـتمتع بها قراءها، ولا هى بالحادثة الغابرة يسـتذكرها قصاصـها، ولا هى واقعة تقادم عليها الزمان فيرتجعها ذكرى من ذكريات الزمن المهدور... بل غدت عاشوراء أنشودة الأجيال على مر العصور، وباتت واقعتها صانعة الأبطال تسـتنزل الذكريات مصاغة بصورها الملائكية يوم كانت الأنوثة فى ربواتها تستصـرخ الشـهامة فتحيلها ثورة متلبسة بلبوس الشخوص، ومختالة بعنفوان التحدى وإعجـاز الغيب يـدفعها صانعـةً لملاحم الـذكريات... هـذه هى عاشوراء تترجل الخطى فى مواقف يسـتجمعها الكتاب فى باقـةٍ عطرةٍ من الأسـماء: زينب بنت على، فاطمة، سكينة، أم كلثوم، الرباب ومن خلف هذا الجمع الهاشمى تستدرج الكاتبة كواكب التضحية، دلهم بنت عمرو، طوعة، مارية بنت منقذ، النوار إلى غيرها من أريج باقة الفداء التى غدت تسطع فى أفق الخلود.

ان الكتابـة عن عاشوراء مسألـة فـذة تحتاجُ معها إلى سبر أغوار تاريخيـةٍ وأخلاقيـة واجتماعيـة خصوصاً إذا كانت الكتابة فيها عن أشـخاص ملكت نفوسـهم طاعةً إلهية تتمثل فى طاعة الإمام وليبلغوا عنفوان التضحية والفداء بما قدموه وما سجلوه من مواقف ومثل عليا يعجز عندها الوصف، ويخشعُ دونها الطرف، ولا يبقى للمدح فى شموخها وكبريائها الا الانزواء فى خضم هذا الموج الهادر من الولاء والفداء.

لقـد جـالت أقلامـ البـاحثين وحاولت همم المؤلفين أن يقفوا على أعتاب الملحمـة العاشورائيـة فلم يجـدوا إلا البقاء خارج الحقيقـة لأن عاشوراء سرٌ مكنون لا يناله إلا أصحابها.

لقـد حرصت الباحثـة أن تقـدمَ الطفوفَ بنسائه لنقرأهُ على مُكثٍ، ونسـتذوقه على حقيقته المنزّلـة من فصول المعجزات، ولم يـدّخر البحث جهـدا فى تقـديم هـذه النماذج التى اختلطت بـدمائها مواقفها، وتجـذرت من قيمها أفكارها، واسـتحالت تتلظى فى وهاد عالم يرفضُ قيم التفانى، ويسترخصُ مبادئ الولاء ويعـجُ بأفكارٍ خاويـة خاليـة من المكرمات.. والبحث فى هـذا قـدّم نموذج المعرفـة بوحدة واحدة لكنها بتجليات عدة تسترخص معها التضـحيات وتسـتجلب نساء الطفوف فى تألقِ الإبداع، وعنفوان العطاء الهاشمى، والألق الملكوتى الغابر فى غمرات الدهور...

عن اللجنة العلمية السيد محمدعلى الحلو

10 شعبان 1431هـ - النجف الأشرف

المقدمة

فی تاریـخ الاسـلام الممتد وعلی مدی قرون عدیدة نجد ان صورة المرأة تسـطع فیه إلی جانب صورة الرجل حتی فی اشد المراحل حراجة وخطورة وصعوبة، فهو لم یک تاریخا ذکوریا محضاً کما لم یک تاریخا انثویا محضا بل هو تاریخ الانسانیة المشترکة بصورتها الآدمیة لکلا الجنسـین. فمنـذ ظهوره رفض صـنادید قریش ورجالاتهم الإیمان بالدعوة المحمدیة علواً واسـتکباراً فکانت السـیدة خدیجة هی المسـلمة الأولی والمؤمنة الأولی التی أحنت برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقدمت الدعم المادی للرسالة الجدیدة.. وعاشت معه أیاماً صعبة تحملت فیها ما جری علی المسـلمین من تعذیب واضـطهاد علی ید المشرکین. وذاقت ألم الجوع والحرمان (وهی الثریة الغنیة) فی شعب ابی طالب حتی قضت نحبها فی عام سـماه الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم بعام الحزن.. وکان یـذکرها کثیرا ویعرّف بمکانتها فی نفسه. فقد قال صلی الله علیه وآله وسلم عنها فی رده علی زوجته عائشة التی انکرت علیه هذا الذکر الکثیر للسیدة خدیجة سلام الله علیها بالقول: وهل کانت إلا عجوزاً ابدلک الله خیراً منها فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«لا والله ما ابـدلنی الله خیراً منها آمنت بی إذ کفر الناس وصـدقتنی إذ کـذّبنی الناس وواسـتنی فی مالها إذ حرمنی الناس ورزقنی الله منها أولاداً إذ حرمنی أولاد النساء»(1).

1- الصقلانی، الاصابة فی تمییز الصحابة.

وقد كانت المرأة حاضرة مع الرجل فى تدعيم الدولة الاسلامية الفتية من خلال البيعة والهجرة والمشاركة فى الحروب والاقبال على التعلم الى غير ذلک. ثم استمرت الدعوة الإلهية لتمر على منعطف صعب وشديد الخطورة فكانت صورة الزهراء عليها السلام وهى تطوف على بيوت المسلمين تذكّرهم بعهدهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى فى حجة الوداع وكان علياً عليه السلام معها يقود بغلتها ويشد ازرها. وما وهنت عليها السلام فى دفاعها عن حقها وعن تبيين المسار المنحرف الذى دخلت فيه الامّة حتى آخر لحظات حياتها.. ثم كان رحيلها وتغييب قبرها ليكون وثيقة احتجاج خالدة على مدى الزمان!..

ثم كان المنعطف الفيصل حينما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع نساءه وعياله فكانت ملحمة الطف العظيمة «يوم شبهه البعض بيوم القيامة»(1) لما كان فيه من مصائب وكروب يشيب لها الولدان شيباً. وكانت القضية التى قادها الإمام الحسين عليه السلام والتى تمثلت فى طلب الإصلاح لهذه الأمة العظيمة بكل امتدادتها.. والتى تجسدت بشكل ملحمة عظيمة لا مثيل لها قبل وبعد الثورة ..كانت هذه الثورة قد أظهرت الادوار العظيمة لنساء الطفوف فى الواقعة وبعدها وعلى رأس هؤلاء اخت الإمام الحسين عليه السلام السيدة زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام والتى كانت لها الأدوار الريادية فى قيادة القضية الحسينية وفى نشر أفكارها بعد استشهاد الإمام وصحبه الكرام.

فى كربلاء نقف وباجلال على تضحية الرجل والمرأة على حد سواء، فكربلاء صورة لتجلى إخلاص المرأة والرجل، وتنافس المرأة مع الرجل الى نصرة الدين والى حماية مقدساته ولكن كل بطريقته التى تتناسب مع خلقته وعظمته ومع خط السير الربانى.

1- محمد جواد مغنية فى كتابه الحسين وبطلة كربلاء.

لقد كانت كربلاء صورة رجولية عليا فى التضـحية والشهادة والفداء وصورة نسائية عليا فى الصبر والصمود وفى حمل هموم الرسالة والدفاع عنهـا وعن كل المقـدسات التى جاهـد من أجل صـيانة قيمها الساميـة الابطال من الرجال والنساء مع الحفاظ على كل القيم التى آمن بها الرجل والمرأة على حد سواء.

وبعبارة أخرى فاننا نجد فى هذه الواقعة سـمواً إنسانياً رفيعاً عالياً فالإنسان الخليفة هو الحاضر الذى رسم ايدولوجية المعركة وعرّف باهدافها وقيمها.. ومع ارتقاء هويـة الإنسان – الإنسانيـة بشـقيها الذكر والانثى-. تبدو الواقعة وكأنها تجسـيد لقيم الإنسان بعيداً عن التقوقع فى دائرة الخصوصية الجنسية المحدودة.

وإذ يرى الكثير من المفكرين الإسـلاميين والباحثين بانه لولا وجود النساء فى هـذه المعركـة لما رسـخت القضـية العاشورائية فى الوجدان الشعبى ـــ وهذا لا يعد تغيباً لدور المعصوم عليه السلام فى هذا الشأن وغيره ـــ.

ولما عرفنا أصـلاً أسـباب الثورة وأهدافها وشخوصها فقد ضاعت الكثير من الوقائع المهمة فى التاريخ ولسبب بسيط هو انها لم تجد الألسنة التى تعبر عنهـا (والوكالاـت الخبريـة أو الفضائيـات) التى تبثها إلى الرأى العام لتعرفه بها وهـذا عكس ما حصل مع ملحمـة كربلاء حيث حملت النساء فيها رسالة الإعلام بنبل وآباء وبوضوح بعيداً عن التشويه والتزييف وطمس الحقائق.

والحق ان دور المرأة فى الثورة الحسـينية كان دوراً واسعاً متعدد الوجوه متعدد العطاءات كما انه كان دوراً ثقيلاً فى زمن عسير وفى منعطف وعر من التحـديات والمصاعب التى عاشـها أهل البيت عليهم السـلام بل وعاشـتها رسالـة الإسـلام كلها.. ولكن هذا الدور العظيم الذى جعله البعض عدلاً لدور الشهادة(1) لم يلاقِ من التعريف

1- يراجع كتاب الخطاب الحسينى للشيخ محمد مهدى الاصفى.

والنشـر بشـكل يتلائم مع عظمة شـخوصه وأحداثه فما أكثر الكتب التى تناولت الحديث عن أسـباب الثورة وأهدافها وشخوصها – وهو أمر مهم ومطلوب – لكن بين هـذا الكم الكبير من الأـوراق المنشورة.. كم نجـد تعريفاً لهـذا – العـدل – وكم نجـد توضـيحاً لـدور النساء فى المعركـة وبعـدها؟.. ربما لا نجـد إلا همساً!! .. ولهـذا أرى – ويرى غيرى أيضاً – ان دور المرأة فى النهضة الحسـينية قد تعرض للاجحاف والظلم والتهميش وسوء الفهم حـتى من قبـل انصـار الثورة وحملـة المنبر الحسـينى .. فلقـد رسـمنا لهن صورا مسوّرة بسور العجز والـذل والانكسار المحبط وحصـرناهن فى دائرة الرثاء والأسـى والحزن ونسـينا ان هؤلاء [وعلى رأسـهن السـيدة زينب عليها السلام] كن قمماً فى الصـلابة وقوة الإرادة والثقة بالنفس إلى غير ذلک من الصفات المهمة.. وما اكثر الباكين والنادبين الذين يبكون هؤلاء النساء وعلى ما جرى لهن من مصـائب جمـة لكنهم يقتلون هؤلاـء النساء فى اليوم والليلـة مئات المرات من خلال أميـة نساءهم وهيمنـة الجهل والتخلف على أوضـاعهن وحبسـهن فى سـرادق الـوهم والتخلف.. وسـاهمت النسـاء فى قتـل سـبايا الطفوف من خلاـل افراغهن من كـل محتوى فكرى وحضارى وحصر وجودهن فى بكاء انفعالى جامد غير قادر على هز الشخصية الراكدة لتخرج رطباً جنياً.

من ذلک كله نرى أنفسنا بحاجة إلى الارتباط بهؤلاء النساء العظيمات وبمواقفهن وأدوارهن وذلک لكى:

1 – نفهم أنفسنا ونفهم هويتنا الإنسانية والرسالية.

2 – نفهم أدوارنا ومسؤولياتنا وما هو المطلوب منا.

3 – نفهم دورنا المطلوب فى نصـرة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشـريف والتمهيد لظهوره وهو الذى سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

4 – ولكى نستقرئ منظومة القيم التى عندنا ونرى إلى أى مدى هى متوافقة مع قيم نساء الطفوف.

ومن هنا جاءت فكرة كتابة هذه الوريقات المحدودة التى هى:

هى تذكرة بهؤلاء النساء العظيمات فى التاريخ.

وهى دعوة للتأسى بهن والاقتداء بمنهجهن.

ولا ـ ادعى القدرة على عرض المطلوب فما تفلح قطرة من بحر المعرفة فى التعريف بالبحر كله لكنها بداية متواضعة ولعلها تكون سبباً للمزيد من البحوث.

وأود ان أشير الى ان جلّ الحديث فى هذا الكتاب سيكون عن نساء أهل البيت عليهم السلام، وخاصة عن السيدة زينب عليها السلام، باعتبارها سيدة الطف الأولى آملين ان نوفق فى التاسيس لبرنامج اعادة قراءة التاريخ برؤى معاصرة.

((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)).

كفاح الحداد

الفصل الأول: المرأة قبل الطفوف

اشارة

ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى 4 مراحل وهى:

1- المرأة فى العصر الجاهلى.

2- المرأة فى العصر الذهبى (العصر النبوى).

3- المرأة فى عصر خلافة الشيخين

4- المرأة فى العصر الأموى.

1 - المرأة فى العصر الجاهلى

عُرف المجتمع الجاهلى بظلمه للانسان بصورتيه الذكر والانثى .. فقد عاش الرجل فيه مرارة الرق وامتهان الكرامة وتغييب الحقوق الانسانية وكان حال المرأة اشد ايلاما واعظم جرحاً.. فقد كانت مظالم النساء فى العصر الجاهلى كثيرة تبدأ بالوأد ولا تنتهى عند العضل والظهار. وكانت تحرم من ارثها ولكنها فى نفس الوقت تصبح سلعة ومتاعا يورث كما يورث أى متاع! وللوارث الحق فى البيع والتزويج والحبس حتى الموت أيا كانت!. ولم تكن تملك حق اختيار الزوج أو حق التصرف فى أموالها، وكانت تعانى من الوأد الذى كان موجوداً عند قبيلة واحدة ثم اصبح عادة وعرفاً عند باقى القبائل!. والمؤودة المقتولة هى (الجارية تدفن حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها

أى يثقلها حتى تموت) وكان الوأد أحياناً بسبب الفقر وغالباً ما يعود السبب إلى حمية الجاهلية حيث كانت القبائل العربية يغير بعضها على بعض ولكى لا تصبح البنات اسارى عند الاعداء عُمد إلى قتلهن وهن صغار، وكان الوأد يتم بعدة طرق منها ان المرأة فى الجاهلية كانت إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها فان ولدت جارية رمت بها فى الحفرة وردت التراب عليها وان ولدت غلاماً حبسته ومنه قول الراجز:

سميتها إذ ولدت تموت

والقبر صهر ضامن زميت

فعد القبر صهر ضامن زميت (أى وقور).

وفى تفسير القرطبى والطبرى عن قتاده قال: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغدو كلبه فعاتبهم الله على ذلک وتوعدهم بقوله:(1)

((وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)).(2)

ولهذا كان أحدهم يغتم إذا ولدت له بنتاً، وإلى هذا يشير القرآن الكريم:

((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)).(3)

(فالإنسان الجاهلى كان يئد ابنته التى من صلبه ويتبنى ابن الفجور ويلحقه به!) وكان القوى يأكل الضعيف ويحّرم الرجال اطعمة على النساء لكنها حلال عليهم، وكان القوم يتكسبون بفروج الاماء والجوارى حتى شاعت ظاهرة الرايات المنصوبة فى الأسواق وعلى الأبواب لدعوة الناس إلى الفجور والبغاء.(4)

1- السيد مرتضى العسكرى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ص 45.

2- سورة التكوير، الآية 8-9.

3- سورة النحل، الآية 58 - 59.

4- السيد مرتضى العسكرى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ص 45.

ولم تحصل المرأة على ما يعينها على بناء شخصيتها وذاتها من العلم والمعرفة أو العمل النظيف إلى غير ذلک، وإلى وضع المرأة فى العصر الجاهلى يشير العلامة الطباطبائى رحمه الله فى تفسير الميزان إلى أحوال المرأة قبل الإسلام من خلال عدة امور منها:

1 . انهم كانوا يرونها إنساناً ضعيف الإنسانية منحطاً لا يؤمن شره وفساده لو اطلق من قيد التبعية واكتسب الحرية فى حياته.

2 . انهم كانوا يرون فى وزنها الاجتماعى انها خارجة من هيكل المجتمع المركب غير داخلة فيه وانما هى من شرائطه التى لا غنى عنها كالمسكن لا غنى عن الالتجاء إليه.

3 . انهم كانوا يرون حرمانها من عامة الحقوق التى امكن انتفاعها منها الا بمقدار يرجع انتفاعها إلى انتفاع الرجال القيمين بأمرها.

4 . ان أساس معاملتهم معها فيما عاملوا هو غلبة القوى على الضعيف وبعبارة أخرى قريحة الاستخدام.

2 - المرأة فى العصر النبوى (العصر الذهبى)

وهو عصر الإسلام ويبتدء من ظهوره فى مكة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام 11هـ فى المدينة. وإنما سُمّى بالعصر الذهبى لأنه العصر الوحيد الذى طبق فيه الإسلام وبالتالى فهو العصر الوحيد الذى حصلت فيه المرأة على حقوقها السياسية والثقافية والاجتماعية كما كان للمراة دور واضح فى الحياة العامة وفى تغيير الكثير من العادات والقيم التى كانت سائدة آنذاک. ويمكن القول ان المرأة فى هذا العصر بدأت تعرف ذاتها ونفسها وتسعى لبناء شخصيتها وفق آيات القرآن الكريم وبدأت تتسابق مع الرجل لتحصيل سعادة آخروية مطلوبة.

وباجمال عام يمكن ان نتناول ما أحدثه الاسلام من تغيير فى وضع المرأة الذاتى والعام من خلال عدة أمور منها:

انه اعاد إليها اعتبارها الإنسانى الذى افتقدته على مر التاريخ فمن ناحية اعتبرها الاسلام صنو الرجل فى الخلق ولا تمايز بينهما فى أصل الخلقة والتكوين، قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)).(1)

فالإنسان واحد وله صورتان صورة المرأة والرجل ولا فضل لاحدهما على الآخر إلا بالتقوى قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).(2)

وهاجم الإسلام بشدة عادات الجاهلية التى تؤذى المرأة فهاجم الوأد هجوماً شرساً. قال تعالى:

((وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ)).(3)

واعلن احتجاجه على قتل الأولاد بسبب الفقر فالله هو الرزاق الكريم. قال تعالى:

((وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا)).(4)

1- سورة النساء، الآية 1.

2- سورة الحجرات، الآية 13.

3- سورة التكوير، الآية 11.

4- سورة الاسراء، الآية 31.

بل ان القرآن الكريم هاجم وبشدة الكراهة التى يظهرها الآباء عند ولادة البنت، قال تعالى:

((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)).(1)

وحرم القرآن التعامل مع المرأة على انها متاع يورث كما تورث الامتعة والمواشى حيث كان الوارث يتحكم فيها كيفما يشاء فله الحق فى ان يعضلها من الزواج أو يزوجها من يشاء أو يبتز مالها قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)).(2)

واعطاها الحق الكامل فى الاحتفاظ بمالها وثروتها قال تعالى:

((لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)).(3)

و منحها من الحقوق ما للرجل قال تعالى:

((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)).(4)

ولأنه اعتبرها إنساناً كاملاً كالرجل فهى إذاً كائن مكلف وعليها ان تؤدى ما عليها من الطاعات والعبادات ولها من الثواب ماله وعليها من العقاب ماعليه كما انه سبحانه وتعالى بيّن مقاييس التفاضل بين الرجال والنساء سواء بين الجنس الواحد أو

1- سورة النحل، الآية 59.

2- سورة النساء، الآية 19.

3- سورة النساء، الآية 32.

4- سورة البقرة، الآية 228.

بين الجنسين وهى مقاييس اكتسابية لا تقوم على الجنس أو الخلق أو الصورة أو النسب الى غير ذلک من الاعتبارات الدنيوية بل تقوم على اساس الإيمان والعمل الصالح والتقوى قال تعالى:

((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).(1)

وقال أيضاً:

((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)).(2)

ومدح القرآن الرجال والنساء لا للذكورة أو الانوثة بل لمؤهلاتهم التكاملية ولايمانهم.

قال تعالى:

((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)).(3)

وهاجم القرآن من يتعرض للمؤمنين والمؤمنات بالاذى على حد سواء قال تعالى:

1- سورة الحجرات، الآية 13.

2- سورة النحل، الآية 97.

3- سورة الاحزاب، الآية 35.

((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)).(1)

وكشف لهم عن صورة الآخرة وعرفهم بالنور الذى سيميزهم عن غيرهم، قال تعالى:

((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)).(2)

وجعل موازين الفلاح قائمة على الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورسم ابعاد العلاقة بين الرجل والمرأة بانها علاقة ولاء من اجل خدمة دين الله، قال تعالى:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)).(3)

وجعل الخيبة فى عكس ذلك تماماً خيبة واضحة لكلا الجنسين، قال تعالى:

((الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)).(4)

وقال أيضاً:

((وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا)).(5)

1- سورة الاحزاب، الآية 58.

2- سورة الحديد، الآية 12.

3- سورة التوبة ، الآية 71.

4- سورة التوبة، الآية 67.

5- سورة التوبة، الآية 68.

وقال أيضاً:

((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)).(1)

والقى بمسؤولية اعالة المرأة وتأمين نفقاتها على الرجال وخفف عليها فى عبادتها فهى لا تقضى صلاتها ولكن تقضى صومها، بل انه تعهد لها بالحماية والرحمة كما جاء فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ان الله تبارک وتعالى على الاناث أرأف منه على الذكور».(2)

وضربها الله مثلاً للرجال والنساء على حد سواء قال تعالى:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَکَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)).(3)

((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ)).(4)

وكرّم الإسلام الأم وجعل الجنة تحت أقدامها وامر ببرها والاحسان إليها. فقد جاء فى الحديث الشريف:

«الجنة تحت أقدام الأمهات».

وقال تعالى:

1- سورة الحديد، الآية 13.
2- الكلينى، الكافى، ح 6، ص 6.
3- سورة التحريم، الآية 11-12.
4- سورة التحريم، الآية 10

((وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ)).(1)

ومن محصلة ذلک کله کانت (النساء شقائق الرجال) کما عبر الحدیث الشریف فبدأت المرأة المسلمة تشعر ان لها کیاناً مستقلاً وان علیها واجبات ولدیها حقوق وانها تتنافس مع الرجل من أجل الوصول إلی رضا الخالق وتحصیل النعیم الاخروی.

((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِی نَعِیمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِکِ یَنظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِیمِ (24) یُسْقَوْنَ مِن رَّحِیقٍ مَّخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْکٌ وَفِی ذَلِکَ فَلْیَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)).(2)

وبهذا بدأنا نلمس حضوراً جدیداً للمرأةلم یکن سابقاً فقد شارکت فی البیعة (آیة 13، سورة الممتحنة)، وشارکت فی الهجرة (الآیة 10، سورة الممتحنة)، وکانت حاضرة فی الحروب والغزوات فهذه امیمة بنت القیس بن ابی الصلت الغفاری تعالج مرضی وجرحی المسلمین وتلک نسیبة المازنیة تقاتل فی المعرکة دفاعاً عن رسالتها ودینها وتحامی عن رسول الله یوم أحد وکانت تقی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم حتی اصابتها جراحات کثیرة.. یقول الواقدی فی المغازی:

وکن جئن (بعد معرکة أحد) أربع عشرة امرأة منهن فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یحملن الطعام والشراب علی ظهورهن ویسقین الجرحی ویداوینهم.

کما ظهر خطاب جدید للمرأة فبدأت مطالبات وتصریحات واخذت النساء المسلمات یطرحن افکارهن وما یجول فی خاطرهن علی القیادة العلیا المتمثلة بالرسول

1- سورة لقمان الایه 14.

2- سورة المطففین، الآیات 22 - 26.

صلى الله عليه وآله وسلم دونما ادنى حرج واصبحت المرأة تطالب بحقوق وامتيازات أكثر ومن هذه الصور مطالبة اسماء بنت يزيد الانصارية، فقد جاء فى المأثور انها اتت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو بين اصحابه صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت له: بأبى أنت وأمى انى وافدة النساء إليک، واعلم نفسى لک الفداء انه ما من امرأة كائنة فى شرق ولا غرب سمعت بمخرجى هذا إلا وهى على مثل رأيى، ان الله بعثک بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بک وبالهک الذى ارسلک، وإنّا - معشر النساء - محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم - معشر الرجال - فُضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلک الجهاد فى سبيل الله. وان الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم اثوابكم وربينا لكم أولادكم فما نشارككم فى الأجر يا رسول الله؟

التفت النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وقال: هل سمعتم مقالة امرأة قط احسن من مساءلتها فى أمر دينها من هذه؟(1) فاجابه الصحابة: يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدى إلى مثل هذا.

ومطالبة أم سلمة اذ تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء فنزلت الآية:

((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ

1- الطباطبائى، تفسير الميزان، ج 2، ص 350.

تَجْرِی مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)).(1)

وهذه الآیات نزلت فی رکب الفواطم (فاطمة بنت اسد، وفاطمة بنت محمد صلی الله علیه وآله وسلم، وفاطمة بنت الزبیر) اللائی هاجرن مع علی بن أبی طالب بعد الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، ولحقت بهم فی ضجنان أم ایمن ونفر من ضعفاء المؤمنین فساروا وهم یذکرون الله فی جمیع أحوالهم حتی لحقوا بالنبی صلی الله علیه وآله وسلم.(2)

یروی البخاری ومسلم عن أبی سعید الخدری قال: «جاءت امرأة إلی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت: یا رسول الله! ذهب الرجال بحدیثک، فاجعل لنا من نفسک یومًا نأتیک فیه، تعلمنا مما علمک الله. قال: اجتمعن یوم کذا وکذا، فاجتمعن، فأتاهنَّ النبی صلی الله علیه وسلم، فعلمهنَّ مما علمه الله. فهذه امرأة من الصحابیات تأتی الرسول صلوات الله علیه بجرأة أدبیة مشکورة وتخاطبه برباطة جأشٍ وتعرض علیه مطالیبها ومطالب النساء الاخریات وتحظی بالاجابة!. وهذا بحد ذاته ارتقاء فی سلم التطور الفکری والوعی النسائی.

وبدأت المرأة تشارک فی التغییر الاجتماعی عبر ازاحة الظواهر السلبیة التی کانت موجودة آنذاک کظاهرة الظهار کما ورد فی سورة المجادلة:

((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجَادِلُکَ فِی زَوْجِهَا وَتَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَاللَّهُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَکُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (1) الَّذِینَ یُظَاهِرُونَ مِنکُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ

1- سورة آل عمران، الآیة 195.

2- الطباطبائی، المیزان، ج 4، ص 95.

أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِی وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَیَقُولُونَ مُنکَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ)).(1)

وإذا كانت بداية التغيير الإنسانى تبدأ من تغيير العقائد والأفكار فمعنى ذلک ان العقيدة الإسلامية قد حملت أساس التغيير الأولى للمرأة والرجل على حد سواء، فلم تنطلق المرأة بمفردها نحو الكمال والتكامل بل كانت مع الرجل فى مسيرة الدعوة والتزكية، فإذاً هو تغيير شامل كاسح لكل القيم الجاهلية التى تُبنى على أساس الصورة والجنس، ولئن كان الإسلام قد رسم اطار الحياة الخاصة للمرأة فى دائرة حياتها الزوجية والاسرية فكانت هناک تباينات ظاهرية فى بعض الحقوق فان هذا لا يعد موشراعلى التمييز ضد المرأة لان الإسلام ينطلق من رؤية شاملة واسعة للمجتمع كله وعلى اساس العدالة والمساواة وليس المساواة فقط (وان كانت المطالبة الان تدور حول التشابه قبل المساواة والعدالة!).

وبهذا كان ظهور الإسلام منعطفاً كبيراً فى حياة المرأة والرجل على حد سواء.. فالإنسان الجاهلى الذى آمن بالاسلام اخذ يعيش همَ الرسالة والدين.. واصبح ذو هدف عالمى فى نشر الإسلام فى ارجاء المعمورة، وشعر الرجل والمرأة بانهما معنيان بشؤون المجتمع واعمار الكون وان الارتقاء الذاتى والاجتماعى يتحقق عن طريق تبنى القيم الدينية العليا وليس على أساس المتعة المادية الرخيصة أو العادات الجاهلية.

وفى هذه الحقبة الزمنية القصيرة لمعت اسماء فى سماء الرسالة وازهرت نجوم لا تضاهى وكانت هؤلاء النساء هن القدوة الحسنة الصالحة للاقتداء وهن يعبرن عن الإسلام كمنظومة صالحة لقيادة الأمة واعداد النموذج النسائى الرفيع المتسامى على الشهوات والغرائز والذى يعيش غايات عليا تتمثل فى رضا الله وتحصيل الدار الآخرة

1- سورة المجادلة، الآية 1-2.

ونصـرة الرسالة.. وتأتى السـيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين كنموذج سامى لامرأة ثرية انفقت ما لديها من أجل نصرة عقيدة امنت بها، نموذج لاـمرأة قويـة الشخصـية صـمدت أمـام حراب المجتمع وبغض نسـاءه وواست فقراء المسـلمين بمـا عاشـته من جوع أيـام الحصار القاسى...

وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نجماً زاهرا فى سماء العقيدة. هذه المرأة التى عاشت عمراً قصيراً لكنها كانت مع الرسالة وتعيش هم الرسالة كله حتى سمّاها أبوها النبى القائد صلى الله عليه وآله وسلم بأم أبيها.. فقد كانت الزهراء نموذجاً لامرأة تشارک فى الحياة الثقافيـة من خلال ما كان لـديها من حلقات ثقافية تقيمها لنساء المدينة حيث تعلمهن شؤون دينهن وترد فيها على اسئلتهن(1).

ثم كانت هى النموذج السياسـى من خلال مشاركتها فى حمل الهم السياسـى وكانت هى النائبة عن النساء المسلمات فى مؤتمر المباهلة. ثم انها عليها السـلام كانت ذات حضور اجتماعى واسع تشـهد لها به سورة الدهر فيما ورد فى فضائلها الكثيرة التى لا مجال للحديث عنها الآن، بل انه حتى فى طريقة تعامل الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم معها فى اكرامه لها وقيامه لها واعانته لها فى شؤونها البيتية لهونموذج لتبديل صورة الكراهة التى كانت تلاقى بها الانثى فى المجتمع الجاهلى الى صورة انسانية عظيمة.

ان هذه النماذج العليا كانت تعبيراً واضح المعالم عن اطروحة الرسالة وما جاء به الإسلام الجديد بالنسبة للمرأة وما يريد أن تكون عليه.

وكانت هناک نماذج نسائية رفيعة كسمية أم ياسر.. الشهيدة الاولى.. والتى

1- فكانت أول المدارس الثقافية فى الإسلام فى المدينة وبذلک قادت الحركة الفكرية الأولى للنساء المسلمات.

يبشـرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجها وولدها بالقول: صبراً آل ياسر ان موعدكم الجنة.. ربما لم تصل سمية إلى مرتبة الوعى الفكرى الموجود حالياً عند نساءنا لكنها جسدت إيمانها فى صورة خالدة وفى سلوك عملى مثمر.

وواجهت هـذه السـيدة كما واجهت خديجة عليها السـلام وغيرها من المسـلمات الأوائل شتى أنواع العنف السياسـى القاسـى ضد المرأة المسلمة – كما هى الحال فى الرجل – لكنها كانت ذات ارادة قوية فى الله وكشفت عن صلابتها وصمودها امام التحديات.

وهـذه «نسـيبة المازنيـة» التى كـانت تخرج مع رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فى غزواته، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بنى، إلى اين تفر عن الله وعن رسوله، فردته.

فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف أبنها، فحملت على الرجل فقتلته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارک الله عليک يا نسيبة.

وكانت تقى رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى أصابتها جراحات كثيرة.(1)

ويمكن القول ان هذه الصور العليا للنساء قد اوضحت للمرأة ما لها وما عليها من حقوق وواجبات ومسؤوليات وبالتالى اخرجت المرأة من اطار الاسـتغراق الـذاتى والانغماس فى شؤون الحياة الخاصـة إلى أفق الحياة العامـة التى هى للجميع رجالاً ونساءاً وبذلک قدّمن النموذج العملى للصورة التى يريـدها الإسـلام للمرأة المسـلمة.. والتى هى صورة عليـا لا تسـتغرقها الشـهوات والملـذات بل تتسامى فى حجابها وعفافها وفى طلبها للعلم وتبحث فى الدائرة الحياتية الواسعة عن ميادين سبق مع الرجل المسلم لتحصيل رضا الله والفوز بالجنة.

1- عن سفينة البحار، ج2، ص 585.

3 - المرأة فی عصر خلافة الشیخین

یبدأ هذا العصـر منذ وفاة الرسول صلی الله علیه وآله وسلم عام 11هـ حتی استشـهاد أمیر المؤمنین علیه السلام فی عام 40هـ.. یتمیز هذا العصـر بانه یبتـدئ باحتجاج شدیـد اللهجـة من قبل الزهراء بنت الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم علی الخلیفة الأول، تشارکها فی هذه المواجهة مفردات من النساء مع مفردات رجالیة بقیت ثابتة علی عهدها لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم الغدیر.

وقـد کان احتجاج الزهراء علیها السـلام بشأن سـلب حقها فی ارض فـدک ولم تکن الأرض -کمنفعة شخصـیة - هی السـبب الوحید فی الاحتجاج علی الحکومة آنذاک بل ارادت الزهراء ان تکشف للأمة الإسـلامیة من خلال قضـیة فدک بدایة الانحراف الذی تتعرض له الأمة وبدایة التزییف والاقصاء للنهج القرانی والذی بدا واضـحاً فی سـلب أمیر المؤمنین علیه السـلام حقه فی الخلافة واسـتغلال انشغاله بتکفین الرسول ودفنه کی یثّبت الحکم خـارج البیت النبوی بصورة تـدل علی اسـتغراق النـاکثین للبیعـة فی حمّی الـدنیا وحمّی الجاهلیـة المقیتة ونموذجاً للذوب فی الانا والذات بعیداً عن مصـلحة الإسلام العلیا. ولـم یکن هیناً علی ابنة الرسول صلی الله علیه وآله وسلم ان تقیم دعوی الاحتجاج علی الخلیفـة ولکن کان لابد من حرکة کی یفهم الناس وعورة الطریق الذی دخلو فیه.. وابتدأ احتجاج الزهراء علیها السـلام من خلال مواقف عدة مرة مع الخلیفة نفسه ومرة أمام الأمة نفسها.. لقد واجهت الخلیفة نفسه دون خوف أو تردد.. وانی یکون ذلک وهی بضعة الرسول التی یغضب البارئ لغضبها.. فقد روی عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه علیهم السلام:

أنه لما اجتمع أبو بکر وعمر علی منع فاطمة الزهراء علیها السلام فدکاً، وبلغها ذلک، لاثت خمارها علی رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت

فی لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذیولها، ما تخرم مشیتها مشیة أبیها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، حتی دخلت علی أبی بکر وهو فی حشد من المهاجرین والأنصار وغیرهم، فنیطت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنَت أنّةً أجهش القوم لها بالبکاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنیهة حتی إذا سکن نشیج القوم وهدأت فورتهم.

قالت: ...

یا أیها الناس أعلموا أنی فاطمة، وأبی صلی الله علیه وآله وسلم أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً.

((لَقَدْ جَاءکُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُم بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُوفٌ رَّحِیمٌ)).

فإن تعزوه، وتعرفوه تجدوه أبی دون نسائکم، وأخاً ابن عمّی دون رجالکم ... إلی اخر خطبتها العظیمة.(1)

وقد حاول الخلیفة استرضاءها لکنها اعلنت موقفها بصراحة بالقول:

أیها المسلمون! أأغلبُ علی إرثیه؟ یا ابن أبی قحافة! أفی کتاب الله أن ترث أباک ولا أرث أبی؟ لقد جئت شیئاً فرّیاً علی رسول الله!! أفعلی عمدٍ ترکتم کتاب الله، ونبذتموه وراء ظهورکم؟

إذ یقول:

((وَوَرِثَ سُلَیْمَانُ دَاوُودَ)).

وقال فیما اقتصّ من خبر یحیی بن زکریا (علیه السلام) إذ قال:

((فَهَبْ لِی مِن لَّدُنکَ وَلِیًّا (5) یَرِثُنِی وَیَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ)).

1- الخطبة موجودة بکاملها فی کتاب (بلاغات النساء) لابن طیفور وفی الاحتجاج للطبرسی وکتب اخری.

وقال:

((وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ)).

وقال:

((يُوصِيكُمُ اللّهُ فِى أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)).

وقال:

((إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)).

وزعمتم أن لا حظوة لى ولا إرث من أبى ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية من القرآن أخرج أبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منها؟ أم تقولون: أهل الملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبى من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد (صلى الله عليه آله وسلم) والموعد القيامة، وعند الله الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِينَ)).

إيها بنى قيلة أأهضمَ تراث أبى؟ وأنتم بمرأى منى ومسمع؟ ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدةً، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصفون بالكفاح، معرفون بالخير

والصلاح والنجب التى انتجبت والخيرة التى اختيرت، لنا أهل البيت، قتلتم العرب وتحملتم الكدّ والتعب وناطحتم الأمم وكافحتم البُهم، لا ـ نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلبُ الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكتت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤساً لقوماً نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدأوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا قد أرى ان قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وركنتم إلى الدعة، ونحوتم بالضيقة بعد السعة، فمججتم ما وعيتم، ..، فإن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد.

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّى بالخذلة التى خامرتكم والغدرة التى استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القناة، وبثة الصدور، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخفّ باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التى تطلّع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

فأجاب أبى بكر قال: يا ابنة رسول الله! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، ورؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الإخلاء، آثره على كل حميم، وساعده فى كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا كل سعيد، ولا يبغضكم إلا كلّ شقى بعيد، فأنتم عترة رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبون، والخِيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة فى قولک، سابقة فى وفور عقلک، غير مردودة عن حقک، ولا مصدودة عن صدقک، والله ما عدوت رأى رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، وأن الرائد لا يكذب أهله، وإنى أشهد الله وكفى به شهيداً، إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولىّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته فى الكراع والسلام، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار.. وذلک بإجماع من المسلمين!! لم أتفرد به وحدى، ولم استبد بما كان الرأى عندى، وهذه حالى ومالى، هى لک وبين يديک لا نزوى عنک ولا ندخّر دونک، وأنت سيدة أمة أبيک، والشجرة الطيبة لبنيک، لا ندفع مالک من فضلک، ولا نوضع من فرعک وأصلک، حكمک نافذ فيما ملكت يداى، فهل ترين أن أخالف فى ذلک أباک (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقالت (سلام الله عليها):

سبحان الله! ما كان أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفاً ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، لا ويقتنى سوره، أفتجمعون الى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل فى حياته فهذا كتاب الله، حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً، ويقول:

((يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ))؛

((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ))،

فبيّن الله عز وجل فيما وزع عليه من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث،

وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح به علّة المبطلين وأزال التظنّى والشبهات فى الغابرين كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

فقال لها أبو بكر: صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت أبنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، ولا أبعد صوابک، ولا أنكر خطابک، هؤلاء المسلمين بينى وبينک، قلدونى ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلک شهود.

فالتفت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس، وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغيضة على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه إعتصبتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ..، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما ورائه الضرّاء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هناک المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت:

ق_د ک_ان بع_دک أن_ب_اء وهنبث_ة

ل_و كنت شاهدها لم تكث_ر الخطب

إن_ا ف_قدن_اک ف_قد الأرض واب_لها

وختل قومک فاشهدهم ف_قد نكب_وا

وک_ل أه_ل ل_ه ق_رب_ی ومن_زلة

عن_د الإله علی الأذنی_ن مقت_رب

أب_دی رج_ال لن_ا نجوی ص_دورهم

لما مضیت وحالت دون_ک الت_راب

ت_جهمن_ا رج_ال واس_تخف ب_ن_ا

لم_ا ف_قدت وک_ل الإرث مغتصب

وکن_ت ب_درا ون_ورا ی_ستضاء ب_ه

علیک تن_زل م_ن ذی الع_زة الکتب

وک_ان جب_ری_ل بالآی_ات یؤنسن_ا

ف_قد ف_قدت وک_ل الخی_ر محتجب

ف_لیت ق_بلک کان الموت ص_ادفن_ا

لم_ا مضیت وح_الت دون_ک الکتب

إن_ا رزئن_ا ب_ما لم ی_رزّی ذو شجن

م_ن الب_ری_ة لا ع_جم ولا ع_رب

قال الراوی فما رأینا أکثر باکیاً ولا باکیة من ذلک الیوم.

والـذی یتأمـل هـذا الحوار الساخن والـذی کان امام الانصار والمهاجرین فانه یقف امام قوة امرأة وثباتها ولا یتردد اثنان فی القول ان الـذی دفعها لمحاججـة الخلفـة الاول هو شـعورها بالمسؤولیة وحرصـها علی مصـلحة الامة وعملا بفریضة الامر بالمعروف والنهی عن المنکر وجاء الخطاب ورسول الله راحل للتو والزهراء والامة معزاة برسول الله.

ترک هذا الموقف صداه علی المرأة المسلمة فها هی سیدة نساء العالمین وبضعة الرسول التی مَن آذاها فقد آذی رسول الله ومن اذی الرسول فقـد اذی الله.. تغبن فی جملة حقوقها وهی تدافع عن حقها وتاتی بالشـهود وتاتی بالادلة والبراهین ولکن لا من سامع! فکیف بالاخریات؟ ثم ما هو الموقف المطلوب هل هو السـکوت امام کل الاخطاء والانحرافات ام هو الانزواء والانکماش ونبذ کل الصور المشـرقة التی کانت للمرأة المسلمة فی عصرها الذهبی؟ وکیفما تکون الاجابات فلقد ترک الموقف المؤلم صداه وولّد عند المراة المسلمة ان الجاهلیة قد عادت

وبدا العصـر الذهبى للمرأة المسـلمة يتحول الى طيف عابر الى الزمن الماضـى وبذلک أعلن عن بداية تجميد الطاقات النسائية التى تشكل نصف المجتمع.

وبوفاة الزهراء عليها السلام تغيب – والى امد – القدوة الصالحة المطلقة للنساء وتتسع المسافة بين ما هو مطلوب وما هو موجود الامر الذى يؤدى الى مزيد من الانكماش الانزواء. ويمكن القول ان عصـر الخلافة الراشدة هو عصـر الافول بالنسبة للمرأة أو عصر القهقرى فلا نسمع عن مطالبات أو احتجاجات الا الشيء اليسير كما

حصـل أبان حكم الخليفـة الثانى وهو يخطب فى المسـلمين وينهاهم عن المغالاة فى المهور، فانبرت له امرأة من صف الناس، وقالت: ما ذاک لک.

فقال: ولمه؟

اجابت: لأن الله تعالى يقول:

((... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُّبِيناً)).(1)

فرجع عمر عن رأيه، وقال: أخطأ عمر واصابت امرأة.

واما الحادثـة الثانيـة التى تركت اثرها فى هـذه الفترة فهى خروج السـيدة عائشة زوج الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم على أمير المؤمنين وحـدوث حرب الجمل فى البصـرة، وقد اتسـمت هذه الحالة بالامتداد - بين المدينة والبصـرة - وعرّفها الكثيرون بانها فتنة لما خرجت (أم المؤمنين على أمير المؤمنين) وسـمتها بنت الشاطئ بالمأساة!.(وقـد انفردت «عائشـة» بـدور البطولة فى تلک المأساة المعروفة فى التاريخ باسم موقعـة «الجمل» الذى ركبته أم المؤمنين على رأس الجموع المعارضة الثائرة، وكانت هى القائدة العليا للجيش: تصدر الأوامر، وتعين الأمراء، وتوجه الرسل بكتبها ذات اليمين وذات اليسار مصدرة بالعبارة التالية:

«من عائشة ابنة أبى بكر، أم المؤمنين، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى ابنها الخالص فلان..».

«أما بعد فإن أتاک كتابى هذا فاقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذّل للناس عن على».

1- سورة النساء، الآية 20.

ولباها من لبى، ورد عليها من يقول:

«... أما بعد فأنا ابنک الخالص إن اعتزلت ورجعت إلى بيتک، وإلا فأنا أول من ينابذک».

أو يقول:

«رحم الله أم المؤمنين! أُمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه»![(1)]

وقد نهتها ام سلمة حين أتت عائشة وقالت لها:

«أى خروج هذا الذى تخرجين؟... الله من وراء هذه الأمة!! لو سرت مسير هذا ثم قيل لى: ادخلى الفردوس. لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً قد ضربه علىّ!».

لكن «عائشة» لم ترجع... بل مضت فى طريقها. وتخلفت أمهات المؤمنين عنها. - وكن قد خرجن معها إلى مكة - مؤثرات أن يرجعن إلى «المدينة»، إلا «حفصة بنت عمر» فإنها قالت: «رأيى لرأى عائشة تبع».

وأرادت أن تخرج معها إلى البصرة. فحال أخوها «عبد الله بن عمر» دون ذاک، ولم تجد «حفصة» بداً من الاعتذار والقعود![(2)]

وكان لهذه الواقعة تأثيرها على جمهورالمسلمين فى عدد الضحايا والذين كانوا يقدرون ب_15 الفا من حملة القرآن!! مضافا اليها تداعيات اخرى كثيرة لا مجال لذكرها هنا. والمهم انها شوشت وشوهت المفاهيم حول وضع المرأة وعلاقتها بالسلطة والمجتمع،

1- الدكتورة عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، السيدة زينب، ص 62.

2- نفس المصدر السابق، ص 69.

كما انها زعزعت هذه الواقعة ثقة المرأة بنفسها وجعلتها فى حيرة من أمرها(1).

فما هو المطلوب منها وما هى أدوارها ومشاركتها فى الحياة الاجتماعية والسياسية وهل المطلوب لها ان تتحرك بهذا الاسلوب فى اشعال لهيب الحرب فى بلاد المسلمين ام المطلوب اللجوء الى لغة الحوار وحفظ الاولويات الاساسية للامة والتى تقوم عليها قيمها الدينية العليا، ومن جانب آخر فقد ضاعفت هذه الفتنة من نسبة التشوشات عند الرجل نفسه فى رؤيته للمرأة فما هى الصورة الصحيحة لحركة المرأة فى المجتمع؟ ومَن الذى يرسم الابعاد الصحيحة لهذه الحركة؟ وما هو الامتداد الواجب منها؟.

وإذا ما استعرضنا هذه الفترة التى امتدت اكثر من 30 عاماً تقريباً لوجدنا ان انحسار المرأة الطويل عن الحياة العامة ثم مجيء حرب الجمل كخروج صريح عن المألوف والمطلوب ثم كانت هناك الفتوحات الكثيرة التى استغرقت المسلمين وجعلتهم يعيشون همّ الأراضى والغنائم (لا هم الرسالة والدين) الامر الذى افرز نوعاً من الابتعاد عن القيم الدينية الأصلية وتصوير الدين بانه مجرد طقوس جوفاء!.

فإذاً هناك تغيرات على أكثر من صعيد.. فهناك استغراق فى الجانب المادى والاقتصادى بسبب الفتوحات والتمايز الطبقى وهناك اهمال مقصود واقصاء واضح لأهل البيت عليهم السلام عن الحياة العامة. كما ان هناك تغيرات اجتماعية وفكرية كثيرة.

ويمكن ان نستقرئ الأسباب التى ادت إلى أفول العصر الذهبى للمرأة وإلى انحسار وجودها الفاعل فى الحياة العامة إلى أمور منها:

1 - بقاء النـزعة الجاهلية فى النفوس، تلك النـزعة التى تنظر إلى المرأة على انها

1- هذه الواقعة شوهت تصورات المرأة عن ذاتها وعن الدين وعن القدوة.

مخلوق ثانوى للمتعة وليس أكثر، وهى تابع للرجل وليس كائناً مستقلاً. هذه النـزعة التى بقيت رواسبها فى النفوس حيث ان الفترة الزمنية بين فتح مكة سنة 8 هـ بين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سنة 11هـ كانت قصيرة الامد وقد دخل فى الإسلام خلق كثير من طوائف ونماذج شتى فيهم المعاندين وفيهم السذج والجهال والحاقدين وبالتالى لم يتفهّم هؤلاء (فى هذا الظرف القصير) رؤية الإسلام حول المرأة ولم يجدو الوقت الكافى للاهتمام بامور الدين واكتفوا بقول الشهادتين دون وعى لمتطلباتها.. وهؤلاء عاشو منذ البداية رؤية ان فى انعزال النساء عن الحياة المجتمعية منفعة لهم فى قضاء شؤونهم وغياب من يحاججهم ويناقشهم فى الشؤون العامة واقصاء للمنافس لهم فى سلطانهم الازلى وبعبارة أخرى للابقاء على الارث القديم (ذكورية المجتمع) مع الحفاظ على كون المرأة مخلوق ثانوى اعجم لا يفقه أمور المجتمع ولا دور لها فيه. وللأسف بقى هذا الأرث متواصلاً حتى جاء إلينا ونحن فى القرن الحادى والعشرين!.

2 – انشغال المسلمين بأمر الفتوحات واتساع الدولة الإسلامية بحيث اصبح ذلک شغلهم الشاغل وغاب ازاء ذلک اهتمامهم بالفكر والوعى الدينى وإلى هذا الأمر يشير الاستاذ مازن هاشم بالقول:

إن اتساع الدولة الإسلامية ودخول اعراف كثيرة ونماذج شتى فى الإسلام قد أدى إلى تغييرات اجتماعية فى نمط الحياة واتساع المدن إلى غير ذلک، ويضيف:

فى مثل هذا الجو بدأت المرأة انسحابها من المشاركة فى الحياة العامة، وكان المجتمع فى الفترات اللاحقة يتكون فى غالبيته الساحقة – والتى اصبحت تشكل الواقع – من خليط من البشر أصبح انسياقهم للإسلام فى جزء منه نوعاً من التماشى الثقافى التقليدى أكثر منه التزاماً فكرياً وإيمانياً بحتاً.(1)

1- مازن هاشم، المنعطف، عدد 15/16، ص 9.

3 – اقصاء أهل البيت عليهم السلام عن الحياة العامة بكل تشعباتها السياسية والثقافية والاجتماعية وهذا ما مهد لظهور الكثير من الانحرافات وسهّل المروق عن النهج السليم، مما أدى إلى اتساع الفارق بين النظرية والتطبيق. وإلى فرض الطوق حول اهل البيت وتحجيم ادوارهم الاساسية طوال هذه المدة. ولقد وقع الخلفاء انفسهم فى اخطاء وزلات عكست حالة العجز عن فهم الرؤية الاسلامية الصحيحة فى الأمور التى اعترضت مسارهم مما جعلهم يستغيثون بأمير المؤمنين على عليه السلام مرات ومرات وهم القائلون: (اعوذ بالله من معضلة ليس لها ابا الحسن)(1). ولكنهم فى نفس الوقت حاصروا وجود أهل البيت عليهم السلام الفكرى والثقافى والدينى فبقى الناس – غالبيتهم – فى جهلهم للاسلام واحكامه. فمثلاً صلاة الميت والتى صلوها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ملايين المرات لكنهم اختلفوا فى عدد تكبيراتها بعده!!.. وهذا هو السبب فى اختلاف الرؤى والمناهج فى وقتنا الحاضر فهناك من يرى ان فى تعليم النساء جنوناً وهناك من يرى ان النساء تخرج من بيتها مرتين مرة لزوجها ومرة لقبرها وإذا ما تكلم أحد عن حقوق المرأة الحقيقية فى الإسلام ومسؤولياتها العظيمة ودورها فى زمن الانتظار فانه يُتهم ويُهاجم وينُبذ والله أعلم بعدها ماذا يحصل؟!.

على هذا انكمشت المرأة وعاشت فراغاً فكرياً بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقسى من الفراغ الفكرى الذى عاشه الرجل وحيل بينها وبين فهم الدين الصحيح لضعف الصلة بين الناس ونساء أهل البيت عليهم السلام كالسيدة زينب عليها السلام وباقى الصالحات كأم سلمة (رض) الأمر الذى ابقى المرأة فى دائرة الوهم وضيق الافق وغياب الوعى. وازاء امرأة كهذه ماذا نتوقع ان تكون النتائج؟ وهل هناك انتظار لانطلاقات نسوية أو ممارسات ثقافية أو اسهامات أو ابداعات فى الصعيد

1- تاريخ ابن كثيرج7 ص35.

الاجتماعی أو الفکری أو السیاسی؟.

إلی هذا یشیر الاستاذ مازن هاشم بالقول: ان المرأة شارکت فی الفترة الأولی عملیاً وعلی جمیع الاصعدة بحیث کان من غیر الممکن ان یتم عزلها عن عملیة الجهاد وهی التی کانت تشارک بشکل أساس فی مختلف فعالیات الحیاة والمجتمع بدءاً من عملیات اتخاذ القرارات وانتهاءاً بالمشارکة العملیة فی تنفیذها وذلک بحکم المنظومة السیاسیة والاجتماعیة الشوریة.. بینما تغیرت فی الفترات اللاحقة تلک المنظومة وضاقت إلی حد کبیر لتخرج منها شرائح کبیرة کان فی مقدمتها المرأة التی انعزلت شیئاً فشیئاً داخل جدران المنازل والقصور وساهم نمط الحیاة المیسر فی ذلک.(1)

وأبان خلافة امیر المؤمنین الامام علی بن ابی طالب علیه السلام وخاصة بعد انتهاء التحکیم الذی حصل فی صفین. بدأ الامویون بترتیب اوضاعهم تمهیدا لاستیلاءهم علی الخلافة لاحقاً.. وقد حصلت انتهاکات کثیرة منها ما فعله العامری حیث قتل عاملا لعلی یقال له حسان بن حسان مع جمع من الموالین لأهل البیت وإلی هذا اشار الامام فی احدی خطبه بالقول:

هذا أخو عامر قد جاء الأنبار فقتل عاملها حسّان بن حسّان وقتل رجالاً کثیر أو نساءً، والله بلغنی انّه کان یأتی المرأة المسلمة والأخری المعاهدة فینزع حجلها ورعائها ثم ینصرفون موفورین لم یکلم أحدٌ منهم کلماً، فلو أنَّ امرءاً مسلماً مات دون هذا أسفاً لم یکن علیه ملوماً بل کان به جدیراً.(2)

وهذ الخطبة تبین ألم الامام علیه السلام لما حصل للنساء وتکشف لنا عن المنحدر الذی سقطت فیه الامة.

1- مازن هاشم، المنعطف 15/16، ص 10.

2- عبد الحسین احمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّة والادب، ج11، ص 17.

وقد اغار بسر بن ارطأة على همدان وسبى نسائهم فكن اول مسلمات سبين فى الاسلام.(1)

وقد كانت هناک احتجاجات نسائية على السلوک الاموى منها احتجاج نساء من بنى كنانة على قيام بسر بذبح ولدى عبيد الله بن عباس.. قال ابن يونس: كان عبيد الله بن العبّاس قد جعل ابنيه عبد الرّحمن وقثم عند رجل من بنى كنانة وكانا صغيرين فلمّا انتهى بُسر الى بنى كنانة بعث إليهما ليقتلهما، فلمّا رأى ذلک الكنانى دخل بيته فأخذ السيف واشتدّ عليهم بسيفه حاسراً وهو يقول:

أالليث من يمنع حافات الدار

ولا يزال مصلتاً دون الدار(2)

إلا فـتـى أروع غـيـر غـدّار

فقال له بُسر: ثكلتک أمّک والله ما أردنا قتلک فِلمَ عرضتَ نفسکَ للقتل. فقال: أُقتل دون جارى فعسى أعذر عند الله وعند الناس.

فضرب بسيفه حتّى قُتل، وقدّم بُسر الغلامين فذبحهما ذبحاً، فخرج نسوةٌ من بنى كنانة فقال قائلةٌ منهنَّ: يا هذا هؤلاء الرجال قتلت فعلامَ تقتل الولدان؟ والله ما كانوا يُقتلون فى الجاهليّة ولا إسلام والله انّ سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الرضَّع الصغيرة والمدره الكبير، وبرفع الرّحمة وعقوق الأرحام لسلطان سوء فقال لها بُسر: والله لقد هممت أن أضع فيکنَّ السيف.

فقالت: تالله انّها لأخت التى صنعت، وما أنا بها منک بآمنة. ثمَّ قالت للنساء اللواتى حولها: ويحکنَّ تفرَّقن.(3)

1- نفس المصدر، ص21.

2- والصحيح: ولا يزال مصلتاً دون الجار.

3- عبد الحسين احمد الامينى النجفى، الغدير فى الكتاب والسنّة والادب، ج11، ص22.

4 - المرأة فی العصر الأموی

واجه المجتمع الإسـلامی فی العصـر الأموی الکثیر من الضـغوطات والتحدیات، فقد اتبع الأمویون سیاسة الترهیب ضد کل من لا یتبنی النهـج الاموی والـذی یقوم اساسا علی بغض علی بن ابی طالب علیه السـلام وسـبه علی المنابر!!. وبهذا بدات حقبة دمویة مقیتة تقوم علی تصـفیة کل الموالین لآل البیت علیهم السـلام. فقـد کتب معاویة إلی ولاته فی جمیع الأمصار: «انظروا مَنْ قامت علیه البیّنة أنّه یحبّ علیّاً وأهل بیته، فامحوه من الدیوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه»(1).

وکتب کتاباً آخر جاء فیه: «مَنْ اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنکّلوا به، واهدموا داره»(2).

وقد صوّر الإمام محمّد الباقر (علیه السلام) تلک المأساة الدامیة بأقصر عبارة وأدقها حین قال:

«فقُتلت شیعتنا بکلِّ بلدة، وقطعت الأیدی والأرجل علی الظنّة، وکان منْ یُذکِّر بحبِّنا والانقطاع إلینا سُجن، أو نُهِبَ ماله، أو هُدِمَت داره، ثمّ لم یزل البلاء یشتدّ ویزداد إلی زمانِ عبید الله بن زیاد قاتل الحسین (علیه السلام)»(3).

وبهذا استشهد خلق کثیر کحجر بن عدی وعمرو بن حمق الخزاعی ورشید الهجری وغیره.

1- ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغة، ط دار احیاء الکتب العربیة، بیروت، الطبعة الثانیة، 1387هـ، ج11، ص45.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق، ص 43.

وكثيراً ما كان الانصار والموالين يمكثون بلا عطاء ولا ذنب لهم الا أنهم ينصرون أهل البيت عليهم السلام(1).

وكانوا (الامويون) إذا عصاهم أحد من المسلمين قطعوا عطاءه ولو كان العاصون بلدةً برمتها.(2)

واتبع الأمويون سياسة الترغيب عبر اغداق الأموال لشراء الذمم ووضع الأحاديث المزيفة ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهى التى تمسح عن أهل البيت وخاصة أمير المؤمنين عليه السلام كل فضيلة وتهب فضائله إلى آل أمية!!.

كما أثار معاوية الروح القبلية والقومية وبذلک اثيرت الصراعات والتمييز العنصرى بين طبقات المجتمع الواحد. وعمد الامويون الى اتباع سياسة الاقصاء لأهل البيت عليهم السلام عن الحياة العامة وبكل الوسائل اينما كانوا وكيفما كانوا رجالاً ونساءاً. وعمل الامويون ايضا على تجويع انصاراهل البيت واغداق الأموال الطائلة على أعدائهم وعلى الشعراء الذين يمدحون بنى امية وعلى وضّاع الأحاديث فقد أُعطى سمره بن جندب 400 ألف درهم ليجعل الآية:

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ)).

نازلة فى ابن ملجم ففعل!.(3)

واما عبد الرّحمان بن عوف فقد قسّم ميراثه على ستة عشر سهماً، فبلغ نصيب كلّ امرأة له ثمانين ألف درهم!.(4)

1- محمد مهدى شمس الدين، ثورة الحسين ، 68، نقلاً عن زيدان، التمدن الإسلامى.

2- نفس المصدر.

3- ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 4، ص 73.

4- المسعودى، مروج الذهب، ج 3، ص 23.

وحصل مروان بن الحكم على خمسمائة ألف دينار من موارد أفريقية!.(1)

وحصل ابن العاص على هديّة مقدارها مائة ألف درهم!.(2)

كما حصل عبد الله بن خالد بن أسيد على هدية مقدارها أربعمائة ألف درهم!.

وظهرت فى هذه الفترة الفرق المتعددة كالجبرية والقدرية والتى مارست دور المخدر فى شل الحركة الثورية عند الناس وجعلهم يرضخون للحاكم الظالم.

وبهذا يمكن وصف هذه المرحلة بانها فوضى فكرية دينية مالية اجتماعية سياسية اشتدت بعد تنصيب يزيد ولياً للعهد واجبار الناس على مبايعته.

وفى فوضى كهذه هل تجد المرأة الوقت الكافى لبناء ذاتها أو تفّهم مجريات الأمور واستقراء الساحة السياسية؟.

وإذا كانت المرأة قد اقصيت عن الحياة العامة قبل ان يتشكل البيت الاموى ثم اصبحت اسيرة الجهل والتضليل الفكرى واخرس لسانها الخوف فاصبحت كائناً ثانوياً تابعاً غير قادر على القيام بأى دور وهذه الحال لا تخص المرأة وحدها بل تمس شرائح كثيرة من المجتمع بل وحتى الرجل نفسه.

يضاف إلى ذلك ما عاشه المجتمع من الاسترخاء والركون إلى السكينة والراحة والانشغال بالدنيا بسبب الفتوحات الكثيرة التى اتسعت مع امتداد رقعة الدولة الإسلامية وتداخل الاقوام الكثيرة واختلاطهم معها مما أدى إلى تبنى عادات وتقاليد جديدة لم تكن موجودة فانه من المحتم ان هذه الأمور تترك اثارها على الحياة الاجتماعية كلها وليس على وضع المراة فحسب.

ويمكن رسم المشهد النسائى قبل الثورة من خلال عدة نماذج:

1- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 91.

2- ابن قتيبة الدينورى، المعارف، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثانية، 1390هـ، ص 84.

1. نموذج المرأة العـام والـذى هو امتـداد لمـا ذكرناه فى وصف المرأة فى عصـر الخلفاء. نموذج لامرأة مشـغولة بحياتها بعيـدة عن الوعى الفكرى والثقافى، ليست لها مشاركات اجتماعية أو سياسية. مع وجود خوف يستولى على الجميع من النظام الأموى الفاشى. إذاً هى صورة لامرأة سـلبية متوارية عن الحياة المجتمعية خوفاً أو جهلاً أو رغبة. يشاركها نموذج لرجل لم يفهم الإسـلام وغير قادر على استيعاب نظريته الصـحيحة من أصـحابه الأصـليين فهو يأخذ من هنا رواية تمجد معاوية واخرى من هناک تسحب من على عليه السلام فضائله المنصوص عليها فى القرآن ورواية ثالثة تصارع للابقاء على فضائل اهل البيت لاصـحابها. وأمام هذا التشتت فى الأحاديث والروايات والاوضاع العامة المشـحونة بحملات المطاردة والقتل والسـجن والتشـريد فالأفضل الجنوح إلى السـلامة لتكون المرأة مفردة سلبية تتلقى ما يفرغ فى جوف رأسها دون مناقشة أو فهم او رغبة فى التطور الذاتى.

2 . نموذج الجوارى اللائى بـدأت قصور بنى أمية تمتلىء بهن وغالباً ما يتم استيرادهن من خارج بلاد المسـلمين ومهمتهن الغواية والإثارة، وقـد كان لهن الباع الاكبر فى ترويج صورة المرأة – الجسد – الشـىء أو السـلعة. وبهذا عملن على ترسـيخ الصورة السـلبية للمرأة وفتحن ابواب المتعة والشـهوة للرجال بسـبب سهولة الحصول عليهن مما أدى إلى التبلد العقلى بسبب الافراط فى التفريغ الجنسى كما عزز الشک والريب فى العلاقات التى تقوم بين النساء والرجال!. الامر الـذى ساهم فى تكريس المزيـد من الاقصاء والتبعيـة بالنسـبة للمراة. وقد جلب النخاسون الجوارى من كل مكان لتباع فى أسواق المدن العربية والاسلامية.

3 . وإذا اردنا النظر إلى نساء القصـر الأموى فاننا نجـد نموذج النساء الجوارى. المرأة الجسد والسـلعة وإلى جانبهن نساء بنى أمية.. نماذج لاسوأ النساء يتربعن فى قصور الخلافة والحكم ويتحكمن فى رقاب المسلمين ومنهن هند بنت عتبة آكلة الاكباد، ألم تبقر

هند أمّ أبيه (معاوية) فى أُحد بطن حمزة، وتمثّل به، وتمضع كبده، ثمّ أنشأت تقول:

شفيت من حمزة نفسى بأُحـد

حين بقرت بطنه عن الكبد؟![(1)]

والتى لم يحک التاريخ أبداً عن امرأة فى مثل حقدها على الإسلام وعلى آل الرسول وهى تمثل ادنى درجات الهبوط الانسانى لاعمالها الوحشية التى تتأفف المرأة عنها ذاتيا!!. تقول عنها بنت الشاطئ: أتصرف الخلافة عن حفيد «خديجة» أم المؤمنين وبطلة الإسلام الأولى، إلى حفيد «هند» آكلة الأكباد وبطلة الانتقام الوحشى فى موقعة «أُحد»؟ إن الإسلام لم يكن قد نسى بعد ما ناله من «هند» فى «أُحد»، وإن الجراح التى أحدثتها «هند» بالمسلمين لم تكن قد التأمت بعد. فما زال فيهم - يومئذ - أحياء شهدوا «هنداً» حين ظهرت فى «مكة» تعير قريشاً بهزيمتهم الشنعاء أمام فئة قليلة من المؤمنين، انتصرت على جيش لأبى سفيان - زوج هند وزعيم المشركين - كامل العدة والعدد، وتركت على الساحة الدامية حول ماء «بدر» جثث الأبطال الصناديد من قوم «هند». وفى الحق أن «هنداً» أسلمت بعد ذاک كما أسلم زوجها عام الفتح. لكن هذا لم يمح صفحتها الأولى، ولم يحل دون نبز أبنائها «ببنى آكلة الأكباد».[(2)] وقد عجبت كثيراً لبعض الكتاب المسلمين الذين يقدمون هذه المراة المتوحشة على انها قدوة النساء!! ومن البديهى ان نساء المجتمع يتطلعن إلى من يتربعن على كرسى الحكم ويتاثرن بهذا النموذج فما الذى يتعلموه من هند سوى الوحشية والحقد الاسود؟!.

4 . ما بقى من الساحة الاجتماعية بعد تفريغ غير المسلمين منهم ينقسم إلى قسمين - كالساحة الرجالية تماماً - فهناک الموالون لأهل البيت عليهم السلام وهناک المعادون ومن شاركوهم فى عدائهم وأكثر هؤلاء من الأمويين المتعلقين بسدة الحكم

1- العلامة السيد مرتضى العسكرى، معالم المدرستين، ص452.

2- الدكتورة عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب، ص 79 - 80.

ورجالاـت البلاط الاموى. أمّا الموالون فقـد عانوا الامرّين فى عهـد معاويـة بالـذات وما بعـده من خلفاء بنى أمية(1)، إذ قامت السياسـية الأموية على التنكيل باتباع أهل البيت ومحاصرتهم والتضييق عليهم فى الشؤون المعاشية وإقامة الحد عليهم لا لذنب سوى ولائهم لأهل البيت عليهم السـلام ولم تقبل شـهادتهم بل كانت السـلطات الأموية تطاردهم وتقتلهم شـر قتلة كما فعلت بميثم التمار ورشـيد الهجرى وحجر بن عدى وغيرهم.

و المرأة الموالية عاشت مع الرجل هذه الظروف العسـيرة من التجويع والمطاردة والتشريد والسجون. فإذا لم تقبض السلطات الأموية على الرجل المسـلم أخـذت زوجته أو أمه أو أخته اسـيرة حتى يسـلّم نفسه، أى تعتمـدها كورقـة ضاغطـة، كما فعلوا مع زوجـة عمرو بن حمق الخزاعى وهى آمنة بنت الشـريد إذ إنّ عمراً فر من السلطة الأموية فكتب معاوية إلى ابن زياد ان احمل إلى زوجته فالقى القبض على زوجته آمنة بنت الشـريد وحملها أسيرة من الكوفة إلى الشام إلى معاوية فسجنت حتى جىء برأس زوجها عمرو إلى الشام بعد ان القى القبض عليه فى غار قرب الموصل من قبل والى معاوية عليها، وطعن بتسع طعنات ثم قطع رأسه فكان رأسه أول رأس حمل فى الاسـلام(2) وحمل على قناة إلى معاويـة فى الشام فقال معاوية للحرس انطلق بهذا الرأس وضـعه فى حجر زوجته آمنة واحفظ ما تقول فلم تشـعر وهى بالسـجن إلا ورأس زوجها عمرو فى حجرها فضـمته إلى صـدرها وبكت وقالت غيبتموه عنى طويلاً واهديتموه إلى قتيلاً فأهلاً وسـهلاً بها من هدية غير قالية ولا مقلية ثم قالت للحرس أبلغ معاوية عنى ما

1- وإلى هذا يشـير الإمام الباقر عليه السـلام (وقتلت شـيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدى والأرجل على الظنة وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد فى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.

2- تاريخ ابن كثير، 8:48.

أقول وقـل له يتّم الله ولـدک واوحش منـک أهلـک ولا غفر لک ذنبک وعجل لک الويل من نقمه وطلب منک بـدمه فلقـد جئت شـيئاً فرياً وقتلت باراً تقياً فلما سمع كلامها أمر باحضارها وصار يشتمها ويتهددها.(1)

وهـذا التعامل السـيئ مع المرأة المسـلمة كورقـة ضاغطة للحصول على أفراد ومعلومات ليمثل درجة خطيرة من العنف السياسـى الموجه ضـدها ويكشف لنا عن لؤم النفوس وحقدها على المسـلمين والمسـلمات فما معنى حملها للشام؟ وما معنى القاء الرأس فى حجرها؟ وما معنى تسجيل كلماتها؟ وهذه صور مارس مثلها طغاة العصر الحديث ضد المسلمين والموالين فى بقاع شتى من العالم.

الى هـذا يشـير العلامـة الامـينى بالقول: إن معاويـة أوّل مَن قتل نساء كلّ من والى أهل بيت النبىّ (عليهم السـلام) وذبـح صبيانهم ونهب أموالهم، ومثّل بقتلاهم وشتّت شملهم، وفرّق جمعهم، واستأصل شأفتهم، ونفاهم عن عُقر دورهم، وأبادهم تحت كلّ حجر ومدَر؟!(2)

هـذه هى الصورة العامـة للنساء المواليات لآل البيت ولا ننسـى ان معاناة الأم الموالـية كانت شاقـة للغاية، فلعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام على المنابر كان سّـنّة سـنّها معاويـة ولا يكاد وعاظ البلاط الاموى يجدون سـيئة إلا ونسـبوها إليه عليه السـلام ويذكر المؤرخون ان عمر بن عبد العزيز كان قبل توليه الخلافة يتساءل عن سـبب هذا السب للإمام وقد نزلت فيه آية كذا وآية كذا!. وهذه مؤشرات تـدل على حجم الصـراعات الداخليـة التى عاشـتها المرأة الموالـية والتى منهـا صـراع سياسـى مع الحكم الأـموى الـذى يطارد الموالين ويعتقلهم ويسجنهم وصراع تربوى فى تنشئة الاولاد

1- الكاشى، ثورة الإمام الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب، ص 79.

2- عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى، الغدير فى الكتاب والسنّة والادب، ج11، ص 73.

على الولاء لآل البيت عليهم السلام وصيانة عقائدهم وصراع فكرى وصراع اجتماعى وصراع نفسى مستمر يحمل تبعات كل هذه الضغوطات.

والمرأة التى تعيش كل هذه التحديات الصعبة وفى اجواء هذا المناخ القاسى هل ستجد الوقت الكافى لتهتم ببناء شخصيتها أو تتاح لها فرصة المشاركة المجتمعية فى أمور نافعة؟. ورغم كل هذه الظروف الصعبة التى عاشتها المرأة الموالية فان العنف السياسى المؤلم ما كان ليوهن عزيمتها ويزعزع ولاءها اذكانت تنشئة الأولاد على الولاء لآل البيت والتبرى من أعدائهم هو أخطر واقدس مهماتها وإليها تعود ثمرة الأجيال الموالية اللاحقة، معنى هذا انها كانت على يقين بصدق عقيدتها ونهجها.. ثابتة فى مواقفها.. ذات إرادة قوية فى مواجهة التحديات الصعبة. ثم انها ما شغلتها الأمور التى شغلت غيرها من النساء من الاهتمام بيسر الحياة لتنسى مهماتها الاساسية ولم تبق أسيرة همومها واشجانها واحزانها امام مظالم بنى امية التى تهد الجبال الرواسى لتصبح كائناً سلبياً غير قادر على النماء بل على النقيض من ذلک كانت تجد ان مهامها كثيرة ومقدسة وعليها ان تؤديها لتدخل السرور على سيدة نساء العالمين التى مثلت المرأة المعصومة الكاملة ولكنها ايضا المرأة المظلومة المغبون حقها والتى كان غياب قبرها دليلاً على استدامة مظلوميتها وتعالى صرختها الابدية فى طلب النصرة. وبهذا نجد الصورة بكل ما فيها من مظلومية او عنف سياسى قاسٍ من جانب لكنها ايضا مؤشر قوة واقتدار يعرض الطاقة الانسانية العظيمة الكامنة عند المرأة من جانب آخر. ولعل صورة الوافدات على معاوية تكشف لنا عن ذلک وهن المواليات لاهل البيت والناصرات لعلى إبّان حكمه واللائى استدعاهن معاوية كى ينال من عقيدتهن فى الولاء فانقلب السحر على الساحر ومنهن سودة الهمدانية ودارمية الجحونية والزرقاء بنت عدى وغيرهن.

فقد حجّ معاوية سنة من سنيّه، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنـزل بالحجون، يقال لها «دارميّة الحجون» وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث

إليها، فجىء بها، فقال: ما حالک يا ابنة حام؟ قالت: لست لحام إن عبتنى، إنّما أنا امرأة من بنى كنانة، ثمت من بنى أبيک.

قال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليک؟

قالت: لا يعلم الغيب إلا الله.

قال: بعثت إليک لأسألک، علامَ أحببت علياً وأبغضتنى، ووالیته وعاديتنى؟

قالت: أو تعفينى يا أمير المؤمنين.

قال: لا أعفيک.

قالت: أما إذا أبيت، فأنى أحببت علياً على عدله فى الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتک على قتال من هو أولى منک بالأمر، وطلبتک ما ليس لک بحق. ووالیت علياً على ما عقد له رسول الله من الولاء، وعلى حبه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتک على سفکک الدماء، وشقک العصا وجورک فى القضاء، وحكمک بالهوى.

قال: فلذلک انتفخ بطنک.

قالت: يا هذا، بهند والله يضرب المثل فى ذلک لا بى.

قال معاوية: يا هذه، اربعى، فانا لم نقل إلا خيرا، فرجعت وسكنت.

فقال لها: يا هذه، هل رأيت علياً؟

قالت: أى والله لقد رأيته؟

قال: فكيف رأيته.

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملک الذى فتنک، ولم تشغله النعمة التى شغلتک.

قال: هل سمعت كلامه؟

قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ.

قال: صدقت، فهل لک من حاجة؟

قالت: أو تفعل إذا سألتک؟ قال: نعم.

قالت: تعطینی مائة ناقة حمراء فیها فحلها وراعیها.

قال: تصنعین بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار، واستحیی بها الکبار، واکتسب بها المکارم، وأصلح بها بین العشائر.

قال: فان أعطیتک ذلک، فهل أحلّ عندک محل علیّ؟

قالت: ماء ولا کصدّاء، ومرعی ولا کالسعدان، وفتی ولا کمالک.

ثم قال: أما والله لو کان علی حیّاً ما أعطاک منها شیئاً.

قالت: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمین.

واستدعی معاویة امرأة من أهل الکوفة تسمی «الزرقاء بنت عدیّ» کانت تعتمد الوقوف بین الصفوف وترفع صوتها صارخة، یا أصحاب علی، تسمعهم کلامها کالصوارم، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل، والمدبر لأقبل، والمسالم لحارب، والفار لکرّ، والمتزلزل لاستقر.

فلما قدمت علی معاویة، قال لها: هل تعلمین لم بعثت إلیک؟

قالت: لا یعلم الغیب إلا الله سبحانه وتعالی.

قال: ألست الراکبة الجمل الأحمر یوم صفین، وأنت بین الصفوف توقدین نار الحرب، وتحرضین علی القتال؟

قالت: نعم. قال: فما حملک علی ذلک؟

قالت: یا أمیر المؤمنین، انه قد مات الرأس، وبتر الذنب، ولن یعود ما ذهب،

والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال: صدقت، فهل تعرفين كلامک وتحفظين ما قلته؟

قالت: لا والله، ولقد انسيته.

قال: لله أبوک، فلقد سمعتک تقولين:

«أيها الناس، ارعوا وارجعوا، انکم أصبحتم فی فتنة، غشتکم جلابيب الظلم، وجارت بکم عن قصد المحجة، فيا لها فتنة عمياء صماء بکماء، لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها. ان المصباح لا يضیء فی الشمس، وان الکواکب لا تنير مع القمر، وانّ البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد الا بالحديد، ألا من استرشد ارشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس: ان الحق کان يطلب ضالته فاصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار علی الغصص، فکأنکم وقد التأم شمل الشتات، وظهرت کلمة العدل، وغلب الحق باطله، فانه لا يستوی المحق والمبطل. أفمن کان مؤمناً کمن کان فاسقاً لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا ان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأمور عاقبة، أئتوا الحرب غير ناکصين، فهذا يوم له ما بعده».

ثم قال: يا زرقاء، أليس هذا قولک وتحريضک؟

قالت: لقد کان ذلک.

قال: لقد شارکت علياً فی کل دم سفکه.

فقالت: أحسن الله بشارتک يا أمير المؤمنين، وأدام سلامتک، فمثلک من بشر بخير، وسرّ جليسه.

فقال معاوية: أو يسرک ذلک؟

قالت: نعم والله، لقد سرّنى قولک، وأنى لى بتصديق الفعل. فضحک معاوية، وقال: والله لوفاؤکم له بعد موته أعجب عندى من حبکم له فى حياته.(1)

هؤلاء النساء کن يدافعن عن عقيدتهن ويقلن قول الحق أمام الطاغية المتجبر، وهذا دليل على صلابة هؤلاء النساء وعلى وعيهن الثقافى الذى ظهر من خلال عقيدة الولاء وبهذا تکون المرأة الموالية صفا واحدا مع الرجال الموالين الذين کانوا يتحدون بطش الأمويين بکل بسالة کحجر بن عدى ورشيد، بل إن هؤلاء النساء الموالیات کن سبباً لبلورة عقيدة الولاء وصيانتها.

ولأم المؤمنين ام سلمة صورة مشرقة فى قوة شخصيتها واهتمامها بأمور المسلمين والدفاع عن الحق والامر بالمعروف والنهى عن المنکر ففى کتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسى يشير:

ولما مات الحسن بن على حج معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله فقيل له: إن ههنا سعد بن أبى وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه..، فقال سعد: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه فأمسک معاوية عن لعنه حتى مات سعد ولما مات لعن (علياً) على المنبر وکتب إلى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا فکتبت أم سلمة:

انکم تلعنون الله ورسوله على منابرکم وذلک بانکم تلعنون على بن أبى طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله.(2) وکان ذلک يمثل ادانة نسوية للنهج الاموى القائم على سياسة اللعن لاهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

1- هاتان القصتان عن قصص العرب، ج2، وقد نقلتا بتصرف واختصارعن محمد الصدر فى کتابه اخلاق اهل البيت ص408.

2- ابن عبد ربه الاندلسى، العقد الفريد، تحقيق، د. عبد المجيد الترحينى، مج5، ص 114.

وفی هـذه الحقبـة الزمنية ظهرت من داخل البيت النبوی تصدعات خطيرة اهمها استشـهاد الامام الحسن بن علی عليهما السـلام علی يد زوجته جعـدة التی دست له السم، ففی الوقت الـذی كـان النـاس ينتظرون صوراً مشـرقة من بيت الامامـة تأتی صورة جعـدة المرأة القاتلة الخائنة لتشوه لا صورة المرأة مع الامام بل صورة المرأة بشكل عام وتجعل الناس فی حيرة من تفسير الموقف، فقد قيل:

انه كان سـبب موت الحسن بن علیّ من سمٍّ سمَّ به يقال: إنَّ زوجته جعدة بنت الأسود بن قيس الكندی سـقته إيّاه، ويذكر والله اعلم بحقيقة أمورهم: انّ معاوية دسّ إليها بذلک علی أن يوجّه لها مائة الف درهم ويزوجها من ابنه يزيد، فلمّا مات الحسن وفیّ لها معاوية بالمال وقال: إنِّی أحبّ حياة يزيد.(1)

أرسـل إليها «معاويـة»: «إنی مزوجک بيزيـد ابنی، علی أن تسـمی زوجک الحسن ابن علی». ووعـدها بمائـة ألف درهم فقبلت، وسـمت «الحسن»، فدفع لها «معاوية» المال ولم يزوجها من «يزيد» معتذراً إليها بأن حياته غالية عليه! فخلف عليها رجل من «آل طلحة» فأولدها، فكان إذا وقع بين أولادها وبين بطون قريش كلام، عيروهم وقالوا: يا بنی مسمة الأزواج...(2)

وانه لصورة قاسـية مؤلمة اذ كيف تمتد يد الغدر الی سيد شباب اهل الجنة من زوجته التی اختارها لتكون شريكة حياته فی سرائها وضرائها، لكنها باعته بثمن بخس ولعذاب الآخرة أخزی، وهذه الصورة تركت اثرا سلبيا علی الموالين والمعاندين علی حد سواء!.

أيضاً تأتی مواقف السيدة عائشة لتصب فی خط تكميلی لهذا السلوک فنراها

1- عبد الحسين أحمد الأمينی النجفی، الغدير فی الكتاب والسنّة والادب، ج 11، ص 11.

2- دكتورة عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب، ص77.

(وهى أم المؤمنين) تخرج على بغلتها ناهية عن دفن الامام بجوار جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذى قال فيه:

«من أحب الحسن والحسين فقد احبنى، ومن ابغضهما فقد ابغضنى».(1)

وهـذه كلها مواقف جعلت الرجال والنساء يرزحون تحت طائلة جملة من التساؤلات التى لا تنفك عقدتها بسـهولة بسـبب البطش الاموى والفوضى الفكرية والاجتماعية التى سادت آنذاك.

والمحصـلة من ذلک كله ان المرأة المسـلمة بدأت تنفصل عن المجتمع وهمومه وشؤونه شيئاً فشيئاً، وغابت عن الأدوار الفاعلة المغيّرة له، وانعزلت بين جـدران البيوت وجـدران الوهم والجهـل والتخلف، ووجـد الرجـل ذلک كله يصب فى نفعه العام فاسـتحوذ على كل شؤون الحياة الاجتماعية والسياسـية والثقافية والدينية الأمر الذى أدّى بالمرأة إلى ان تفقد ثقتها بنفسـها شـيئاً فشيئاً وتفقد ثقتها بأدوارها ومؤهلاتها وتشعر بالاغتراب عن المجتمع الكبير بل وتعيش رؤى مشوهة عن دورها فى الحياة وترى انها كائن تابع ليس أكثر، فأهملت التعلم والتثقف وأهملت بناء شخصـيتها بناءً صحيحاً متوازناً وتركت المطالبة بحقوقها حتى أصبحت ركنا منسيا فى المجتمع وشيئا (وليس الانسان الخليفة) استوى وجوده وغيابه!.

حتى كان القرن العشـرون حيث اخذت العلمانية الجديدة تنشر أفكارها بين صفوف النساء المسلمات وهن يعشن التخلف والامية والجهل وتستعبدهن التقاليد والعادات البعيدة كل البعد عن الاسلام.

1- سنن ابن ماجة فى فضائل الحسن والحسين , ومسند احمد2\288و440 و531

الفصل الثانی: نساء الطفوف

اشارة

يمكن الكلام عن نساء الطفوف ضمن مجموعتين متمايزتين حيث تضم المجموعة الأولى حرائر أهل البيت عليهم السلام ونساء بيت الوحى وهى المجموعة التى هاجرت مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء.

وهى ايضا المجموعة التى تعرضت لأقسى التحديات والخطوب، فهى التى عاشت أحداث المعركة فى كربلاء وعاشت أجواءها الساخنة كما ان هذه المجموعة تمثل ركب السبايا اللائى أُسرن بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام من العراق إلى الشام ورجعن ثانية الى كربلاء فى الاربعين وبعدها عُدن الى المدينة المنورة.

كما أنها المجموعة التى قامت بالدور الإعلامى الخطير حيث نشرت فكر الثورة وأهدافها فى الامصار والبلاد التى دخلوا إليها.

وعلى رأس هذه المجموعة تأتى عقيلة بنى هاشم واللبوة الطالبية السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام والتى يعود إليها الثقل الكبير من مهام ما بعد الطفوف ومعها:

السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين.

وفاطمة بنت الامام الحسين بن على.

واختها سكينة بنت الحسين.

والرباب بنت امرؤ القيس الكلبيـة أم الرضـيع وهى الوحيدة من زوجات الحسـين عليه السـلام التى كانت حاضـرة فى الواقعة على اختلاف الروايات.

ورملة أم القاسم وزوجة الإمام الحسن المجتبى.

ورقية بنت الإمام الحسين وكانت طفلة صغيرة.

وحميدة بنت مسلم بن عقيل.

وأخريات غيرهن جئن مع الإمام إلى كربلاء.

أما المجموعة الثانية فتضم نساء مؤمنات كان حضورهن عرضياً لم يخضع لتنسيق مسبق أو برمجة سابقة.

وهؤلاء النساء شاءت الاقدار ان يكن ناصـرات للإمام ومن انصاره وبعضـهن كن حاضـرات فى أرض الطفوف؛ إذ إن ثلاثة من انصار الإمام كانوا قد جاءوا مع أُسـرهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وبقوا معه وهم عبد الله بن عمير الكلبى، وجنادة بن حرث الانصارى، ومسلم بن عوسـجة الأسدى وكان عبد الله بن عمير قد أخذ معه امه وزوجته إلى أرض كربلاء، مضافاً إلى هؤلاء كانت هناك طوعة التى نصرت وآوت مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام وكانت هناك دلهم بنت عمير وام وهب وأُخريات سنمرّ عليهن حينما نستعرض أدوارهن.

ومع نساء الطفوف هؤلاء تلمع اسماء أخرى كأم سلمة (رض) والنساء اللائى اقمن مجالس العزاء فى المدينة ومعهن أيضاً نستحضر صورة أم البنين فاطمـة بنت حزام الكلابيـة (أم العباس واخوته) على تفاوت ملحوظ فى الروايات بين من يؤكد حياتها عند استشـهاد الامام ومن ينفى ذلك.

لماذا حمل الإمام نساءه وعياله إلى كربلاء؟

كان أمام الإمام الحسين عليه السلام خياران بالنسبة لأسرته، فهو إما ان يحمل عياله ونساءه معه وإما ان يُبقى الجميع ويخرج بمفرده مع أولاده واخوته وباقى الانصار من رجال بنى هاشم. فإذا كان الأمر بأن يتركهم فى مكانهم ويهاجر بنفسه فلا شك فى أن السلطات الأموية ستحاول الاستفادة منهم كورقة ضاغطة على الإمام نفسه كى يسلم نفسه. كما فعل الامويون مع عمرو بن حمق الخزاعى حيث أسروا زوجته لمّا فرّ من ايدى السلطات الاموية الحاقدة.

وأيضاً حصلت هذه الحالة مع زوجة المختار التى اعتقلت هى الأخرى لارغام زوجها على الاذعان للسلطة الاموية الحاكمة.

فالامام لم يكن ليأمن على عياله ونسائه لو أبقاهم فى المدينة وخرج ثائرا.. وحتى لو أمن الامام على نسائه وعياله وأبقاهم فى مكانهم وخرج فى طلب الاصلاح فى ثورة يعلم مسبقا ان القوم يطلبونه ولو أمسكوا به فسيقتلونه لا محالة وسُيقتل مع اخوته وابناء عمومته فى أى مكان من الأرض وسيبادون جميعهم(1) ومن ثم لا يفهم أحد لماذا اصلاً خرج الإمام الحسين عليه السلام للثورة؟ ولماذا لم يبايع؟ وحتماً ستحاول السلطات الأموية التكتم على الأمر واستعمال آليات القتل الصامتة بأى شكل من الاشكال وبهذا يضيع دم الحسين عليه السلام وتضيع ثورته ورسالته وهذا المنطق لا يتناسب ايضا مع ماحمله الامام من مطالب صرح بها اكثر من مرة كقوله عليه السلام:

1- فيما قال لها (لأم سلمة): إنّى أعلم اليوم الذى أُقتل فيه والساعة التى أُقتل فيها وأعلم من يقتل من أهل بيتى وأصحابى أتظنين أنک علمت ما لم أعلمه وهل من الموت بد فإن لم أذهب اليوم ذهبت غدا. وقال لأخيه عمر الأطرف: إنّ أبى أخبرنى بأنّ تربتى تكون إلى جنب تربته أتظن أنک تعلم ما لم أعلمه. وقال لأخيه محمد بن الحنفية شاء الله أن يرانى قتيلاً ويرى النساء سبايا. (المقرم مقتل الحسين ص134).

إنی لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح فی أمة جدی صلی الله علیه وآله وسلم أرید أن آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر وأسیر بسیرة جدی وأبی علی بن أبی طالب، فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی بالحق ومن رد علیّ هذا اصبر حتی یقضی الله بینی وبین القوم وهو خیر الحاکمین.(1)

علی هذا یکون الخیار الثانی هو الاقرب لما یصبو الیه الامام من تغییر فی الواقع الاجتماعی والقیمی والانسانی.

ولنا ان نتصور الإمام کقائد ثورة یرید ان یقوم بحرکة واسعة تهز المجتمع کله وتهز الصرح الأموی من جذوره فقد یکون من الشاق علیه ان یسیر مع کوکبة من النساء والصغار والرضع فی سفر طویل. ولو کان سفر استجمام لما خلا من مشقة من جانب المسؤولیات والاعداد والتحضیر لمستلزمات السفر نفسه. فکیف بسفر الثورة التی یخطط لها الامام والتی یقدّر لها ان تکون فی ارض بعیدة عن مستقره الحالی؟.

لکن الإمام علیه السلام حمل نساء آل البیت علیهم السلام وحرائرهم.. وهو یعلم بما سیعانیه الجمیع من مشکلات الطریق الطویل والاوضاع الطارئة والتشنجات التی سیتعرض لها الجمیع لا محالة؛ لان هناک تخطیطاً مستقبلیاً للثورة، إذ لا یمکن للإمام علیه السلام ان یکون قد خطط لأوان الثورة والتی قد تقدر بسویعات محدودة فی عمر الزمن ویترک ما بعدها فالمهم نتائج الثورة وما ستفرزه من احداث ووقائع علی ارض الواقع فهو علیه السلام حتماً کان قد خطط لما بعد الثورة فی امتداداتها المتعددة وفی کیفیة التعریف بها وکیفیة تحقیق أهدافها، فاذا کانت نهایة هذه الجولة التضحویة هو الانکسار العسکری فلابد ان یسعی لأن یحقق لها نجاحاً اجتماعیاً وثقافیاً وحضاریاً علی المدی الطویل من الزمان والمکان..

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص 139.

ومن هنا كان الخيار الثانى بأن يأخذ العيال والنساء معه هو الخيار الأكثر تناسباً مع الثورة والأكثر انسجاماً مع ما كان يخطط له الإمام عليه السلام. فالامام عليه السلام ما كان همه الثورة فى وقتها فحسب ولكن كان يهدف إلى تحقيق التواصل الزمنى البعيد المدى لدى الأمة مع الثورة (فى نوع من الامتداد الواعى الشعورى الذى يخترق ايدولوجيات الزمن لكى تبقى نابضة قادرة على ضخ الدم النقى المحرك للحياة) وهذا ما حصل فهو إذاً حمل عياله ونساءه لأدوار أُعدوا لها مسبقاً ولمهام مرت صورتها فى عقلهم الواعى والباطن قبل أو ان الثورة.

لقد حمل الامام معه جملة من المبلغات اللائى كانت الواقعة بحاجة إلى خطابهن تماماً كما كانت الثورة بحاجة إلى دمه وتضحيته والى هذا يشير الشيخ مرتضى مطهرى فى كتابه الملحمة الحسينية «التكتيک التبليغى هو حمله لاهله وعياله وأولاده فى القافلة الحسينية وبهذه الطريقة يكون قد استخدم العدو استخداما غير مباشر من خلال فرض هؤلاء الناس كحربة تبليغية ورسل دعاية للاسلام الحسينى ضد يزيد»..

ويضيف: أن الإمام استخدم عدداً من المبلغين الذين اخذهم العدو بيده وبإرادته لينفذوا إلى قلب حكومة العدو فى الشام وهو بحد ذاته تكتيک يفوق التصور الاعتيادى».(1) فالإمام لم يأخذ معه نساء عاديات انما أخذ معه نساء واعيات مؤمنات بثورته وهن ايضا مبلغات يمتلكن ادوات التبليغ السليم لِيُعَرِّفْنَ الناس بالقضية والثورة وأهدافها واسبابها ويكشفن النقاب عن الوجه الاموى الاسود وليكنَّ سبباً لهزّ الوضع العام وتحريكه وضخ القيم الجديدة وتخليد النهضة الحسينية فى الوجدان الشعبى كل هذه القرون.

ولقد استوقفه كثيرون وحاولوا ثنى الامام عن اخذ النساء معه لكنه أصرَّ على أن

1- مرتضى مطهرى، الملحمة الحسينية، ح1، ص 209.

تكون النساء ضمن قافلته وقال له عبد الله بن عباس: فإن عصيتنى وأبيت إلا الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءک وولدک معک.(1)

وقال لأخيه محمد بن الحنفية: شاء الله أن يرانى قتيلاً ويرى النساء سبايا

فلمّا كان فى السّحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلک ابن الحنفيّة فاتاه فاخذ زمام ناقته التى ركبها فقال له: يا اخى ألم تعدنى النّظر فيما سألتک؟ قال: بلى، قال: فما حداک على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتک فقال: يا حسين عليه السلام أخرج فانّ الله قد شاء ان يراک قتيلاً فقال له ابن الحنفية إنّا لله وانّا إليه راجعون فما معنى حملک هؤلاء النساء معک وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لى: إنّ الله قد شاء ان يراهنّ سبايا...(2)

من ناحية أخرى لو سلمنا بأن الإمام عليه السلام لم يشأ أن يأخذ معه النساء والعيال.. فما هى ردة فعل النساء أنفسهن؟ ماذا سيصنعن لو جاءهنّ رسول يخبرهن بمقتل الحسين عليه السلام فى هذه الفلاة الواسعة؟ هل سيكون لهؤلاء النساء دور سوى النواح والبكاء؟. ومن المؤكد ان هذا البكاء سيكون فى المدينة وحدها ولأيام معدودة من الزمن كما حدث مع باقى الأئمة عليهم السلام وينتهى كل شىء!! حينئذ لن يكون للنساء دور فى القضية أبداً. ولا تبقى للنساء أية مهام أو مسؤوليات أمام هذه الثورة التى ستستباح فيها كل المقدسات بما فى ذلک المعصوم نفسه.. وستبقى صورة المرأة السلبية المنـزوية عن هموم الامة والتى لا تعيش حتى لذاتها؛ إذ كيف يمكن بناء الذات بمعزل عن الحياة الاجتماعية وعن الاهتمام بشؤون المسلمين؟. فهذه الصورة الهامشية لا تتناسب ابدا مع شخصية نساء أهل البيت عليهم السلام واللائى عاش

1- المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ج3، ص 65.

2- ابن طاووس، اللهوف، ص 64.

بعضهن كثيراً من أوجاع الامة المسلمة وبخاصّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأول الاوجاع ظلامة الزهراء عليها السلام.

وهنا لابد من اشارة وهى ان الامام كان قد اطمأنّ إلى الوعد الالهى بصيانة هؤلاء المخدرات وبأنهنّ سيكنّ بعيدات عن الاذى، ونجد ذلك واضحا من خلال وصيته للنساء لما ودعهن وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم.(1)

المرأة اذاً طالبت بالذهاب مع الامام لنصرته واستعدت للخروج إلى كربلاء قائلة: «يا ابن عباس، تشير على سيدنا بأن يخلفنا ها هنا، ويمضى وحده لا والله بل نحيا معه، أو نموت.. وهل أبقى الزمان لنا غيره.. لا نفارقه أبداً حتى يقضى الله ما هو كائن».(2) وهى تعرف ما ينتظرها من ظروف قاسية ومهام ثقيلة وبهذا تكاملت الإرادة من جانبين؛ فمن جانب أراد الإمام للثورة ان تستمر فى اشتعالها وازدياد شرارتها ووضوح معانيها ولا أحد يسهم فى توضيح مفردات الثورة غير هؤلاء النساء، كما سيأتى ضمن الدور الاعلامى. ومن جانب آخر علمت النساء وبخاصة السيدة زينب عليها السلام ان الإمام انطلق إلى نهضة إصلاحية كبرى فى أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم وفى هذه النهضة الإسلامية الاصلاحية لابد ان يكون للمرأة محط قدم فى التأثير والبلاغ. وإلى هذا يشير الشيخ عبد الوهاب الكاشى بالقول:

إن الحسين عليه السلام كان يعرف انه إذا قتل فلا يوجد رجل فى العالم الإسلامى يمكنه ان يتكلم بشىء ضد سياسة الأمويين مهما كان عظيماً حيث إنهم قطعوا الألسن وكمّوا الأفواه فكان قتله سدى وقد لا يعرف أحد من المسلمين ما جرى عليه.. فأراد الحسين عليه السلام ان يحمل معه ألسنة ناطقة بعد قتله لتنشر أنباء تلك

1- المقرم، مقتل الحسين, ص 276.

2- محمد بحر العلوم، فى رحاب السيدة زينب، ص 108.

التضحية فى العالم الإسلامى ومذياعاً سياراً يذيع تفاصيل تلك المأساة الإنسانية والجرائم الوحشية، فلم يجد سوى تلك المخدرات والعقائل اللواتى سبين وسيرّن بعد الحسين عليه السلام فى ركب فظيع مؤلم يجوب الأقطار يلقين الخطب فى الجماهير وينشرن الوعى بين المسلمين وينبهن الغافلين ويلفتن أنظار المخدوعين ويفضحن الدعايات المضللة حتى ساد الوعى وتنبه الناس الى فظاعة الجريمة وانهالت الاعتراضات والانتقادات على يزيد والأمويين من كل الفئات والجهات(1). وهذا بالضبط ما أراده الإمام من خلال حمله للنساء والعيال، وهذا ما حصل أيضاً إذ لولا وجود هذه الثلة المباركة لما تم كشف القناع عن يزيد ورفع الستار عن جرائم الأمويّين.

ان وجود المرأة فى مناطق النــزاعات غالباً ما يكون عامل تحريک للرأى العام وعامل تعريف بجرائم العدو، ولهذا نجد أنّ الإعلام إذا ما اراد ان يظهر بطش الحاكم وطغيانه فانه يعرض صوراً لنساء معذبات أو مقتولات أو أطفال يبكون ويستصرخون ويصرخون.. صور من الممكن ان تهز الضمير الاجتماعى وتحدث فيه حركة باتجاه المطلوب، بمعنى ان وجود المرأة فى النــزاعات المسلحة والحروب غالبا مايكون عاملاً لكشف وحشية العدو ومجازره وبشاعته ولنا ان نستعرض فى ذاكرتنا ما كان يبث من صور عن المعارک التى شهدها القرن المنصرم وبداياته والتى يستخدم فيها مونتاجاً خاصاً لعرض بكاء الامهات وذهول الزوجات وانين البنات. ولهذا اهتزت الكوفة لما جاء ركب الحسين عليه السلام وارتجت لمرأى الأطفال الذين ترتعد فرائصهم واصفرت وجوههم، وماجت للحرائر المخدرات اللواتى ارتسم الحزن على وجوههن وبان ثقل الدموع فى مآقيهن وازداد الآلم حينما جادت عليهن الكوفيات بالإزر والمقانع وضج الناس بالبكاء والعويل حينما ازيح الستار عن القناع الاموى، فهؤلاء لسن سبايا

1- الشيخ عبد الوهاب الكاشى، مأساة الحسين بين السائل والمجيب، ص 80.

الخوارج والديلم كما قال ابن زياد انما هن سبايا آل البيت عليهم السلام!!.

على هـذا يمكن الإقرار بأن الامام عليه السـلام أخـذ النساء معه كى يؤدين ادواراً مهمة لنصـرة الثورة أو بالاحرى كانت ادوار النساء ضـمن البرنامج التخطيطى لقائد الثورة الذى لم يكن يفكر بانه سـينُهى المواجهة بعدم مبايعته ليزيد، من ثم استشهاده بل لابد من توجيه الأمة إلى قيم جديدة وتربويات مطلوبة. ولم يكن لهذه المهمة الصـعبة من يؤديها سوى هؤلاء النساء وعلى رأسهن السيدة زينب عليها السلام، وهذا يشير إلى ثقته الكاملة بأُخته وبأن هؤلاء النساءهن موضع اعتماد وهن قادرات على أداء التكاليف المطلوبة.

وقـد ذكر المرحوم كـاشف الغطاء: لو قتل الحسـين هو وولـده، ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر فى تلك المقامات بتلك التحـديات لما تحقق غرضه وبلغ غايته فى قلب الدولة على يزيد.(1)

إذن كانت هناك أدوار مهمة ومسؤوليات خطيرة ولم يكن هناك من هو قادر على القيام بهذه المهام سوى السيدة زينب عليها السلام وباقى نساء أهل البيت. ولو اردنا ان نعرف ما هو التفاوت بين رؤية الإمام عليه السـلام ورؤية المفكرين المعاصـرين من خلال اسـتعراض تجارب الإسـلاميين أنفسـهم والذين حملوا فكر الإسـلام فى وقت صـعب وتحديات جسيمة، لكن مشكلتهم انهم لم يفهموا دور المرأة فى الحياة والثورة ولم يحسـبوا لها حساباً فى ما قدموه من اطروحات نهضوية حصروا المرأة من خلالها فى زوايا محددة وعزلوها عن شؤون نهضتهم. فعموم الحركـات الإسـلامية فى القرن العشـرين كـانت تقصـى المرأة عن جـانب اهتماماتها تحت رؤى متعـددة منها عـدم تصور اهليتها وكفاءتها بل تصوروا ان مكانها بيتها فقط!. ومنها عدم الثقة بها؛ لأنهم كانوا يرونها

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام 298 - 2 : 297 - 2.

عاملاً من عوامل افشاء الأسـرار لا أكثر وبهذا طغت الهواجس والرؤى السـلبية النابعة من الموروث الاجتماعى على خارطة تفكيرهم، وكم وجدنا قادة مسـلمين كباراً ومراجع عظاماً لكن نساءهم لا يفقهن من الحياة شيئاً؛ إذ كانت عقولهن هواء وافئدتهن خواء!. وبهذا عطلوا المرأة عن الوعى والمعرفة والفهم. فكيف تستطيع امرأة لا يتجاوز تفكيرها جدران بيتها ولا يطال وعيها المساحات الدينية الواسعة للحياة ان تنشئ جيلاً إسلامياً سامياً قادراً على أداء ادوار عُلى؟.

بهـذا يمكن القول: ان واقعة الطفوف كانت بحاجة إلى تواجد المرأة كى تنجح الثورة، وبحاجة إلى حضور نسائى متميز لا يجزى عنه الرجل أبـداً. فمن المعلوم ان الإمام لو اصـطحب الكثير من الرجال لأبيدوا بكاملهم وبهذا جاء حمل النساء كدلالة على تخطيط مسـتقبلى للثورة فيما يمكن ان تؤديه النساء من أدوار تـدور ضـمن مصـلحة الإسـلام الكبرى والإيمان بمبادئ الإمام فى الإصـلاح والتغيير، فهو إذن اجتياز للدائرة المحددة التى تشمل حياة المرأة الخاصة ضمن (حسن التبعل) ولكنها لا تلغى شخصية المرأة نفسها أو أهدافها الممتدة فى الحياة أو مسؤولياتها العديدة. وكان الحضور النسائى متميزاً فى نساء عرفن بالعلم والمعرفة والبلاغة والفصاحة والصبر الجميل إلى غير ذلک، وبذلک نجح الرجل (الإمام وانصاره) فى تضـحيته كما نجحت المرأة «زينب عليها السلام» فى التبليغ والإعلام الموجه، ولم تكن الأدوار التقليدية للنساء كالأمومة والزوجية عائقاً أمام تحقيق نجاح أوسع ضمن دائرة الأهداف العامة ابدا بل كانت هذه الادوار سبباً لاضفاء مزيد من الحزن والتفجع على ما جرى فى الطفوف، فهؤلاء النساء قـدمن الغالى والنفيس بل ضـحين بالولـد والاخ والزوج لنصـرة الثورة فى زمن تقاعس فيه الاشاوس من الرجال عن نصـرة الامام الذى كانوا يسـمعون استغاثته!. وبهذا تحولت الأدوار التقليدية التى تضجر منها المرأة المعاصرة إلى أدوار رسالية ومحطات انطلاق لرسم هوية ثائرة للمرأة المسلمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

أدوار النساء فی ملحمة الطفوف

اشارة

كان لنساء الطفوف ضـمن المجموعتين اللتين عرضـناهما أدوارٌ متعددة ظهر بعضـها قبل الواقعة وبعضها فی أثنائها وبعدها. وكانت الأدوار النسائية واضحة متميزة رغم ان عدد النساء اللائی يدخلن ضمن المجموعتين كان معدوداً ومحدوداً أيضاً.

اما أهم الأدوار النسائية فی الواقعة فهی:

1 . دور نصرة الثورة.

2 . دور المتابعة والحماية.

3 . الدور القيمّی.

4 . الدور الاعلامی.

5 . رواية المقتل الحسينی.

6 . اعلان الحداد العام.

1 - دور نصرة الثورة ودعمها بشتی الوسائل

ألف - دور حرائر أهل البيت فی نصرة الإمام الحسين عليه السلام ونصرة ثورته

وهذا ما نلمسه من خلال اصـرارهن على المجیء مع الإمام عليه السلام إلى كربلاء ومتابعة شؤون هذا السفر الطويل وهو ما سنمر عليه فی تشعبات مستقبلية.

لكن العجيب ان الإمـام عليه السـلام لما خرج من المدينـة لم يكن معه سوى عشـيرته! ونفس الشـیء حصل لما خرج من مكـة!، لم يكن هناک الموالون الـذين كان يُتوقع ان يـذهبوا معه!، وقد بقی الناس فی أماكنهم حتى لما جاءهم خبر عزمه على الذهاب الى كربلاء فيما بعد فلِمَ لم يتبعوه؟ وهذا أمر يثير التساؤل اذ يرى بعض كتاب

التاريخ ان مقولة الإمام عليه السلام لبعض من نهوه عن حمل النساء معه (شاء الله ان يراهن سبايا) انها كانت اعلانا عن ما ينتظرهم من تحديات ومنعطفات صعبة فهو سيقتل وهؤلاء النساء سيتم اسرهن، إذن الأمر يحتاج إلى نصرة.. وكأنه قدم رسالة لهم ان الحال هذه فلو نصرتمونا ونصرتم نساء بيت الوحى لكان خيراً لكم، ولكن لم يفهم الناس هذه الرسالة وقتها أو ربما لم يريدوا فهمها او انهم فهموها فقدموا لانفسهم الاعذار فبقوا فى ديارهم قاعدين!. وبعد ان استشهد الإمام عليه السلام عضوا أصابعهم من الندم!

جاء فى المقتل الحسينى:

ولما استقر المجلس بأبى عبد الله حمد الله وأثنى عليه وقال: يا ابن الحر ان أهل مصركم كتبوا إلى انهم مجتمعون على نصرتى وسألونى القدوم عليهم وليس الأمر على ما زعموا، وان عليک ذنوباً كثيرة، فهل لک من توبة تمحو بها ذنوبک؟

قال: وما هى يا ابن رسول الله؟، فقال: تنصر ابن بنت نبيک وتقاتل معه.

فقال ابن الحر: والله انى لأعلم ان من شايعک كان السعيد فى الآخرة ولكن ما عسى ان اغنى عنک، ولم اخلف لک بالكوفة ناصراً، فانشدک الله ان تحملنى على هذه الخطة، فان نفسى لا تسمح بالموت! ولكن فرسى هذه «الملحقة» والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبنى أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهى لک.

قال الحسين: أما اذا رغبت بنفسک عنا فلا حاجة لنا فى فرسک ولا فيک وما كنت متخذ المضلين عضدا وإنى أنصحک كما نصحتنى، ان استطعت أن لا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا اكبه الله فى نار جهنم.

وندم ابن الحر على ما فاته من نصرة الحسين عليه السلام فأنشأ:

أيا لک حسرة مـا دمت حيّـاً

تردَّد بيـن صـدری والتـراقی

غداةَ يقول لی بالقصـر قـولا

أتتركنـا وتـعـزم بـالفـراق

حسين حين يطلب بذل نصری

علی أهـل العـداوة والشقـاق

فلـو فلـق التَّلهُّف قلب حـرٍّ

لهمَّ الیـوم قلبـی بـانـفـلاق

ولـو واسيتـه يوماً بنفسـی

لنـلت كـرامـةً يـوم التَّـلاق

مع ابن محمد تفـدیـه نفسـی

فـودع ثـم أسـرع بـانطلاق

لقد فاز الأولی نصـروا حسينـاً

وخاب الآخـرون ذوو النفـاق(1)

لقد كانت هذه فرصة للكثير لتحصيل أعلی درجات الحياة الآخرة ولكنها لم تجد اذناً واعية!.

وبذلک تقدمت هؤلاء النساء العظيمات دون ان يبدين أی تردد أو تلكؤ لنصرة الإمام ومعهن أولادهن. والسيدة زينب عليها السلام وزوجها عبـد الله بن جعفر بن أبی طالب والذی كان مريضاً لكنه ارسل أولاده مع خالهم إلی معترک النضال. وأم البنين (علی اختلاف الروايات فی عمرها وفی زمن وفاتها) والتی ارسـلت أولادها الأربعـة ومنهم العباس حامل راية الإمام ورملة زوجة الامام الحسن المجتبی عليه السـلام والتی جندت ولدها القاسم لنصرة الامامة.

باء - دلهم بنت عمير

وهی زوجة زهير بن القين وكانت امرأة صالحة وكانت معه فی سـفره وكان زهير عثمانی الهوی مما جعله يتحاشـی الامام فی المسـير. يقول

السيد ابن طاووس:

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص 190.

... ثمّ سار (علیه السلام) فحدّث جماعة من بنی فزارة وبجیلة قالوا: کنّا مع زهیر ابن القین لمّا اقبلنا من مکّة فکنّا نسائر الحسین علیه السلام حتّی لحقناه فکان إذا أراد النّزول اعتزلناه فنـزلنا ناحیة فلمّا کان فی بعض الأیّام نزل فی مکان لم نجد بداً من أن ننازله فیه فبینا نحن نتغذّی من طعام لنا إذ اقبل رسول الحسین علیه السلام حتّی سلّم ثمّ قال: یا زهیر بن القین إنّ أبا عبد الله الحسین علیه السلام بعثنی إلیک لتأتیه فطرح کلّ إنسان منّا ما فی یده حتّی کأنّ علی رؤوسنا الطیر فقالت له زوجته وهی دیلم بنت عمرو:

سبحان الله أیبعث إلیک ابن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ثم لا تأتیه؟ فلو اتیته فسمعت من کلامه فمضی إلیه زهیر بن القین فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلی الحسین علیه السلام وقال لامرأته أنت طالق فانّی لا أحبّ ان یصیبک بسببی إلا خیر وقد عزمت علی صحبة الحسین علیه السلام لافدیه بنفسی وأقیه بروحی ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلی بعض بنی عمّها لیوصلها إلی أهلها فقامت إلیه وبکت وودّعته وقالت کان الله عوناً ومعیناً خار الله لک اسألک ان تذکرنی فی القیامة عند جدّ الحسین علیه السلام فقال لاصحابه من أحبّ أن یصحبنی وإلا فهو آخر العهد منّی به.(1)

ویفرح زهیر بولائه للإمام بقوله لعزرة الذی ارسله ابن سعد نحو الحسین علیه السلام: یا عزرة، إن الله قد زکاها وهداها فاتّقِ الله یا عزرة فانی لک من الناصحین، أنشدک الله یا عزرة أن لا تکون ممن یعین أهل الضلالة علی قتل النفوس الزکیة.

ثم قال عزرة: یا زهیر ما کنت عندنا من شیعة أهل هذا البیت إنما کنت علی غیر رأیهم قال زهیر: أفلست تستدل بموقفی هذا أنی منهم أما والله ما کتبت إلیه کتاباً قط

1- السید الجلیل ابن طاوس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص 71 - 73.

ولا أرسلت إليه رسولاً ولا وعدته نصرتی ولکن الطریق جمع بینی وبینه فلما رأیته ذکرت به رسول الله ومکانه منه وعرفت ما یقدم علیه عدوه فرأیت أن أنصره وأن أکون من حزبه واجعل نفسی دون نفسه لما ضیعتم من حق رسوله.

زهیر الذی کان یتحاشی الامام الحسین تراه یقف مدافعا عنه امام القوم حیث یدعوه الناس للتخلی عن النصرة فی حین یقول: والله وددت انی قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتی اقتل کذا الف مرة، وان الله عز وجل یدفع بذلک القتل عن نفسک وعن انفس هؤلاء الفتیان من أهل بیتک.(1)

ونال زهیر وسام الشهادة وبقی اسمه خالداً مع الشهداء ومع انصار الحسین علیه السلام ولزوجته المؤمنة الموالیة الاثر الکبیر فی ذلک فهی التی کانت تحثه علی لقاء الإمام الحسین علیه السلام وهی التی کانت تعاتبه حینما کان معرضا عنه فی المسیر. فالمرأة الصالحة هی التی تدفع زوجها لتحصیل الجنان رغم ان الأمر لیس بالهین أبداً. فأواصر الحب الزوجی تبقی قویة یشوبها حرص اقوی علی الشریک وخوف من الفقدان والفراق لکن کل العلاقات تذوب وتتسامی امام نصرة الدین والعقیدة، فکیف تسامت هذه المرأة لتجعل ارادة الله فوق ارادة قلبها ولتعود إلی قومها بمفردها تارکة الزوج الحبیب یحث الخطی نحو مذبح الشهادة. ولما ودعته قالت له: کان الله عوناً ومعیناً خار الله لک أسألک ان تذکرنی فی القیامة عند جدّ الحسین علیه السلام.

وبهذه الکلمات القصار تکشف عن ایمانها العمیق بالله وعن ولائها لاهل البیت علیهم السلام.. انه قلبها الذی قال لها انه الفراق الأبدی والموعد الدار الآخرة ورغم ذلک زفت زوجها الی میدان الحرب فاستحقت الأجر العظیم والخلود فی ذمة التاریخ.

1- المقرم، 214.

جیم - دور طوعة فی نصرة مسلم بن عقیل سفیر الإمام الحسین علیه السلام

طوعـة یقال لها أم ولـد کانت للاشـعث بن قیس فاعتقها وتزوجها اسـید الحضـرمی فولـدت له بلالا، کان مع الناس، وامه واقفة علی الباب تنتظره وقف مسـلم علی بـاب البیت والحیرة تسـیطر علی مشاعره، والخجل یحوط شـفتیه، طلب الماء منها، جاءته بالماء، شـرب ثمّ جلس علی باب الـدار لا یـدری أین یتوجّه؟ أثار وضـعه الحائر، وسـیماء الغربـة علیه، وجلوسه عنـد باب البیت، انتباه طوعة، فراحت تتساءل، ألم تشـرب الماء؟ إذن لِمَ لا تنصـرف؟ فأجاب: انّه غریب لیس له دار، ولا أهل فی هذا البلد، ثمّ عرفها بنفسه: (أنا مسلم بن عقیل بن أبی طالب سفیر الحسین، ورسوله إلی الکوفة وابن عمه). فتحت له باب البیت ثمّ أدخلته فاختبأ لیقضی لیلته، وینظر ماذا سیکون الغد.(1)

اسـتضافها فأضافته بعـد ان عرَّفها انه لیس له فی المصـر أهل ولا عشـیرة وأنه من أهل بیت لهـم الشـفاعة یوم الحساب فأدخلته بیتاً غیر الذی یأوی إلیه ابنها وعرضت علیه الطعام فأبی وانکر ابنها کثرة الـدخول والخروج لذلک البیت فاسـتخبرها فلم تخبره إلا بعد ان حلف لها کتمان الأمر.

وعند الصباح اعلم ابن زیاد بمکان مسلم فأرسل ابن الأشعث فی سبعین مع قیس لیقبض علیه، ولما سمع مسلم وقع حوافر الخیل عرف انه قد أُتی(2) فعجل دعاءه الذی کان مشـغولاً به بعد صـلاة الصبح ثم لبس لامته وقال لطوعة: قد أدیت ما علیک من البر واخذت نصیبک من شفاعة رسول الله ولقد رأیت البارحة عمی أمیر المؤمنین فی المنام وهو یقول لی: أنت معی غداً.(3)

1- ذکر هذه الأحداث الطبری، تاریخ الأمم والملوک، ج 4، ص 277 و278.

2- المقاتل لأبی الفرج وتاریخ الطبری، ج1، ص 210، ومقتل الخوارزمی، ج 1، ص 208، فصل 10.

3- نفس المهموم، ص 56.

والعجب انه ليس هناک بيت يؤوى مسـلماً فی الكوفة كلها!! فالشـيعة الخُلص كانوا فی السجون وباقی الناس اقعدهم الخوف واغراهم المال عن النصـرة ولما اسـتبدت الحيرة بمسـلم لم يجـد خيارا سوى ان يقف بجوار بيت لا يعلم من هم اصـحابه! فتكون هذه المرأة الموالية هی الناصرة له وهی المضيفة له. ولكن ابنها الذی آثر الدنيا هو الذی يشی بمسلم ويرسل خبره إلى ابن زياد ويكون سبباً للايقاع به.

عجباً لهـذه المرأة العظيمة التی لم يداخلها الخوف الذی جثم على قلوب الناس فأبوا ان يضـيفوا من دعوه الى بيوتهم ومن وعدوه بالنصـرة!! لكن الموقف يشير الى قوة التفكير وإلى دعم قوى للرسالة رغم خطورة المرحلة.

دال - دور ام وهب فی نصرة آل البيت عليهم السلام

وهی زوجة عبد الله بن عمير الكلبی المكنى بأبی وهب جاء فی المقتل:

فلما اخـذت زوجته ام وهب بنت عبـد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فـداک ابی وأمی قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسـلم فـأراد ان يردهـا إلى الخيمـة فلم تطـاوعه وأخـذت تجـاذبه ثوبه وتقول: لن ادعـک دون ان اموت معـک فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعی إلى الخيمة فانه ليس على النساء قتال فرجعت.(1)

وحمل الشـمر فی جماعة من اصـحابه على ميسـرة الحسـين فثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبی فقتل تسعة عشر فارساً واثنی عشر راجلاً وشد عليه هانی بن ثبيت الحضرمی فقطع يده اليمنى وقطع بكر بن حی ساقه.

فأخـذ أسـيراً وقتل صبراً، فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لک الجنة اسأل الله الذی رزقک الجنة ان يصحبنی معک فقال

1- الطبری، ج1، ص 245؛ وابن الاثير، ج 4، ص 37.

الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهى أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.(1)

ويضيف المقرم فى المقتل قائلا:

وقطع رأسه ورمى به إلى جهـة الحسـين فأخـذته امه ومسـحت الـدم عنه ثم أخـذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء فردها الحسـين وقال: ارجعى رحمک الله فقد وضع عنک الجهاد فرجعت وهى تقول: اللهم لا تقطع رجائى فقال الحسين: لا يقطع الله رجاءک.(2)

وهنا لابـد من تأمل صـغير فقـد كانت هذه المرأة حاضـرة مع زوجها فى كربلاء وقد همت بان تقاتل دفاعاً عن الحسـين عليه السـلام لكن الإمام لم يسمح لها بالقتال، فما على المرأة من قتال، لكن الشهادة كانت مذخورة لها فإذا بها المرأة الوحيدة التى قتلت مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام!. يالعظمة النساء يقتل الزوج والولد وتبقى تقاتل الرجال دفاعا عن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!.

ولا أدرى لماذا اصـطحب ابو وهب زوجته وامه إلى أرض المعركة وهو يعرف ان قتالاً حامياً سـيدور وقد جاء لنصرة الإمام وارجح الظن انه لما سـمع ان الحسـين عليه السـلام جاء بعياله ونسائه إلى كربلاء اخذ هو أيضاً عائلته معه كى تكون إلى جوار حرائر الوحى فى ذلک الوقت العصيب، وما أكثر الآفلين فى موقع الخطوب! وما أكثر الأصدقاء الذين يفرون بعيداً حين تقع النائبات!.

وما أكثر الأخوان حين تعدهم

ولكنهم فى النائبات قليل

1- الطبرى، ج6، ص251، وفى مسند أحمد ج2، ص 100، طبعـة أولى عن ابن عمر: مرّ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فى غزاة غزاها بامرأة مقتولة فنهى عن قتل النساء والصبيان.
2- المقرم , مقتل الحسين ص242.

هاء - ام عمرو بن جنادة الانصارى

جاء فى المقتل الحسينى:

وجاء عمرو بن جنادة الانصارى بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه فى الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلک قال الغلام: ان أمى امرتنى فإذن له فما أسرع أن قتل ورمى برأسه إلى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وانشأت:

إنّى عجوز فى النسا ضعيفة

خاوية بالية نحيفة

اضرب كم بضرب ة عنيفة

دون بنى فاطمة الشريفة

فردها الحسين إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين.(1)

واو- دور مارية بنت منقذ العبدى

وهى «مارية» أبنة سعد أو منقذ على اختلاف الروايات وهى من الشيعة المخلصين ودارها مألف لهم يتحدثون فيه فضل أهل البيت وقد قتل زوجها وأولادها يوم الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام. ولما بلغها أن الحسين عليه السلام كاتب أشراف أهل البصرة ودعاهم إلى نصرته جاءت وجلست بباب مجلسها وجعلت تبكى. حتى علا صراخها فقام الناس فى وجهها وقالوا لها: ما عندک ومن أغضبک؟ قالت: ويلكم. ما أغضبنى أحد. ولكن أنا امرأة ما أصنع. ويلكم سمعت أن الحسين ابن بنت نبيّكم استنصركم وأنتم لا تنصرونه. فأخذوا يعتذرون منها لعدم السلاح والراحلة. فقالت: أهذا الذى يمنعكم؟ قالوا: نعم؛ فالتفتت إلى جاريتها وقالت لها: انطلقى إلى

1- المقرم، ص 253.

الحجرة وآتينى بـالكيس الفلانـى، فـانطلقت الجاريـة وأقبلت بالكيس إلى مولاتها. فاخـذت مولاتها الكيس وصـبته وإذا هو دنانير ودراهم. وقالت: فليأخذ كل رجل منكم ما يحتاجه وينطلق إلى نصرة سيدى ومولاى الحسين.

قال الراوى: فقام عبد الله الفقعسى وهو يبكى - وكان عنده أحد عشر ولداً - فقاموا فى وجهه وقالوا: إلى أين تريد؟

قال: إلى نصرة ابن بنت رسول الله. ثم التفت إلى من حضر وقال: ويلكم هذه إمرأة أخذتها الحمية وأنتم جلوس؟ ما عذركم عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة؟.

قال: ثم خرج من عندها وتبعه من ولده أربعة فأقبلوا يجدون السير. حتى استخبروا بأن الحسين عليه السلام ورد كربلاء. فجاء الشيخ بأولاده إلى كربلاء ورزقوا الشهادة.

وفى روايـة اخرى انها لما قالت كلمتها قال يزيد بن نبيط وهو من عبد القيس لأولاده وهم عشـرة: أيكم يخرج معى؟ فانتدب منهم اثنان عبد الله وعبيد الله، وقال له أصـحابه فى بيت تلك المرأة نخاف عليك أصـحاب ابن زياد، قال: والله لو اسـتوت اخفاقها بالجدد لهان على طلب من طلبنى(1) وصحبه مولاه عامر وسيف بن مالك والادهم بن أمية((2) فوافوا الحسين بمكة وضموا رحالهم إلى رحله حتى وردوا كربلاء وقتلوا معه.(3)

وقد ذكر ابن الأثير هذا الاجتماع وسجّله فى كتابه الكامل فى التاريخ:

1- تاريخ الطبرى، ج1، ص 198.

2- المقرم عن- ذخيرة الدارين، ص 224.

3- عبد الرزاق الموسوى المقرم، مقتل الحسين، ص 144.

(واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة فی منـزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعدة وكانت تتشيّع، وكان منـزلها لهم مألفاً(1) يتحدّثون فيه، فعزم يزيد بن نبيط على الخروج إلى الحسين عليه السلام، وهو من عبد القيس، وكان له بنون عشرة، فقال لهم: أيكم يخرج معی؟ فخرج معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فساروا فقدموا عليه بمكّة ثمّ ساروا معه فقتلوا معه).(2)

زاء - دور النساء النادبات على الإمام عليه السلام فی منع تعيين عمر بن سعد والياً على الكوفة

ذكر صاحب المقتل الحسينی:

وكان من صنع المختار معه (مع عمر بن سعد) انه لما أعطاه الامان استأجر نساء يبكين على الحسين ويجلسن على باب دار عمر بن سعد، وكان هذا الفعل يلفت نظر المارة إلى ان صاحب هذه الدار قاتل سيد شباب أهل الجنة، فضجر ابن سعد من ذلک وكلم المختار فی رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا يستحق الحسين البكاء عليه(3)، ولما اراد أهل الكوفة ان يؤمروا عليهم عمر بن سعد بعد موت يزيد بن معاوية لينظروا فی امرهم جاءت نساء همدان وربيعة، إلى الجامع الأعظم صارخات يقلن ما رضی ابن سعد بقتل الحسين حتی اراد ان يتأمر فبكی الناس واعرضوا عنه.(4)

1- مألفاً: مقرّاً للاجتماع.

2- المقرم ,مقتل الحسين ص144 نقلا عن الطبری، تاريخ الأمم والملوک، ج 4، ص 263؛ وابن الأثير، الكامل فی التاريخ، ج 4، ص 21.

3- العقد الفريد، باب نهضة المختار.

4- المقرم ص206 نقلا عن مروج الذهب، ج2، ص 105، فی اخبار يزيد.

حاء - ام سلمة تبكى الإمام عليه السلام

رأت أم سلمة(1) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام أشعث مغبراً وعلى رأسه التراب.

فقالت له: يا رسول الله ما لى أراك أشعث مغبراً؟ قال: قتل ولدى الحسين وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه(2)، فانتبهت فزعة ونظرت إلى القارورة التى فيها تراب أرض كربلاء فإذا به يفور دما(3) وهو الذى دفعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم إليها وأمرها أن تحتفظ به وزاد على ذلک سماعها فى جوف الليل هاتفاً ينعى الحسين عليه السلام فيقول:

1- المقرم ص290 نقلاـ عن ابن الأثير فى الكامل ج2_ ص 38: يستقيم هذا بناء على وفاتها بعد الخمسين، وفى الاصابة ج4، ص460 بترجمتها عن ابن حبان ماتت ام سلمة سنة 61، وقال أبو نعيم: ماتت سنة 62 وهى آخر امهات المؤمنين، وعند الواقدى: ماتت سنة 59 وفى تهذيب الاسماء للنووى ج2، ص 362 عن احمد بن ابى خيثمة: ماتت فى ولاية يزيد بن معاوية وفى مرآة الجنان لليافعى ج1، ص 137: توفيت ام سلمة ام المؤمنين سنة 61، وابن كثير فى البداية وان تبع الواقدى الا انه قال الأحاديث المتقدمة فى مقتل الحسين تدل على انها عاشت إلى ما بعد مقتله، وفى عمدة القارى للعينى شرح البخارى ج1، ص 427 آخر بحث القنوت: ان ام سلمة ماتت فى شوال سنة تسع وخمسين وفى تهذيب تاريخ ابن عساكر ج1، ص 341: عن الواقدى ماتت ام سلمة قبل مقتل الحسين بثلاث سنين ولكن فى اصول الكافى عن أهل البيت: ان الحسين اودعها ذخائر الامامة واوصاها ان تدفعها إلى زين العابدين عليه السلام وفى سير اعلام النبلاء للذهبى ج2، ص 142: ام سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر من مات من امهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلک وغشى عليها وحزنت عليه كثيراً ولم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى الله تعالى.

2- امالى الشيخ الطوسى ص 56، وفى تهذيب التهذيب ج2، ص139؛ وسير اعلام النبلاء للذهبى ج2، ص213: ان ام سلمة رأت رسول الله فى المنام واخبرها بقتل الحسين عليه السلام.

3- المقرم نقلا عن كامل ابن الأثير ج4، ص 38؛ ومقتل الخوارزمى ج2، ص 95.

أيها القاتلون جهلاً حسی_ناً

أبش_روا ب_العذاب والتنکی_ل

قد لعنتم علی لسان ابن داود

وم_وسی وص_احب الانجی_ل

کلُّ أهل السماء یدعو علیکم

م_ن نب_یٍّ وم_رسل وقتی_ل(1)

وکانت تسمع فی جوف اللیل أصوات نعی الحسین ولم تر أحداً فمن ذلک:

ألا ی_ا عی_نُ ف_احتفلی بجهدٍ

ومَنْ یبکی علی الشهداء بعدی

علی رهط تقودهُ_مُ المن_ای_ا

إلی متجب_رٍ فی م_لک عب_دِ(2)

ولما سمع ابن عباس بکاءها أسرع إلیها یسألها الخبر فأعلمته بأن ما فی القارورتین یفور دماً.(3)

وفی أصول الکافی أن الإمام الحسین علیه السلام کان قد أودعها ذخائر الإمامة وأوصاها ان تدفعها إلی الإمام زین العابدین علیه السلام.

9- ومما نضیفه هنا ان الإمام حینما اعطی الرخصة لیلاً لأصحابه کی یذهبوا عنه متسترین بهذا اللیل کانت النساء قد سمعن الکلام، هؤلاء النساء اللاتی جئن مع اسرهن مثل أسرة عبد الله بن عمیر الکلبی، وجنادة بن حرث الانصاری، ومسلم بن عوسجة الأسدی وغیرهم ولکن واحدة منهم لم تطلب الرحیل ولم تعلن ذلک أبداً بل بقین مع الرجال الی جنب الامام علیه السلام وهذه مکرمة عظیمة لهؤلاء النساء القویات فی الدین والقویات فی الارادة.

1- المقرم ص291 نقلا عن تاریخ ابن عساکر ج4، ص 341؛ وفی تاج العروس ج2، ص 103؛ ذکر البیت الأول والثالث وفی روایته لعجزه »من نبی ومالک ورسول«.

2- تاریخ ابن عساکر ج4، ص 341

3- حدیث القارورتین فی معالم الزلفی ص 91 باب 49؛ ومدینة المعاجز ص 244؛ باب 49: کلاهما للسید هاشم البحرانی.

طاء - مجالس العزاء

وقد اقيمت فى الشام حينما كانت السبايا هناك وأيضاً فى كربلاء بعد عودتهن إليها فى الاربعين وفى المدينة قبل وصول السبايا وبعده.

ومازالت مجالس العزاء حتى يومنا الحاضر تقيمها النساء المواليات النادبات للامام وهنّ الصورة الحاضرة لنساء الطفوف.

2 - دور المتابعة والحماية

يكاد يكون هذا الدور خاصا بالسيدة زينب عليها السلام بوصفها مَنْ تولت أمور العيال بعد استشهاد اخيها عليه السلام ومرض الامام زين العابدين عليه السلام، ولنا ان نتصور ثقل المسؤولية التى حملتها السيدة زينب فى هذا السفر الطويل الذى بدأ منذ خروج الامام عليه السلام من المدينة حتى عودة الركب إليها فى شهر ربيع الاول وقد كانت مهمة جسيمة فى وقت عصيب ومشحون بالتوترات وعدم الاستقرار فى مكان واحد مع وجود الاعداء والحاقدين والشامتين .. وفى مسير مفعم بالحزن وبخاصة بعد استشهاد الامام وبدء رحلة السبى حيث يذكر المؤرخون انه كان فى موكب السبايا ما يقارب العشرين امرأة واكثر من هذا العدد من الاطفال ومع قطع الرؤوس وحملها على الرماح امام موكب السبايا وذهول الامهات وأنين الزوجات والبنات وفى نفس الوقت رعاية المريض فقدكانت مهام قاسية وثقيلة ايضا.

وتعنى مهمة المتابعة أو الحماية رعاية شؤون المرضى من النساء والأطفال وحماية الاطفال وتسلية النساء وإبقاء الصورة الحسينية فى اطار الصلابة وعدم الخنوع أو نسيان العزة والكرامة.. ومن هذة الاشارة يمكن ادراك صلابة السيدة وسعة صدرها ومتانة البنيان الروحى عندها وحجم ايمانها بالثورة..

وسنمر على بعض المواقف التى توجهنا نحو الصورة بشكل سريع، واهمها:

1 . متابعة شأن الإمام الحسين عليه السلام نفسه حتى استشهاده، ونرى ذلک بوضوح فی طول المسيرة التی کانت فيها معه ونورد هنا بعض المواقف الأساسية:

أ- موقف السيدة زينب عليها السلام فی استعلام نوايا أصحاب الإمام عليه السلام.

جاء فی المقتل:

ثم دخل الحسين خيمة زينب ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابک نياتهم فانی أخشی ان يسلموک عند الوثبة.

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الاشوش الاقعس يستأنسون بالمنية دونی استيناس الطفل إلی محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بکيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحکيت ما سمعت منه ومن اخته زينب.

قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفی هذه الليلة، قلت: إنی خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشارکنها فی الحسرة فهل لک ان تجمع اصحابک وتواجهوهن بکلام يطيب قلوبهن فقام حبيب ونادی: يا أصحاب الحمية وليوث الکريهة، فتطالعوا من مضاربهم کالأسود الضارية فقال لبنی هاشم: ارجعوا إلی مقرکم لا سهرت عيونکم.

ثم التفت إلی أصحابه وحکی لهم ما شاهده ، فقالوا بأجمعهم والله الذی منَّ علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطبْ نفساً وقرَّ عيناً فجزّاهم خيراً.

وقال هلموا معی لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانکم آلوا ألا يغمدوها إلا فی رقاب

من يريد السوء فيكم وهذه أسنة غلمانكم اقسموا ألا يركزوها إلا فى صدور من يفرق ناديكم.

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن: ايها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.(1)

ب - كانت متابعة لشؤون أخيها

وذلک حسبما نقله المقرم فى المقتل:

قال على بن الحسين:

سمعت أبى فى الليلة التى قتل فى صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أفٍّ لک مـن خلىـل

كم لک بالاشراق والاصىـل

مِنْ صاحب وطـالب قتىـل

والدهـر لا يقنـع بالبدىـل

وانّـما الأمـر إلى الجـلىـل

وكـل حىٍّ سـالک سبىـل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها وعرفت ما أراد وخنقتنى العبرة ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد نزل.

وأمـا عمتى زينب لمـا سـمعت ذلک وثبت تجرُّ ذيلها حتى انتهت إليه وقالت: واثكلاه ليت الموت اعـدمنى الحياة! اليوم ماتت أمى فاطمة وأبى على وأخى الحسن، يا خليفة الماضى وثمال الباقى فعزاها الحسين وصبَّرها وفيما قال: يا أختاه تعزّى بعزاء الله واعلمى ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شىء هالک الا وجهه، ولى ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة.

1- المقرم ص219 نقلاعن الدمعة الساكبة، ص325.

فقالت عليها السلام: أفتغصب نفسک اغتصاباً فذاک أقرح لقلبی وأشد علی نفسی.

وبکت النسوة معها ولطمن الخدود وصاحت أم کلثوم وامحمده واعلیاه واأماه واحسیناه واضیعتنا بعدک؟!

فقال الحسین: یا اختاه یا ام کلثوم یا فاطمة یا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن علیّ جیباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.(1)

2 – حمایـة الإمام زین العابـدین علیه السـلام وقـد کان مریضاً فی أثناء المعرکـة وقد همَّ الأمویون بقتله غیر أنّ زینب علیها السـلام کانت الحمی له، وقد ورد فی ذلک عدة مواقف منها:

أ – حینما بقی الإمام الحسین علیه السلام وحیداً خرج ینادی بأعلی صوته: هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد یخاف الله فینا؟ هل من مغیث یرجو الله فی اغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبکاء(2).

ونهض السجاد علیه السلام یتوکأ علی عصا ویجر سیفه؛ لأنه مریض لا یستطیع الحرکة فصاح الحسین بأخته احبسیه؛ لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد، فأرجعته إلی فراشه.(3)

ب – حینما احترقت الخیام وهجمت الجند لسلبها أراد الشمر قتله

جاء فی المقتل:

وانتهی القوم إلی علی بن الحسین وهو مریض علی فراشه لا یستطیع النهوض

1- المقرم ,مقتل الحسین ص218

2- اللهوف، ص 65.

3- المقرم، مقتل الحسین، ص 316.

وقائل يقول: لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً وآخر يقول: لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد، وجرد الشمر سيفه يريد قتله فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان الله أتقتل الصبيان؟ انما هو صبى مريض! فقال: إن ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين وبالغ ابن سعد فى منعه خصوصاً لما سمع العقيلة زينب أبنة أمير المؤمنين تقول: لا يقتل حتى اقتل دونه فكفّوا عنه.(1)

ج- فى مجلس ابن زياد

قال الراوى:

التفت ابن زياد إلى على بن الحسين وقال له: ما اسمک؟

قال: انا على بن الحسين.

فقال له: أو لم يقتل الله علياً؟ فقال السجاد عليه السلام:

كان لى أخ أكبر منى يسمى علياً قتله الناس.

فردَّ عليه ابن زياد بأن الله قتله. قال السجاد عليه السلام:

الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله.

فكبر على ابن زياد ان يرد عليه فأمر ان تضرب عنقه.

لكنَّ عمته العقيلة اعتنقته وقالت: حسبک يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت وهل ابقيت أحداً غير هذا فان اردت قتله فاقتلنى معه.

فقال السجاد عليه السلام:

أما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة فنظر ابن زياد إليهما وقال: دعوه لها عجباً للرحم ودَّت انها تقتل معه.(2)

1- المقرم ص301.

2- المقرم ص325 نقلا عن ابن الأثير، ج4، ص 34.

د – فی الشام حینما وضعهم یزید فی الخربة التی لا تقیهم من الحر

جاء فی المقتل الحسینی:

ولقد احدثت خطبة العقیلة زینب هزة فی مجلس یزید وراح الرجل یحدث جلیسه بالضلال الذی غمرهم وانهم فی ای واد یعمهون، فلم یر یزید مناصاً إلا ان یُخرج الحرم من المجلس إلی خربة لا تکنُّهم من حرٍّ ولا برد فأقاموا فیها ینوحون علی الحسین علیه السلام ثلاثة أیام.

وفی بعض الأیام خرج السجاد علیه السلام منها یتروح، فلقیه المنهال بن عمر وقال له: کیف امسیت یا ابن رسول الله؟ قال علیه السلام:

أمسینا کمثل بنی إسرائیل فی آل فرعون یذبحون أبناءهم ویستحیون نساءهم، امست العرب تفتخر علی العجم بان محمداً منها، وامست قریش تفتخر علی سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسینا معشر أهل بیته مقتولین مشردین فانا لله وانّا إلیه راجعون.

قال المنهال: وبینما یکلمنی إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلی این یا نعم الخلف؟ فترکنی واسرع إلیها فسألت عنها قیل: هذه عمته زینب.(1)

ه_ – مواساة الإمام زین العابدین علیه السلام بعد ما رأی مصرع ابیه واخوته وباقی عشیرته

جاء فی المقتل:

وأما علی بن الحسین فإنه لما نظر إلی أهله مجزرین وبینهم مهجة الزهراء بحالة تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلک علیه واشتد قلقه فلما تبینت ذلک منه زینب الکبری بنت علی علیه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسلیه

1- المقرم ص360.

وتصبره وهو الذى لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«ما لى أراک تجود بنفسک يا بقيـة جـدى وأبى واخوتى فوالله ان هـذا العهـد من الله إلى جدک وأبيک ولقد اخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنـة هـذه الأرض وهم معروفون فى أهل السـماوات انهم يجمعون هذه الاعضاء المقطعة والجسوم المضـرجة فيوارونها وينصـبون بهذا الطف علماً لقبر أبيک سيد الشهداء لا يدرس اثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالى والأيام وليجتهدن أئمة الكفر واشياع الضلال فى محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاعلواً».(1)

3 - متابعة شأن رقية عليها السلام حتى دفنها فى الشام:

حيث كانت السيدة زينب عليها السلام معها لما طالبت رؤية أبيها وجاءوها بالطشت ولما ماتت وغسلت.

4 - متابعة شأن فاطمة بنت الحسين وبخاصة فى موقف الشامى فى مجلس يزيد:

نظر رجل شامى إلى فاطمـة بنت على فطلب من يزيـد ان يهبها له لتخـدمه ففزعت ابنة أمير المؤمنين وتعلقت بالعقيلة زينب وقالت: كيف اخدم؟ قالت العقيلة: لا عليک انه لن يكون أبداً فقال يزيد: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن ديننا فرد عليها: إنما خرج عن الدين أبوک واخوک! قالت زينب: بـدين الله ودين جـدى وأبى وأخى اهتـديت أنت وأبوک إن كنت مسـلماً قال: كـذبت يا عدوة الله! فرقت (عليها السلام) وقالت:

أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک وعاود الشامى الطلب فزبره يزيد ونهره وقال له: وهب الله لک حتفاً قاضياً.(2)

1- المقرم ص308.

2- الطبرى، ج6، ص 265.

وهنا لابد من ان نشير إلى ان جل مهام متابعة أفراد القافلة الحسينية وبخاصة بعد استشهاد الإمام كانت مسؤولية السيدة زينب بعدما أوصاها الإمام الحسين عليه السلام بذلک وعهد إليها بالمهام الأساسية.

3 - الدور القيمى

اشارة

لا يغيب عن بالنا ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت ثورة قيمية بكل معناها فقد كانت رحى الحرب تدور بين فريقين؛ أحدهما: آمن بقيم الإسلام ومثله وأخلاقه وسعى لاصلاح المجتمع وفق تلک القيم، والآخر: سعى لايجاد مجتمع آخر مبتعدا عن نهج الإسلام - وان حمل اسمه أمام الملأ - وبعيدا عن هذه القيم وتلک المثل التى حملها الحسين عليه السلام.

والقيم مشتقة من كلمة قيمة وهى مأخذوة من القيام الذى هو نقيض الجلوس ويأتى بمعنى آخر هو العزم وذلک فى قوله تعالى:

((وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)) أى عزم.

ويجىء القيام بمعنى الوقوف والثبات يقال أمة قائمة أى متمسكة بدينها. وقوّم السلعة أى قدّرها وفى ذلک الآية:

((ذَلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)).

أى المستقيم الذى لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق.(1)

وتُعرّف القيم بانها معيار للحكم على كل ما يؤمن به مجتمع ما من المجتمعات البشرية ويؤثر فى سلوک أفراده حيث يتم من خلاله الحكم على شخصية الفرد ومدى صدق انتمائه نحو المجتمع بكل افكاره ومعتقداته وأهدافه وطموحاته.(2)

1- د. احمد كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 133.

2- نفس المصدر، ص 135.

وتتميز القيم بانها تمثل انعكاساً لمعتقـدات أفراد المجتمع، ومن ثم فهى تعكس هويته وصـفاته المميزة.. وغياب القيمـة أو عـدم وضوحها يؤدى إلى ضـياع الفرد ذاته ويؤدى به إلى فقـدان الاحساس بالحياة وباهدافها. ويعدّ الدين من العوامل الأساسـية المؤثرة فى بناء القيم. كما وتعـدّ المرأة احـد أهم وسائل نقل القيم من جيل إلى آخر عبر التربية من جانب. ومن جانب آخر تكون المرأة اكثر صـيانة للقيم؛ لأنها أقل تمرداً عليها وأكثر استجابة لها وأكثر اهتماماً بحفظها وحمايتها.

فى عصـر الإمام الحسـين عليه السـلام اهتزت المنظومـة القيميـة من خلال التكالب على الدنيا وسـيادة روح الانهزامية والوشاية والسـعاية وانتشر الفساد والانحراف فى عموم مفاصل الدولة والامة على حد سواء. وبهذا كان عصر ما قبل ثورة الإمام عليه السلام يمثل ادنى درجات الانهيار الأخلاقى والفساد الادارى والاجتماعى والسياسـى وهذا واضح وعلى اكثر من صعيد، وقد بلغ الهبوط القيمى مداه بشكل لا يمكن علاجه بالوعظ والكلمات، حتى كانت واقعـة الطف التى أيقظت ضـمير الامة وهزت البنية التحتية للنهج الاموى القائم على منظومة الفساد والتحريف وشـراء الذمم والضمائر، ومن ثم افرزت الثورة قائمة طويلة من القيم الإيجابية العليا التى كان لها أثر كبير فى تبديل أخلاق الأمة كلها ليس على مدى جيل واحد بل اجيال عدة وليس على الواقع الآنى للامة بل على مسـتوى الحاضـر والمسـتقبل. ونجحت فى اسـتبدال منظومة القيم فبدلاً من الرضا بحياة الذل والرضوخ للظالم اصـبحت قيمة العز والتضـحية والشـهادة ضد الحاكم الظالم هى القيم الجديدة. وبدل الروح الانهزامية جاءت روح المبادرة والروح الإيجابية وهكذا.

ولا أريد اسـتعراض كل قيم الثورة الحسينية فهذا مجال يطول الكلام عنه ولكنى أريد ان أمر على القيم التى حملتها النساء إلى المجتمع من خلال تضحياتهن بحضورهن فى أرض كربلاء، وهى بلا شك قيم كثيرة تركت اثرها على نساء زمانها وعلى نساء زماننا

وهى أكثر ما نحتاج إليه اليوم إزاء التحديات الجسام التى تحيط بالمرأة المسلمة.

والملاحظ ان هذه القيم قد ظهرت فى وقت امتحان القيم وكان امتحاناً عسيراً واختباراً صعباً للغاية خسر فيه الكثير من صناديد الرجال لكن نجحت هذه المجموعة الصغيرة فى بيانها وايضاحها – على الرغم من قلة الامكانات – لكن ارادة النساء صنعت المعجزات.(1)

وابرز هذه القيم:

ألف . الدفاع عن المقدس

لا بـد من الاشارة أولا إلى ان الأمـة الاصـيلة والتى تتمتع بعوامل القوة والخلود هى التى تحافظ على مقـدساتها وتعمل على صـيانتها أمام التيارات والاتجاهات المخالفة والتى تسـعى بكل الوسائل لأجل اضـعاف وضعضعة البنى التحتية للامة القوية وأول خطوة فى هذا المجال هو اختراق المقدس نفسه ومصادرة قدسـيته واسقاطه كرمز ثابت وحيوى فى عيون ابنائه ومن ثم تنفصل الأمة عن تاريخها وتراثها وعن احد اهم عناصـر القوة فيها وتصبح مقطوعة الجذور متكسرة الدعائم. وهذا يفسر لنا سبب تزايد الموضات الجديدة فى الرسوم الكاريكاتورية ضد رموز الإسلام العظيم والتى تدخل ضمن اطار الهجمة الشرسة على الاسلام ومقدساته، فاذا أُهين المقدس تختل خطوط التواصل بينه وبين الامة مما يمهد لبدء التشويش والتشـكيك ضمن هذه العلاقة وفى المرة الأولى قد تصبح المعارضة قوية؛ لان العلاقة مازالت متأصلة لكن مع تداوم الهجوم تضـعف ردود الفعل. ويصبح الامر اشد طامة فيما إذا تخلى العلماء والمثقفون عن ادوارهم فى بيان استتباعات الاحداث، ولكن إذا ضعفت المواجهة فسوف تتوارى صور

1- يقول مرتضى مطهرى (ليس هناك أية واقعة فى التاريخ تعكس الفضائل الإنسانية كواقعة كربلاء) الملحمة الحسينية,ج1، ص 68.

المقدسات العليا خلف الرموز البديلة وتزداد ضبابية الصورة فى عيون أبنائها شيئاً فشيئاً ولا يبقى للأبناء شىء يسمونه المقدس كى يحافظوا عليه!.

ولقد كان المسلمون فى عصر الرسالة يشعرون بالقداسة الكبرى لشخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكننا نرى انكسار هذه القداسة من خلال الأحداث التى جرت بعده فالناس انشغلوا عن موته ودفنه بأحداث السقيفة وجاءوا بمن يرغبون ناكثين الولاء والعهد الذى قدموه يوم الغدير!. ثم جاءت شهادة الزهراء عليها السلام كأقسى انتهاك لصورة المقدس وفى زمن قصير بعد وفاة ابيها وبصورة مؤلمة للغاية.. حريق عند الباب، حصار، ضرب حتى ماتت ساخطة على الشيخين وعلى كثير غيرهما وكان تغييب قبر الزهراء عليها السلام بحد ذاته نوعاً من الاحتجاج الازلى على عدم حفظ المقدسات وعلى عدم احترام الأمة نفسها لمكانة العترة التى هى عدل القرآن كما جاء فى الحديث المروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: انى تارک فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى(1)، ويبقى هذا الاحتجاج جليا خالداً كنوع من وخز الضمير والتذكير بالمقدس المنتهک الحرمة.

وبهذا تجرأت الأمة على المقدس؛ إذ لم تبق هناک مساحات محرمة لا يمكن اختراقها واصبح المقدس نفسه فى صورة اللا مقدس أو بالاحرى الشىء العادى الذى عندهم. وساد سوء الظن والفتنة والشک فكانت شهادة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى الشهر المقدس والمكان المقدس والوقت المقدس!!، وهو عليه السلام ايضا كان الامام المعصوم والقرآن الناطق فهو المقدس ولكن الامة لم تعد تنظر إلى الحدود الأولى للمقدس كما كان الأمر فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا نجد الإمام الحسن عليه السلام يعانى الأمرّين فانصاره يكنوه ب_(يا مذل المؤمنين) وأعداؤه

1- صحيح مسلم122 / 7 صحيح الترمذى328 / 5.

يتربصون لقتلهِ، وحتى لما استشـهد بعـد ان دست زوجته السم له (انظر إلى الساحة القريبة لاجتثاث المقدس) جاء التجرؤ على جسده فى التابوت فكان رمى الجنازة بالنبال وكان المنع من دفنه إلى جوار جده الذى قال عنه:

«من أحب الحسن والحسين فقد احبنى، ومن ابغضهما فقد ابغضنى»(1)

فى حين ان الميت المسـلم حتى لو كان إنساناً عادياً جـداً فله حرمـة وله قداسة وهذه القداسة الخاصة تتطلب دفنه فى المكان الذى يليق به والصلاة عليه وعدم اهانة جنازته! إلى غير ذلک.

ولقد افرزت ثورة الإمام الحسين عليه السلام نمطين من التعامل مع المقدس:

نمطاً حفظ هذه القدسية وصانها وحماها..

ونمطاً استهان بها إلى أبعد الحدود فانتهک الحرمة واتى بكل قبيح ومنكر..

ففى واقعة الطف قتلوا سـيد شـباب اهل الجنة وريحانة الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم فاستحلوا دمه ومثّلوا بجثته عليه السلام، ولا يجوز التمثيل حتى بالكلب العقور! وذبحوه ورفعوا راسه على الرمح يطوفون به فى البلدان استبشارا وفرحا وسرورا!!.

وسـبوا نساءه المسلمات المخدرات حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونساء بيت الوحى، ولا يجوز أصلاً سبى المرأة المسلمة، إلى غير ذلک من صور العنف القاسى ضد أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وقد عمل الامويون على تشويه صورة المقدس بدعوى ان الذى ثار عليهم كان خارجيا!! ولم يعلنوا عن الاسم الصريح له ومن أين جاء الى كربلاء!. فقد راعهم الاستقبال الكبير الذى اعده اهل الكوفة لما سمعوا باقبال الحسين اليهم:

1- سنن ابن ماجة فى فضائل الحسن والحسين , ومسند احمد2\288و440 و531

... ولكن الناس لما ذهبوا لاستقباله (الامام الحسين) عند مدخل المدينة، فدخَلها (ابن زياد) فى أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تَلَثَّم بها، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون: وعليک السلام يا ابن رسول الله! (تصوروه الحسين) قدمْتَ خير مَقْدَم، حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصَّنَ فيه، ثم أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله مالى ولک؟ وما حملک على قصد بلدى من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال يومک يا نعيم، وحَسَرَ اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحَصَبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر!!.(1) إذ ان الذى استقبلوه كان ملثما وقد تصوروا انه الحسين فى حين انه كان عبيد الله بن زياد الذى جاء لتولى منصبه الجديد واليا على الكوفة!!. هذه الحادثة كشفت للامويين عن مكانة الامام فى قلوب الناس فوضعوا خططا جديدة لتقويض الحركة الحسينية واولها اخفاء اسم الثائر وتشويه ثورته. وإذا كان هناک من يجهل من هو الثائر فكيف بالذى عاش معه دهرا!!. كعمر بن سعد فهؤلاء يعرفون من هو الحسين عليه السلام ويعرفون انه المقدس ولكنهم تمردوا عليه بتلک الصورة الوحشية!. وقد حاول الامام عليه السلام ان يذكرهم بالقداسة لما خرج يوم عاشوراء، إذ كان قد ارتدى عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لإلقاء الحجة عليهم.

وفى الصورة الأولى نجد أصحاب الإمام عليه السلام قمة سامية فى التفانى والفداء صيانة للمقدس، ونجد وصاياهم كلها تدور حول نصرة الإمام عليه السلام والتضحية دونه.(2) فلقد تفانى الجميع رجالا ونساء فى تقديم الدعم للامام ولم يتخلَّ

1- المسعودى, مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، ص 66.

2- راجع المقرم، مقتل الحسين عليه السلام 212 - 214.

واحد او واحدة عن نصـرة الامام رغم ان التحدى كان خطيرا، فهذا وهب الكلبى بالغ فى الجهاد وكان معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال: يا امّه أرضيت ام لا؛ فقال الأم: ما رضيت حتّى تقتل بين يدى الحسين عليه السلام؛ وقالت امرأته بالله عليک لا تفجعنى بنفسک؛ فقالت له امّه يا بنىّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يـدى ابن بنت نبيّک تنل شـفاعة جـدّه يوم القيمة فرجع فلم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه فاخذت امرأته عموداً فـاقبلت نحوه وهى تقول فـداک ابى وأمى قاتـل دون الطيّبين حرم رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فاقبل كى يردّها إلى النسـاء فأخـذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون ان أموت معک فقال الحسـين عليه السـلام جزيتم من أهل بيتى خيراً ارجعى إلى النساء رحمک الله فانصرف إليهنّ ولم يزل الكلبى يقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.(1)

وهذه ام عمرو بن جنادة الانصارى تدفع ولدها لحماية المقدس:

فعندما جاء عمرو بن جنادة الانصارى بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشـرة سـنة يسـتأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه فى الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلک قال الغلام: ان أمى امرتنى؛ فإذن له فما أسـرع أن قتل ورمى برأسه إلى جهة الحسـين فأخذته امه ومسـحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم.(2)

وماريا التى جادت بالمال لنصرة المقدس.

ويمكن مراجعة أدوار النساء فى نصـرة آل البيت عليهم السلام والتى تدخل ضمن صيانة المقدس والدفاع عنه. وقد سعت حرائر أهل البيت عليهم السلام إلى كشف

1- ابن طاووس، اللهوف، ص105.

2- المقرم، ص253.

اللثام عن خداع بنى امية حينما القت السيدة زينب عليها السلام خطبتها فى الكوفة فعرف الناس انهم حاربوا المقدس وهتكوا حرمة القداسة ولهذا انطلقت الثورات بعدها فكانت ثورة التوابين والمختار إلى غير ذلک.

قالت السيدة زينب فى خطبتها:

وأنّى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة. ومدرة حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون.

وقالت ام كلثوم:

وأى دماء سفكتم وأى كريمة أصبتموها وأى صبية أسلمتموها وأى أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبى ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشيطان هم الخاسرون.

وقالت فاطمة بنت الحسين:

حتى قبضه الله تعالى اليه محمود النقية، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فى الله سبحانه لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لک ولرسولک، زاهداً فى الدنيا غير حريص عليها، راغباً فى الآخرة، مجاهداً لک فى سبيلک، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

باء . قيم حماية المرأة

اشارة

كشفت الواقعة عن سمو السلوک الانسانى لدى الامام فى تعامله مع النساء، وعن تدنى السلوک الاموى فى هذا التعامل. واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الرؤى المعاصرة تعدّ التعامل مع المرأة وما عليه من اوضاع اجتماعية من تدهور أو تخلف أو ارتقاء مقياسا لتفسير تخلف المجتمع أو تقدمه استطعنا ان نصل الى فهم اعمق لواقعة الطف من خلال

هذه المعادلة. ففى الوقت الذى يبذل الامام عليه السلام جهده فى ان لا يُقحم النساء فى الحرب العسكرية يسعى التيار الاموى الى تسليط مزيد من الضغوطات على الامام من خلال استفزاز النساء واحراق الخيام فيما بعد والطواف بهن فى البلدان !!. وفى الوقت الذى نرى الرؤى المعاصرة تبتز قداسة المرأة الانسان والخليفة نجد الاسلام يحرص على حماية المرأة ضمن الدائرة الانسانية.

وعموما تتجلى قيم صيانة المرأة فى جانبين:

فمن جهة ان الإمام الحسين عليه السلام سعى إلى صيانة المرأة المتواجدة فى أرض المعركة وتمت هذه الصيانة والحفظ لمكانة المرأة من خلال عدة أمور منها:

1 - منع الإمام الحسين عليه السلام النساء من القتال

عندما اخذت ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط عموداً واقبلت نحو زوجها وهى تقول فداك ابى وامى قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأراد ان يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت لن أعود دون ان اموت معک فقال الحسين عليه السلام جزيتم من أهل بيتى خيراً ارجعى إلى الخيمة فأنه ليس على النساء قتال فرجعت(1)... وعندما رد ام عمرو بن جنادة الانصارى إلى الخيمة بعد أن اصابت بالعمود رجلين.

2 - خاطب الإمام الأعداء بان لا يتعرضوا للنساء فهو الذى يقاتل

قال مخاطبا أعداءه:

ويلكم يا شيعة آل أبى سفيان ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً فى دنياكم هذه وارجعوا إلى احسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون، قال فناداه شمر لعنه الله: ما تقول يا ابن فاطمة، فقال انى أقول أقاتلكم وتقاتلوننى والنساء ليس

1- المقرم ص239.

عليهن جناح فامنعوا عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمى ما دمت حيّاً(1)...

3 - حفر الخندق حول الخيام

ثم انه عليه السلام أمر أصحابه ان يقاربوا البيوت بعضها من بعض ليستقبلوا القوم من وجه واحد، وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل، فيكون القتال من وجه واحد.(2)

4 - منع النساء من الخروج من الخيام حتى استشهاده عليه السلام

ولم تخرج النساء من الخيام حتى احتراقها على أغلب الروايات. والدليل مجيء فرس الحسين ناعيا راكبه عند باب الخيمة التى تجمعت فيها النساء وهو يصهل بحزن وفى ذلک يعلق مرتضى مطهرى فى ملحمته ان النساء كن فى الخيام وكلما سمعن صوت الامام شعرن بالامن والسكينة وانما بقين فى الخيام طاعة لوصاياه عليه السلام ويضيف مطهرى: ان اوامر الامام كانت صارمة فى عدم تجاوز الخيمة. نعم هناک بعض الروايات عن خروج السيدة زينب عليها السلام وبعض النساء عن الخيام لأمور طارئة ولدقائق معدودة منها:

1- خروج السيدة زينب عليها السلام لما استشهد على الاكبر.. وروى الطبرىّ: عن حُميد بن مسلم الأزدى قال: سماع أذنى يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوک يا بُنىّ، ما أجرأهم على الرّحمن وعلى انتهاک حرمة الرّسول، على الدّنيا بعدک العفاء. قال: وكأنّى أنظر إلى امرأة خرجت مُسرعة كأنّها الشّمس الطالعة تنادى: يا أُخيّاه ويا ابن أخاه! قال: فسألتُ عنها فقيل: هذه زينب أبنة فاطمة بنت رسول الله،

1- اللهوف، ص120.

2- الطبرى، ج1، ص 240.

فجاءت حتّى أكبّت عليه، فجاءها الحسين، فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه فقال: إحملوا أخاكم. فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه بين يدىّ الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه.(1)

2- خروج أم وهب إلى الميدان فردها الحسين الى الخيمة (جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعى إلى الخيمة).

3- رواية يذكرها ارباب المنبر الحسينى حول تقديم الجواد للامام لما سقط على ارض المعركة.

4- خروج ام عمرو بن جنادة الانصارى، (فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم).(2)

ولعل هناك مواقف أخرى مختلفاً فى صحتها لكن الأعم ان النساء بقين فى الخيام طاعة للحسين عليه السلام حتى جاء الجواد باكيا.

5 - مراعاة مشاعر النساء

ا- الامام يصبّر ابنته سكينة:

قال المقرم فى مقتله عليه السلام:

والتفت الحسين إلى ابنته سكينة التى يصفها الحسن المثنى «بأن الاستغراق مع الله غالب عليها» فرآها منحازة عن النساء باكية نادبة فوقف عليها مصبراً ومسلياً ولسان حاله يقول:

هـذا الوداع عزيزتى والملتقى

يوم القيامة عند حـوض الكوثر

1- العلامة السيد مرتضى العسكرى، معالم المدرستين، ص 434.

2- المقرم، ص253.

ف_دعی البکاء وللأسار تهیَّأی

واستشعری الصبر الجمیل وبادری

وادا رأیتینی علی وج_ه الثّری

دامی الورید مبضَّع_اً فتصبَّ_ری(1)

ب- ویتألم الامام لبکاء النساء فیطلب من العباس وابنه الاکبر اسکاتهن:

قال المقرم فی مقتله علیه السلام:

ثم دعا براحلته فرکبها ونادی بصوت عال یسمعه جلهم:

أیها الناس اسـمعوا قولی ولا تعجلوا حتی أعظکم بما هو حق لکم علی، وحتی اعتـذر إلیکم من مقـدمی علیکم فان قبلتم عـذری وصدقتم قولی وأعطیتمونی النصف من أنفسـکم کنتم بذلک أسعد ولم یکن لکم علیَّ سبیل وإن لم تقبلوا منی العذر ولم تعطوا النصف من أنفسکم فأجمعوا أمرکم وشرکاءکم ثم لا یکن أمرکم علیکم غمة ثم اقضوا إلی ولا تنظرون إن ولیِّ الله الذی نزل الکتاب وهو یتولی الصالحین.

فلمـا سـمعّت النساء هـذا منه صـحْنَ وبکیْنَ وارتفعت اصواتهنَّ فأرسل إلیهنَّ أخاه العباس وابنه علیاً الأکبر وقال لهما: أَسـکتاهنَّ فلعمری لیکثرنّ بکاؤهنَّ.(2)

ج- ثم انه علیه السلام ودع عیاله ثانیاً وامرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالی حامیکم وحافظکم...

د- مقولته علیه السلام لما رأی عمروین جنادة الانصاری یستأذنه للحرب: هذا غلام قتل ابوه بالحملة الأولی ولعل أمه تکره ذلک....

ه_- لما همّ بالخروج من المدینة اجتمعت النساء باکیات فمشی إلیهن الحسین وسکتهن وقال: أنشدکن الله ان تبدین هذا الأمر معصیة لله ولرسوله...(3)

1- المقرم، ص 277.

2- المقرم، ص 227.

3- المقرم، ص137.

6- اسناد مسؤوليات حماية العيال والنساء إلى السيدة زينب عليها السلام وكان الإمام زين العابدين عليه السلام مريضاً من جهة، ومن جهة أخرى؛ لأنها قادرة على توجيه النساء أنفسهن الوجهة المتناسبة مع قيم الثورة وأخلاقها وهو ما سنتطرق إليه لاحقا.

7- ولقد استغل الاعداء انشغال الامام بعياله فقال عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشک سهم بعض ازر النساء فدهشْنَ وارعبْنَ وصحْنَ ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فيقتله والسِهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره.(1)

ولما وصل الماء ليشرب منه تركه لما سمع بتجاوز الاعداء على خدر النساء عندما قصده القوم واشتد القتال:

وقد اشتد به العطش، فحمل عن نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان فی أربعة آلاف فكشفهم عن الماء واقحم الفرس الماء فلما همَّ الفرس ليشرب قال الحسين: انت عطشان وانا عطشان فلا اشرب حتى تشرب! فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ولما مد الحسين يده ليشرب ناداه رجل اتلتذ بالماء وقد هتكت حرمک؟ فرمی الماء ولم يشرب وقصد الخيمة.(2)

وللنساء فی هذه الواقعة مواقف انسانية رائعة ضمن قيم خاصة منها:

1 - امرأة من الكوفيات تجمع الأزر والمقانع للنساء:

1- المقرم، ص 277.

2- المقرم، ص 275.

جاء فی المقتل: فاشرفت إمرأة من الكوفيّات فقالت من أی الأسارى أنتنّ فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّين.(1)

2 – فی سبی النساء تطلب السيدة ام كلثوم ان يمر بطريق قليل النظارة: ولما قربوا من دمشق أرسلت أم كلثوم إلى الشمر تسأله أن يدخلهم فی درب قليل النظّار ويخرجوا الرؤوس من بين المحامل لكی يشتغل الناس بالنظر إلى الرؤوس فسلك بهم على حالة تقشعر عن ذكرها الابدان وترتعد لها فرائص كل انسان.(2)

3 – فی الشام تتصدى السيدة زينب عليها السلام لصيانة فاطمة بنت الحسين فی موقف الشامی الذی ارادها جارية وتعلنها ثورة ضده فی مجلسه:

نظر رجل شامی إلى فاطمة بنت على فطلب من يزيد ان يهبها له لتخدمه ففزعت ابنة أمير المؤمنين وتعلقت بالعقيلة زينب وقالت: كيف اخدم؟ قالت العقيلة: لا عليک انه لن يكون أبداً فقال يزيد: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن ديننا فرد عليها: إنما خرج عن الدين أبوک واخوک! قالت زينب: بدين الله ودين جدی وأبی وأخی اهتديت أنت وأبوک إن كنت مسلماً قال: كذبت يا عدوة الله! فرقت (عليها السلام) وقالت: أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک وعاود الشامی الطلب فزبره يزيد ونهره وقال له: وهب الله لک حتفاً قاضياً.(3)

4 – السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام تطلب من سهل بن سعد الساعدی ان يقدموا الرؤوس امام النساء:

1– اللهوف على قتلى الطفوف، ص144.

2– المقرم، ص 347.

3– الطبری، ج6، ص 265.

جاء فی المقتل:

ودنا سـهل بن سـعد الساعدی من سکینة بنت الحسین وقال: ألک حاجة فأمرته ان یدفع لحامل الرؤوس ان یجعل الرؤوس أمام النساء، کی تنشغل الناس بالنظر إلی الرؤوس عن النظر إلی أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم ففعل «سهل».([1])

4 - فی مواجهة السیدة زینب علیها السلام مع یزید تذکره بالقیم الخاصة بالمرأة وحجابها بالقول:

امن العـدل یا ابن الطلقاء، تخـدیرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله سـبایا، قد هتکت سـتورهنَّ، وابدیت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الأعـداء من بلـد إلی بلـد، ویستشـرفهنَّ أهل المناهل والمعاقل، ویتصـفح وجوههنَّ القریب والبعیـد، والـدنی والشـریف، لیس معهنَّ من حماتهنَّ حمی ولا من رجالهنَّ ولی....

جیم . ادب التعامل مع المصاب الجلل

فی واقعة الطف استشـهد آل البیت کلهم فضـلاً عن ریحانة رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم ولم یکتف الحال بالقتل بل کان التمثیل بـالجثث الـذی ربما کان اقسـی من فاجعـة القتل نفسـها، ولکن حرائر بیت الوحی تعاملن مع الموقف القاسـی بکل صبر وتجلـد ولا ینقل التاریخ ان ای واحدة بدر منها ما یخالف الشریعة فی السلوک. ولنا ان نستعرض المواقف الآتیة لنکون علی بینة من ذلک.

- فقد جاء فی المقتل:

ان الامام علیه السلام لما ارتجز الأبیات سمعت ذلک السیدة زینب علیها السلام (... وثبت تجرُّ ذیلها حتی انتهت إلیه وقالت واثکلاه لیت الموت اعدمنی الحیاة! الیوم ماتت أمی فاطمة وأبی علی وأخی الحسن، یا خلیفة الماضی وثمال الباقی فعزاها الحسین

1- 1- المقرم، 394.

وصبَّرهـا وفيما قال: يا أختاه تعزّى بعزاء الله واعلمى ان أهل الأرض يموتون وأهل السـماء لا يبقون وكل شـىء هالک الا وجهه، ولى ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة.

فقالت عليها السلام:

افتغصب نفسک اغتصاباً فذاک أقرح لقلبى وأشد على نفسى.

وبكت النسوة معها ولطمن الخدود وصاحت أم كلثوم وامحمده واعلياه واأماه واحسيناه واضيعتنا بعدک؟!

فقال الحسين:

يا اختاه يا ام كلثوم يا فاطمة يا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن علىّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.

ثم انه عليه السلام ودع عياله ثانياً وامرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال:

استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم...(1)

هذا حصل قبل مقتله اما ما حصل بعد استشهاده عليه السلام فقد جاء فى المقتل:

فقلن النسوة: بالله عليک إلا ما مررتم بنا على القتلى، ولما نظرن إليهم مقطعى الأوصال قد طعمتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن ولطمن الوجوه وصاحت زينب:

يا محمداه هذا حسـين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتک سبايا وذريتک مقتلة فأبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها.(2)

1- المقرم، ص217.

2- المقرم، ص307.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت:

إلهى تقبل منا هذا القربان(1)..

- بكاء النساء على مصرع العباس:

ورجع الحسين إلى المخيم منكسراً باكياً يكفكف دموعه بكمه وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى: أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حق ينصرنا، اما من خائف من النار فيذب عنا! فأتته سكينة وسألته عن عمها، فاخبرها بقتله! وسمعته زينب فصاحت:

وا أخاه وا عباساه وا ضيعتنا بعدك!

وبكيت النسوة وبكى الحسين معهن وقال:

وا ضيعتنا بعدك!!(2)

- موقف السيدة مع ابن زياد

جاء فى المقتل:

ووضع رأس الحسين بين يديه وجعل ينكث بالقضيب ثناياه... وانحازت زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام عن النساء وهى متنكرة لكن جلال النبوة وبهاء الإمامة المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة؟

قيل له: أبنة أمير المؤمنين «زينب العقيلة».

فأراد ان يحرق قلبها بأكثر مما جاء إليهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

1- المقرم ص 307.

2- المقرم، ص 370.

فقالت عليها السلام:

الحمد لله الذى اكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيراً، انما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت عليها السلام:

ما رأيت إلا جميلاً.(1)

دال . ايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة

اشارة

غالباً ما تتهم النساء بأنهن منغمسات فى ذواتهن أو انهن يعشنَ فقط لمصالحهن الشخصية!! ويقيم هؤلاء الدليل على ما يقولون من خلال مايرونه من تهافت النساء على الموضة واستنفاذ المال والوقت والجهد من أجل التجمل وتحسين الصورة والمظهر واهمال البعض لمهامهن الأسرية. غير ان هذا لا يجد له إلا صدى محدوداً؛ اذ ان البعض يحاول الرد على هذه التهمة الأزلية بما تفرزه صورة الأمومة من تضحية وفداء وإيثار على النفس بشكل لا يقبل الجدل فالام نموذج سامٍ للتضحية ونكران الذات. غير أنّ آخرين يفسرون الأمومة أيضاً بانها إشباع لغريزة ذاتية تنطلق ايضا من ذات المرأة وما تقدمه من تضحيات وعناء وفداء انما تحصد نتائجه هى أولاً قبل غيرها . وأياً كانت الآراء فمما لاشك فيه ان المرأة كالرجل تعيش اهدافها الايمانية والوطنية وهى تقدم ابناءها وزوجها لما آمنت به من مثل، وهذا يعنى ان لا تفاوت بين الجنسين فى التنازل عن المصالح الذاتية من اجل المصالح العليا. وقد افرزت الواقعة عن هذه القيمة العظيمة عند النساء أنفسهن فهؤلاء النساء اللائى خرجن مع الإمام الحسين عليه السلام فى رحلته الطويلة انما كن يبغين أهدافاً عليا فى نصرة الإمام وصيانة عقيدة الولاء ولم يكن

1- المقرم 324.

الإمام نفسه يمثل نفسه بالنسبة لهن بمعنى انه الأخ أو الزوج أبداً فحسب، بل ان الإمام كان يمثل القيادة والإمامة والشرعية ولهذا كان الدفاع عن الإمام دفاعاً عن الإسلام كله ودفاعاً عن مقدساته.

يقول الشيخ مرتضى مطهرى: الشيء الوحيد الذى لا يمكن ان نراه مطلقاً فى منطق الإمام الحسين عليه السلام هو منطق المنفعة والمصلحة الذاتية. فكربلاء كلها كانت سيراً إلى الله.(1)

وعادة فى كل سفر نروم القيام به فلابد ان نبحث عن ادوات الراحة من خلال وسيلة السفر والمكان الذى نقصده والظروف المحيطة بالسفر. فى حين ان هؤلاء النساء لما خرجن مع الإمام لم يسألن عن مفردات الراحة وقد تركن بيوتهن لنصرة الإمامة كما تركت السيدة زينب عليها السلام بيتها وزوجها المريض لنصرة الإمام. فهؤلاء خرجن فى سفر صعب وشاق للغاية, فقد كان الجانب الأمنى فى هذا السفر مبهماً ولا يمكن تثبيته أبداً، فهو سفر محفوف بالمخاطر وإليه اشارت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السابقة التى تنذر بكارثة فى نهاية المطاف. ثم هو سفر طويل فى ظروف صعبة وحرجة. والغاية من هذا السفر هو نصرة الإمامة والدين.. وهو هدف كل البعد عن الغايات الذاتية المحددة.

على هذا لا نجد فى قاموس الذين خرجوا مع الإمام من المدينة رجالاً ونساء هدفا واضحا سوى مصلحة الدين وحماية الإمامة لا أكثر. وبذلك ضربت هؤلاء النساء أعلى درجات التسامى فى هذا الإيثار الكبير الذى خاب فيه الكثيرون. فالإمام عليه السلام كتب لبنى هاشم وصية: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح(2). ورغم

1- مطهرى الملحمة الحسينية.

2- المقرم ص66.

ذلک فقد خرج بهذا العدد القليل الذی شکلت فيه النساء الحضور الکبير.

وإذا أردنا ان نأخذ دلالات أخری علی هذه القيمة نجد ذلک فی أمور:

1 . الأم تحث ولدها علی الشهادة لنصرة الإمام

کما حصل مع ام وهب الکلبی..قال الراوی:

.. وبالغ وهب فی الجهاد وکان معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال يا امّه أرضيت أم لا فقالت الأم ما رضيت حتّی تقتل بين يدی الحسين (عليه السلام)، وقالت امرأته بالله عليک لا تفجعنی بنفسک فقالت له أمّه يا بنیّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يدی ابن بنت نبيّک تنل شفاعة جدّه يوم القيمة(1).

2 . ام عمرو بن جنادة الانصاری

وجاء عمرو بن جنادة الانصاری بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدی عشرة سنة يستأذن الحسين فأبی وقال: هذا غلام قتل أبوه فی الحملة الأولی ولعل أمه تکره ذلک قال الغلام: إن أمی امرتنی فأذن له فما أسرع أن قتل.((2)

3 . دلهم تحث زوجها علی الالتحاق بالحسين عليه السلام

فقالت له زوجته وهی دلهم بنت عمرو: سبحان الله أيبعث إليک ابن رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ثم لا تأتيه؟ فلو اتيته فسمعت من کلامه، فمضی إليه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلی الحسين عليه السلام، وقال لامرأته: أنت طالق، فانّی لا أحبّ ان يصيبک بسببی إلا خير وقد عزمت علی صحبة الحسين عليه السلام لافديه بنفسی وأقيه بروحی ثمّ أعطاها ما لها وسلّمها إلی بعض بنی عمّها ليوصلها إلی أهلها فقامت إليه وبکت وودّعته وقالت

1- السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص105.

2- 2-عبد الرزاق الموسوی المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص253.

كان الله عوناً ومعيناً خار الله لک أسألک ان تذکرنی فی القیمة عند جدّ الحسین علیه السلام فقال لاصحابه من أحبّ أن یصحبنی وإلا فهو آخر العهد منّی به.(1)

ولا توجد زوجة محبة لزوجها تدفع زوجها إلی هذا المنعطف الخطیر وهی تعلم انه لا یعود أبداً، إلا إذا کان إیمانها عظیماً. وقد اشاع الامویون سابقا عن مجیء جیش عظیم لمهاجمة الکوفة فکانت النساء تسحب أولادهنّ وأزواجهن من الشوارع وتعیدهم إلی البیوت!!.

وفی هذه القیمة تغیب الانا ونجد نکران الذات یتجلی فی کثیر من المواقف فهذه زینب علیها السلام تتابع الإمام فی شؤون الحرب وتتفقده وتتناسی أو ربما تقصی أمومتها فلا تسأل حتی عن اولادها الذین استشهدوا قبل الامام! والامثلة علی ذلک کثیرة.

هاء . القیم الانسانیة والاخلاقیة

اشارة

وهی کثیرة أشیر إلی البعض منها:

أ- قیمة الوفاء

1 - وتتجلی هذه القیمة فی بقاء النساء إلی جنب الثائر فی أصعب الظروف, وتتضح الصورة أکثر حینما اعطی الإمام الرخصة لمن کان معه بان یتخذ هذا اللیل جملا وینصرف فی لیلة العاشر، وهنا نسمع تبارک الانصار فی بیان مواقف الاستماتة وکانت النساء حاضرات سواء النساء اللائی جئن مع الإمام أو اللائی جئن مع اسرهن کأم وهب وأم عبد الله بن عمیر الکلبی وغیرهن. فالکل سمعوا بالرخصة لکن احداًلم ینصرف ولم نسمع أبداً أن هؤلاء النساء قد شجعن الرجال (الازواج والأبناء) علی ترک الإمام بل العکس هو الصحیح.

1- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص 71 - 73.

2 – وتتجلى هـذه القيمـة أيضـاً فى وفاء السـيدة زينب عليها السـلام فى عهودها مع الإمام فى حفظ العيال وفى حفظ مظاهر العز إلى غير ذلک.

ب – قيمة استنكار الظلم

اشارة

ولها أكثر من مورد خاصة وان استنكار الظلم الذى لحق بآل البيت نجده بوضوح بعد الواقعة فى أمور منها:

1 . موقف نساء ربيعة ومضر من عمر ابن سعد فى توليه الإمارة

جاء فى المقتل:

وكان من صـنع المختار انه استأجر نساء يبكين على الحسين ويجلسن على باب دار عمر بن سعد، وكان هذا الفعل يلفت نظر المارة إلى ان صاحب هذه الدار قاتل سـيد شباب أهل الجنة، فضجر ابن سعد من ذلک وكلم المختار فى رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا يستحق الحسـين البكاء عليه، ولما اراد أهل الكوفـة ان يؤمروا عليهم عمر بن سـعد بعد موت يزيد بن معاوية لينظروا فى أمرهم جاءت نساء همدان وربيعة، إلى الجامع الأعظم صارخات يقلن ما رضى ابن سعد بقتل الحسين حتى اراد ان يتأمر فبكى الناس واعرضوا عنه.(1)

2 – موقف النوار

ولما رجع كعب بن جابر إلى أهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت: اعنت على ابن فاطمـة وقتلت سـيد القراء لقد اتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمک من رأسى كلمة أبداً فقال:

سلى تخبرى عنّى وأنـت ذميمـة

غداة حسين والرمـاح شـوارع

1– مروج الذهب، ج2 / 105 فى اخبار يزيد.

الم آت اقصى ما كره_ت ولم يخل

على غداة الروع م_ا انا ص_انع(1)

3 - موقف العيوف

وكان من_زل خولى الذى حمل رأس الحسين على بعد فرسخ من الكوفة فأخفى الرأس عن زوجته الانصارية لما يعهده من موالاتها لأهل البيت عليهم السلام الا أنها لما رأت من التنور نوراً راعها ذلک؛ إذ لم تعهد فيه شيئاً، فلما قربت منه سمعت أصوات نساء يندبن الحسين بأشجى ندبة، فحدثت زوجها وخرجت باكية ولم تكتحل ولم تتطيب حزناً على الحسين(2).

4 - موقف نساء المدينة لما جاء خبر استشهاد الامام عليه السلام

... وخرجت بنت عقيل بن أبى طالب فى جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النب_ى لک_م

يوم الحساب وصدق القول مسم_وع

خذلتمو عت_رتى أو كنتُ_مُ غيب_ا

والح_ق عن_د ولىِّ الأم_ر مجم_وع

اسلمتموهم بأيدى الظالمى_ن فم_ا

منكم له الى_وم عن_د الله مشف_وع

ما كان عند غداة الطَّف إذ حضروا

ت_لک المنای_ا ولا عنه_نَّ مدف_وع

فأبكت من حضر ولم ير باک وباكية أكثر من ذلک اليوم.(3)

وكانت أختها زينب تندب الحسين بأشجى ندبة وتقول:

1- عبد الرزاق الموسوى المقرم، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص 250.

2- أنساب الاشراف للبلاذرى، ج 5، ص 238.

3- امالی , الشیخ الطوسی ص 55، وسماها ابن شهراشوب فی المناقب، ج 2، ص 227 اسماء.

ماذا تق_ول_ون إذ قال النبی لکم

ماذا فعلت_م وأنت_م آخ_ر الأم_م

بعت_رتی وبأهلی بع_د مفتق_دی

منه_م أس_اری ومنهم ضُرِّجوا بدم

ما کان هذا جزائی إذ نصحت لکم

أنْ تخلفونی بس_وء فی ذوی رحم_ی(1)

5- امرأة من بنی بکر بن وائل

لم نعرف اسمها وعرفنا عشیرتها وکانت مع زوجها فی جیش عمر بن سعد یا للعجب!!. اذ روی حمید بن مسلم قال: رأیت أمرأة من بنی بکر بن وائل کانت مع زوجها فی أصحاب عمر بن سعد فلمّا رأت القوم قد اقتحموا علی نساء الحسین علیه السلام وفسطاطهنّ وهم یسلبونهنّ اخذت سیفاً واقبلت نحو الفسطاط وقالت یا آل بکر ابن وائل أتسلب بنات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لا حکم إلا الله یا لثارات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فاخذها زوجها وردّها إلی رحله.(2)

تُری کیف صانت هذه المرأة ولاءها وزوجها علی غیر مذهبها؟ وکیف اعلنت صرختها غیر خائفة ولا وجلة؟. لقد قالوا یوما ان المرأة علی دین زوجها لکنها هنا اقوی من زوجها فی ایمانها وقوة شخصیتها.

6- موقف أُم عبد الله ابنة الحر...

روی الطبری، قال: ومکث الحسین علیه السلام طویلاً من النهار کلما انتهی إلیه رجل من الناس انصرف عنه، وکره ان یتولی قتله وعظیم اثمه علیه قال: وان رجلاً یقال له مالک بن النسر من بنی بداء أتاه وضربه علی رأسه بالسیف وعلیه برنس له فقطع البرنس وأصاب السیف رأسه، فأدمی رأسه فامتلأ البرنُس دماً، فقال له الحسین:

لا أکلت بها ولا شَرِبت، وحشرک الله مع الظالمین.

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین (علیه السلام)، ص 335.

2- اللهوف، ص 132.

قال: فألقى ذلک البُرنس ثمّ دعا بقلنسوة فلبسها واعتمّ وقد أعيا وبلّد، وجاء الكندی حتی أخذ البرنُس وكان من خزّ، فلمّا قدم به بعد ذلک علی امرأته أُمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت الحسين بن الحرّ البدّی، أقبل يغسل البُرنس من الدمّ فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم تدخل بيتی؟! أخرجه عنّی. فذكر أصحابه أنّه لم يزل فقيراً حتّی مات.(1)

7- ما ظهر من مواقف السيدة زينب عليها السلام مع ابن زياد ويزيد

وكشاهد علی ذلک فی خطبتها امام اهل الكوفة:

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أی كبد لرسول الله فريتم؟ وأی كريمة له ابرزتم؟ وأی دم له سفكتم؟ وای حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

كذلک ماورد فی خطبتها فی قصر يزيد.

8- موقف امرأة فی قصر يزيد

قال الراوی: ثم جعلت امرأة من بين هاشم كانت فی دار يزيد لعنه الله تندب علی الحسين (عليه السلام) وتنادی يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمد يا ربيع الأرامل واليتامی يا قتيل أولاد الأدعياء.(2)

9- موقف نساء أُخريات لم يكنّ مواليات ولكن لم يدُرْ فی خلدهن ان يزيد سيقوم بارتكاب هذه الجريمة البشعة كزوجة يزيد

قال الراوی: ولما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد الرأس علی باب دارها والنور الإلهی يسطع منه ودمه طری لم يجف ويشم منه رائحة طيبة دخلت المجلس

1- العلامة السيد مرتضی العسكری، معالم المدرستين، ص 445.

2- السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص 179.

مهتوكة الحجاب وهى تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا فقام إليها يزيد وغطاها..(1)

ج - قيمة الصدق

فقد كان الاعلام الحسينى قائماً على الصدق وكان ذلک واضحا فى كلمات النساء وفى خطبهن وفى ما اثرنه ضمن اجواء المصيبة عكس الرجال الأمويين الذين اعتمدوا الكذب والتزوير لتشويه الحقائق واخفائها ولكنهم فشلوا.

د - قيمة حفظ العز

1 - موقف السيدة زينب من الشامى الذى اراد فاطمة بنت الإمام جارية.

2 - موقف السيدة زينب فى أخذ الطعام من الصغار رغم جوعهم الشديد. جاء فى المقتل: وأخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال التمر والجوز والخبز فصاحت أم كلثوم(2): إن الصدقة علينا حرام ثم رمت به إلى الأرض.(3)

3 - الاعتزاز بالشهادة

وهذا واضح من خطب النساء فى الكوفة والشام وقول السيدة زينب عليها السلام لابن زياد ما رأيت إلا جميلاً، وغير ذلک.

ه_ - قيم العطاء

وهى واحدة من سمات أهل البيت عليهم السلام، غير أنها فى الواقعة تجلت فى يوم عصيب يشيب الولدان أهمها كرم السيدة زينب عليها السلام مع بشير بن حذلم لما وصلوا المدينة.

1- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 356.

2- وفى كتاب: فى رحاب السيدة زينب لمحمد بحر العلوم انها زينب الكبرى.

3- المقرم ص310.

قال ابن الأثير واصفاً العودة: «فخرج بهم (بشر) فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه. فإذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت على لأختها زينب:

لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لک أن نصله بشیء؟

فقالت:

والله ما معنا ما نصله به إلا حُليّنا.

فأخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا بهما إليه واعتذرتا فرد الجميع وقال: لو كان الذى صنعتُ للدنيا لكان فى هذا ما يُرضينى، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم».(1)

و - قيمة الإيثار والتضحية

وهذا يبدو واضحاً من خلال هجرة النساء مع الإمام مع كل مشقات السفر وفقدان الراحة والخطر المحدق ولنا ان نتصور أوضاع النساء فى الخيام مع الأطفال وقد قطع الماء عن الجميع, وقد ضحت هؤلاء النساء بأولادهن وازواجهن واخوانهن فى سبيل نصرة الإمام، وكانت كلمات الفخر بالشهادة هى الظاهرة على الشفاه اليابسة ولم يسجل التاريخ ان السيدة زينب سألت عن اولادها ابدا.

وتذكر الروايات ان امرأة واحدة استشهدت فى الواقعة حيث منع الإمام عليه السلام النساء من القتال وهى زوجة عبد الله بن عمير الكلبى، الذى أخذ أسيراً وقتل صبراً، (فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لک الجنة اسأل الله الذى رزقک الجنة ان يصحبنى معک فقال الشمر لغلامه رستم:

1- الكامل فى التاريخ، ج 4، ص 88.

اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهى أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.(1)

كما استشهد أطفال كثير ومنهم الطفلة رقية التى استشهدت فى الشام.

ز - قيمة الصبر

وهو احتمال المكاره من غير جزع ولعمرى فالصبر من اكثر السجايا والقيم وضوحاً وظهوراً بالنسبة للنساء ويكفى انه رغم كل ما مر بهن من صعوبات وازمات ولكنهن بقين يكظمن الغيظ ويحبسن النفس عن الجزع ووضح هذا الأمر حتى من النساء العاديات جداً اللائى استشهد رجالهن أمامهن فى المعركة ونقرأ فى الزيارة:

«سلام على قلب زينب الصبور سلام على من تظافرت عليها المصائب والكروب وذاقت من النوائب ما تذوب منه القلوب».

وفاضت زينب بالصبر على من كان معها فهذا الامام زين العابدين يتزايد المه وحزنه وقلقه لمرأى تلك الاجساد الطاهرة على الرمضاء تصهرها حرارة الشمس وقد فرق بين الرؤوس والأبدان وغابت الأبدن تحت اكوام السهام والطعنات فقد جاء فى المقتل:

وأما على بن الحسين فانه لما نظر إلى أهله مجزرين وبينهم مهجة الزهراء بحالة تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلک عليه واشتد قلقه فلما تبينت ذلک منه زينب الكبرى بنت على عليه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسليه وتصبره وهو الذى لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«مالى أراک تجود بنفسک يا بقية جدى وأبى وأخوتى فوالله ان هذا العهد من الله إلى جدک وأبيک ولقد اخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنة هذه

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص 241.

الأرض وهم معروفون فى أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيک سيد الشهداء لا يدرس اثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالى والأيام وليجتهدن أئمة الكفر واشياع الضلال فى محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً».(1)

ولا أدرى هنا كيف اصف ألموقف وكيف أُعبر أهل هو الثبات أم الصبر أم المواساة من أم المصائب وهى أمام المصائب كلها.

ها هو الامام السجاد يجود بألمه بعد مرضه وهذه زينب تجود بصبرها بعد اكوام الجراح. انها مؤشرات تعرّف بعظمة امرأة.

واو . قيم تكامل الشخصية

اشارة

(وهى القيم التى تتعلق بشخصية الفرد وسلوكه وشعوره الداخلى الذى ينعكس فى حركاته وتصرفاته).(2)

وهذه القيم تتيح للشخص التعامل السليم مع الظروف المختلفة وتنعكس على سلوكه الخارجى. ومن البديهى أن الإعداد لها يتم منذ الصغر كيما يتم تنضيج الشخصية من خلال البناء السليم والمتوازن، وأهم هذه القيم:

أ - التكيف الذكى

ويعنى القدرة على التأقلم مع الظروف المختلفة فضلاً عن الصعبة والحرجة والأزمات. وهذا التكيف (أو ما يعبر عنه احياناً بالتوافق الاجتماعى) يجُنب الإنسان الأمراض النفسية أو الانهيارات العصبية التى تطيح حالياً بالإنسان المعاصر نتيجة عدم

1- 1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 308.

2- د. احمد على كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية.

قـدرته على مواكبة التغييرات فى الأوضاع والشؤون العامة والخاصة وهو مما يضاعف من نسـبة الانتحار كتعبير سـلبى عن عدم القدرة على التوافق. أما الـذين يعيشون أهـدافاً عليا وكبيرة ومهمـة فيكون التكيف عندهم أسـرع من حيث ان وجود الأهداف يخفف من حدة الصواعق التى يتعرض لها الفرد.

ولقد تعرضت نساء الطفوف لأقسـى الضـغوطات ولأقسـى أنواع العنف السياسى المتعدد لكنهن أثبتن مهارة عالية فى التكيف مع الأوضاع الصـعبة التى عاشـتها وبخاصّة فى السبى والأسـر وفى قصـر يزيد وابن زياد وخربة الشام وهذه المرونة العالية فى التكيف والتأقلم مع سـمو الأهداف ازاحت كل خوف أو قلق.

ويسـهم البناء السـليم للشخصية والتعود التدريجى على مواجهة الصعاب والمكاره مع عمق الإيمان بالله على التأقلم مع الظروف الصعبة والحوادث القاسـية والتى غالبـاً ما تكون القاطع العرضـى لخط الحياة الطولى. وهـذا يسوقنا إلى بحث تربوى وهو ان التربيـة التى تقوم على الحماية الزائدة تقلل من قابلية التأقلم.

ب - التصميم والإرادة

وتعنى قـدرة الفرد على المضـى فى رأيه بكل قوة وحزم وصـلابة وشـجاعة وجرأة وثبات واصـرار وبسالـة وقـدرة على مواجهـة الصـعوبات والاخطار.(1)

وهـذا واضـح منذ بداية مسـير النساء مع الإمام انهن كن ذوات ارادة واضـحة ولـم يحُلْ منع المانعين للإمام عن حمل النساء من ارادتهن أو تصـميمهن. ورغم كل الصـعوبات فقـد بقين على ثبات واحـد وعـدم تراجع أو تردد طوال المسـيرة. والذى يتابع مسـيرة النساء فى المدينة والعودة إليها لا يجد موقفاً واحداً يدل على خوف أو ضعف أو تردد بل كانت الشجاعة كلها والثبات كله.

1- نفس المصدر.

ج - الأمل بالمستقبل

ورغم كل ما تعرضن إليه فلم يجد اليأس إليهن سبيلاً، وهو ما كان يريده الأمويون من خلال تشديد العنف ضد النساء بكل أشكاله، ولكننا لا نجد صورة لليأس أبداً؛ اذ كان التفاؤل واضحاً فى كلمات السيدة زينب عليها السلام أمام يزيد:

فكد كيدك، واسع سعيك، فوالله لن تمحو ذكرنا أبداً..

وهذا أيضاً يأتى من الإيمان بالله وبالأهداف الرسالية العليا .

د - الثقة بالنفس

وتعنى شعور الفرد بالتكامل الداخلى وبانه قادر على ان يعتمد على نفسه،(1) ومن خلال مسيرة النساء لم يظهر عليهن أى تردد أو خوف بل القوة والشجاعة كانت واضحة حتى عند أولئک النساء اللائى جئن مع ازواجهن إلى أرض الطفوف كأُم وهب.

وكانت حرائر أهل البيت عليهم السلام على ثقة كاملة بالله وبالنفس فى انهن سيؤدين أدوارهن كاملة فتقدمن لالقاء الخطب والبيان كاشف عن هذه الثقة.

ه_ - الجرأة الشخصية

وتعنى شعور الفرد بالقدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب وقبول التحدى والصعوبات والاسراع باقتراح المبادرات النابعة من قناعة و إرادة وتصميم بعيداً عن الهروب والانطوائية.(2)

ولعل فى ايواء طوعة لسفير الحسين مسلم بن عقيل أكبر دليل على هذه القوة الإيجابية التى باتت فى وقت تهاوى فيه ولدها وبقية الصناديد عن تقديم العون لمسلم خوفاً من العقاب الأموى.

1- نفس المصدر.

2- نفس المصدر.

4 - الدور الإعلامى

اشارة

وهو من أهم الأدوار التى حملتها هؤلاء النساء وعلى رأسهن السيدة زينب عليها السلام وهو أيضاً أحد أهم الأسباب التى دفعت الإمام عليه السلام إلى اصطحاب نسائه وعياله إلى أرض المعركة، وقد كان للدور الإعلامى النسوى الأثر الكبير فى نشر وقائع الثورة والتعريف بشخوصها، واستطاعت اقتحام مركز قوة العدو؛ لتميط اللثام عن الحقائق التى حاول النظام اخفاءها من خلال حملة التشويه التى قام بها ضد شخوص الثورة، والإعلام بان هؤلاء سبايا الترك والديلم، وان الذى قتل فى كربلاء هو من الخوارج. ولولا هذا الدور العظيم لماتت الثورة وأهدافها كما ماتت الكثير من الأحداث المهمة التى شهدها التاريخ والتى يعود سبب الضياع الأصلى إلى عدم وجود من يتولى المسؤولية الإعلامية.

ويمكن القول: إن هذا الدور قد بدأ منذ استشهاد الإمام عليه السلام وقد استمر حتى وصول السبايا إلى الشام ومن ثم المدينة حيث اقيمت مجالس العزاء التى هى إحدى صور هذا الخطاب. غير ان البعض يرى ان هذا الخطاب مازال مستمرا إلى يومنا هذا وهو سيستمر حتى الظهور حيث تظهر فيه الأمور على حقائقها الناصعة(1).

واذ يعد الإعلام أحد أهم المؤسسات التربوية فى المجتمع حيث تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً فى تشكيل الرأى العام أو توجيهه نحو مسار معين، ويسهم الإعلام الهادف أيضاً فى القضاء على الشائعات والتى نجد لها صدى شعبياً واسعاً عند الناس ويعتمد فى ذلك أسلوب بث المعلومات الصحيحة وتقديمه الأدلة والمستندات حول ما يعلنه أمام الملأ.

وقد اعتمد الأمويون سياسة الإعلام المضلل لتبرير استيلائهم على السلطة

1- راجع محمد مهدى الآصفى، الخطاب الحسينى، المرحلة الثانية للثورة الحسينية.

ولتبرير الكثير من الممارسات اللا أخلاقية التى قاموا بها فى اضطهادهم للكثير من المؤمنين الموالين, بل وحتى سب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر اعتمدوا فى إبقائه كسنة ثابتة أيام حكمهم على ما بثوه من أحاديث كاذبة تنتقص من مكانة أمير المؤمنين عليه السلام – والعياذ بالله – وتمسح عنه كل فضيلة وكل آية تذكره بمدح عظيم. ويمكن القول ان كل الأحداث التى جرت بعد الواقعة وبعد استشهاد الإمام من ثورات ومن تنامٍ للحقد على الأمويين يعود بالدرجة الأولى إلى الدور الإعلامى الذى اظهر مظلومية أهل البيت عليهم السلام وبشاعة اعدائهم وهدّم منظومة القيم التى روجها الأمويون من خلال إعلامهم المضلل كالانهزامية والجبرية والسكوت عن ظلم الحاكم الجائر إلى غير ذلک.

ويمكن تقسيم هذا الدور إلى ثلاثة مقاطع زمنية متتابعة:

1 . المرحلة الأولى وتبدأ منذ استشهاد الإمام عليه السلام إلى أسر النساء وحمل السبايا إلى الكوفة وإلى مجلس عبيد الله بن زياد.

2 . والمرحلة الثانية تبدأ منذ خروج هذه القافلة من الكوفة فى رحلة المسير إلى الشام والى قصر يزيد.

3 . والمرحلة الثالثة هى مرحلة عودة السبايا من الشام إلى كربلاء ثم إلى المدينة المنورة.

فهذا الدور الخطير يمر عبر هذه المراحل الثلاث المتتابعة زمنياً ومكانياً وهذه السعة والامتداد فى الأماكن والأوقات هو الذى أسهم فى تحقيق النجاح لهذا الدور.

كما ان الذين اشتركوا فى هذا الخطاب المهم هم السبايا والأسرى الذين حملهم عمر بن سعد إلى قصر الطاغية فى الكوفة ثم الشام. فحرائر بيت الوحى هن اللاتى حملن مسؤولية هذه المهام مع الإمام زين العابدين عليه السلام والذى كان مريضاً لا

يقوى على القتال ولكنه كان يقوى على تقديم الخطاب المطلوب. وعلى رأس الحرائر تأتى السيدة زينب عليها السلام لتكون صاحبة الثقل الأكبر فى هذا الخطاب.. والمتأمل لهذه المراحل يرى انه لا توجد بينها فترات استراحة أو فترة هدنة مؤقتة بل يستمر الألم من مرحلة إلى مرحلة ولنا ان نتصور حال هؤلاء النساء فى كل الأحداث الصعبة التى مرت بهن.

المرحلة الأولى

اشارة

وتبدأ هذه المرحلة منذ استشهاد الإمام عليه السلام.. حيث كانت النساء فى الخيام وقد علمن بمصرعه عليه السلام من خلال صوت الفرس الذى عاد باكياً، ومن ثم هجوم قوات العدو على معسكر الحسين عليه السلام فاحرقوا الخيام مما أدى إلى فرار النساء مذعورات خائفات من خيمة إلى خيمة حتى تم جمعهن فكنّ عشرين امرأة حملن إلى ابن زياد سبايا ضمن أربعين جملاً حملت العيال كلهم من النساء والأطفال مع الإمام زين العابدين عليه السلام.

ويمكن عرض أهم محطات هذه المرحلة الإعلامية:

ألف - مجيء النساء إلى أرض المعركة بعد الاستشهاد

قال الراوى:

بعد ان سير ابن سعد الرؤوس الى الكوفة بقى هو ليدفن قتلاه تاركا سيد شباب اهل الجنة على الرمضاء، فقالت النسوة: بالله عليك إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين، ولما نظرن إليهم مقطعى الأوصال قد طعنتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن وصاحت زينب: يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتک سبايا وذريتک مقتلة فأبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت: إلهى تقبل منا هذا القربان.(1)

قالت السيدة كلمتها هذه أمام الجيش الذى كان يعيش فرحة الانتصار وتداعب مخيلاته صور العطايا التى سيحصل عليها من ابن زياد من مال وثروة وجاه وامارة للرى مرجوة عند قائد الجند.. لكن الحوراء عليها السلام قوضت نشوة الانتصار هذه من خلال رسالتها الكلامية القصيرة فلم تجعل كلماتها همساً لا يسمعه أحد بل لابد للجميع ان يسمعوا ولا بد ان تُهَز ساعة الانتصار هذه بوخز الضمير فجاءت كلماتها حممـا حارقة لاحلام النشوة. وربما أجاز عمر بن سعد المرور على مصارع القتلى؛ لأنه توقع انهيار عزائم النساء أمام الصورة المحزنة لمصرع الحسين عليه السلام وبانهن سيتهاوين أمام الجند الفرحين بحطام الدنيا وبهذا تتكامل نشوة الانتصار ويشعر بالفرح العظيم فى انه اقترب من حلمه!. غير ان المشهد انقلب فكانت صلابة السيدة وصبرها وافتخارها بالشهادة قد كسر نشوة الانتصار المزيف وكان خطابها أمام الجند والذى ينقله صاحب اللهوف مضيفاً إليه قائلا:

فوالله لا أنسى زينب بنت علىّ عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادى بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه صلى عليک ملائكة السماء هذا حسين مرمّل بالدماء مقطّع الأعضاء وبناتک سبايا إلى الله المشتكى والى محمد المصطفى والى على المرتضى والى فاطمة الزهراء والى حمزة سيّد الشهداء واكرباه اليوم مات جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السبايا وفى رواية: يا محمداه بناتک سبايا وذرّيّتک مقتّلة تسفى عليهم ريح الصبا وهذا حسين محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والرداء بأبى من اضحى عسكره فى يوم

1- المقرم ص307

الاثنين نهبا بأبى من فسطاطه مقطّع العرى بأبى من لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى بأبى من نفسى له الفداء بأبى المهموم حتّى قضى بأبى العطشان حتّى مضى بأبى من شيبته تقطر بالدماء بأبى من جدّه محمد المصطفى بأبى من جدّه رسول اله السماء بأبى من هو سبط نبيّ الهدى بأبى محمّد المصطفى بأبى خديجة الكبرى بأبى علىّ المرتضى عليه السلام بأبى فاطمة الزهراء سيّدة النساء بأبى من ردّت له الشمس صلًى. وقال الراوى: فابكت والله كلّ عدوّ وصديق...(1)

هذه الكلمات الملفعة بالحزن تنطلق كسيل جارف يذيب رعشات الانتصار المؤقت.. زينب عليها السلام بكل هذه الصلابة تقدم شكواها من هذه الأمة الباغية إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى يدعى الجميع طاعتهم له! وتنقل له صورة ريحانته المقطع الأوصال المحزوز الرأس المحترقة خيامه المنهوبة عياله.. شكوى عظيمة قدمتها السيدة أمام الملأ الغارق فى الدنيا وهنا نخرج بخلاصة من الأمور كلها حول هذا الموقف:

1- ان ماحصل كان قد كسر نشوة الانتصار لدى الجند الذى سمع الملامة الأولى والتقريع الخالد قبل ان يسمع تبريک الفوز!.

2- كلامها عليها السلام كان أمام المجرمين أنفسهم الذين قتلوا وذبحوا وأحرقوا وأسروا وهو بمنزلة وخز للضمير الميت الذى ربما لم يلتفت وقتها إلى ما قدّم لكن الأحداث التالية هزت مضجعه.

3- كان كلامها أمام عمر بن سعد نفسه.. فقد جاء فى المقتل:

وانتهت نحو الحسين وقد دنا منه عمر بن سعد فى جماعة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه! فصاحت: أى عمر أيقتل ابو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فصرف بوجهه

1- اللهوف، ص 133 - 134.

عنها ودموعه تسيل على لحيته.(1) وهو اول توبيخ لقائد الجيش الذى حقق انتصاره بقتل سيد شباب أهل الجنة وريحانة المصطفى وهو فى فرحة ونشوة!! فلا بد إذاً من تقريع أولى على ما قدمت يداه فهو الملام الاول الذى كان حاضرا فى ارض المعركة لتنفيذ أوامر اسياده ساحقا كل المقدسات! قال الراوى: فكأنّى أنظر إلى دموع عمر وهى تسيل على خدّيه ولحيته، وقال: وصرف بوجهه عنها.(2) فلقد ذكّرته زينب عليها السلام بالرسول وبالحسين وبالمدينة التى تركها للفوز بولاية شبر من الدنيا!! لقد كانت كلماتها صفعة له أمام جنده. والموقف كان من الفجاعة والالم بحيث ان الإمام زين العابدين عليه السلام يشتد قلقه لما يرى جسد ابيه واخوته واعمامه بتلك الحالة..

باء - عند باب الكوفة

ثم تبدأ مسيرة القافلة الطويلة.. مسيرة الحزن والأسى من كربلاء باتجاه الكوفة ونساء بيت النبوة وحرائر الرسالة ومعهن الامام السجاد وابنه الباقر عليه السلام، وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الاصحاب وكنَّ عشرين امرأة، وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبى الترك والروم وهن ودائع خير الأنبياء ومعهن السجاد على بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنة، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العلة، ومعه ولده الباقر، وله سنتان وشهور،(3) والجميع فى وضع لا يحسدون عليه أبداً.. اركبوهن على الجمال بلا غطاء، ولا وطاء .. وهن النساء المرهقات اللائى لم تغفُ عيونهن ليلة الأمس ولم يشعرن بطعم

1- الكامل, ابن الأثير ج 4، ص 32؛ و تاريخ الطبرى ج 6، ص 259 طبع أول؛ ومقتل الحسين للمقرم، ص284.

2- العلامة السيد مرتضى العسكرى، معالم المدرستين، ص447.

3- المقرم، ص 305.

الراحـة وكلهن مفجوعـات حـائرات يرثين الأحبـة فى القلوب فهـذه ترثى ولـدها وأخرى أباها وثالثـة أخاها.. موكب حزين يسـير مع القتلة والمجرمين الذين قتلوا الأحبة ومثّلوا باجسادهم حقداً عليهم!... وهم يسـيرون ما بين ضرب السياط وشماتة الأعداء!!. (واخذ زجر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن، فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال.(1)).

لله.. هؤلاء السبايا!!

ويصل الموكب الحزين إلى الكوفة، وقد تجمع الناس من كل حدب وصوب بعد ان أعلن ابن زياد انهم سيأتون برأس الخارجى الذى خرج على ابن زياد.. ولنا ان نتصور الموقف فهذه زينب عليها السـلام تعود إلى الكوفة التى كان ابوها حاكما لها وكانت لها فيها مجالسها الثقافية مع نساء المدينـة.. وإذا بها تـدخلها اليوم أسـيرة مغلولة الايدى مع جمع من النساء المسبيات وليس لهن حول ولا قوة.. وقد جاء الناس من كل حـدب وصوب لرؤية اسـرى الترك كما اعلن ابن زياد.. وهذا الجمهور المسـتغرق فى التيه قاده الفضول إلى بوابة الكوفة ليطالع السـبايا والرؤوس.. كأى حالة تستهوى الناس وتدفعهم للنظر والتطلع. وكان ابن زياد قد نشر إعلامه المضلل الذى يتحدث عن انتصاره وفرحه لقتل الخارجى الـذى خرج على ابن زياد ويزيـد.. وكانت الناس لا تـدرى من هو الخارجى بـدليل ما جاء فى مقتل الحسـين للمقرم (وأشـرفت عليهـن امرأة مـن الكوفيـات ورأتهـن على تلـك الحـال الـتى تشـجى العـدو الألـد فقـالت: من أى الأسـارى أنتم؟ قلن: نحن أسـارى آل محمد!!).(2)

الناس إذاً مجتمعون يدفعهم الفضول للنظر والتطلع. وموكب نساء أهل بيت

1- المقرم، ص 309.

2- ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص 145.

النبوة موكب حزين مفجع تتقدمه الرؤوس الشريفة وتعلو الصفرة وجوه الصغار ويكاد يطيح الإرهاق بنفوس الجميع لكنه رغم كل هذه الاوجاع موكب يعرّف بشمائل الاسرى من خلال معالم الهيبة والوقار التى جللتهم.

وابتدأت السيدة زينب عليها السلام خطابها العظيم، إذ يقول المقرم فى مقتل الحسين: ولقد أوضحت ابنة أمير المؤمنين عليه السلام للناس خبث ابن زياد ولؤمه فى خطبتها بعد أن أومأت زينب عليها السلام إلى ذلک الجمع المتراكم فهدأوا حتى كأنّ على رؤوسهم الطير وليس فى وسع العدد الكثير ان يسكن ذلک اللغط أو يردَّ تلک الضوضاء لولا الهيبة الإلهية والبهاء المحمدى الذى جلّل «عقيلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

فيقول الراوى: لما اومأت زينب ابنة على عليه السلام إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية.(1)

[فكانت خطبتها العظيمة] فقالت صلوات الله عليها:

الحمد لله والصلاة على أبى محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف(2) والعجب والكذب والشنف(3) وملق الاماء(4)، وغمز الأعداء(5)، أو كمرعى على

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 310 - 311.

2- الصلف بفتحتين: الذى يتمدح بما ليس عنده، والنطف القذف بالفجور.

3- الشنف: المبغض بغير حق.

4- الملق: التذلل.

5- الغمز: الطعن بالشر.

دمنة(1)، أو كقصعة على ملحودة(2) ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم، وفى العذاب أنتم خالدون.

اتبكون وتنتحبون، أى والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة. ومدره حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون.

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعى، وتبت الأيدى، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمة له ابرزتم؟ وأى دم له سفكتم؟ واى حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

ولقد أتيتم بها خرقاء. شوهاء. كطلاع الأرض وملء السماء أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون فلا يستخفنكم المهل، فانه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربكم لبالمرصاد(3).

وهنا أمر على الهيبة الزينبية فهى (ما ان أومأت إلى الناس ان اسكتوا) فسكتوا.. يا للعظمة مجرد ايماءة! فلم تطلب منهم بلسانها بل بمجرد ايماءة!! وكان سكوتهم عظيماً

1- الغرض التعريف بان الدمنة وان زها ظاهرها بالنبت الا انه لا يفيد الحيوان قوة لأنها مجمع الأوساخ والكثافات السامة القاتلة فنتاج الدمنة لا يكون طيباً.

2- (قصعة) بالقاف المثناة والصاد المهملة :وهى الجص تتناسب مع الملحودة التى هى القبر.

3- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 311 - 312.

(فسكنت الأنفاس والأجراس!!) وحينما نمر على الموكب الحسينى أمام بوابة الكوفة وقد اجتمع الناس من كل حدب وصوب للتفرّج عليهم. فان ثقل الفاجعة سيكون عظيما محبطا شديد الاحباط ومخرسا للجميع. وكثيرا مايكون من عوامل الخرس هو الازدحام الجماهيرى وبخاصة ان النفوس مرهقة مستغرقة فى شجون تهد الجبال هداً. فى هذه المحنة القاسية تنبرى السيدة إلى تقريع الناس ولومهم على تخاذلهم ونقضهم للعهود وجبنهم عن نصرة الامام الذى دعوه للثورة وكان الناس يومها احوج ما يكونون لهذا العتاب الساخن كى يستيقظوا.. فما يكفى ان يعرفوا ان هذا الرأس المرفوع على السنان هو رأس ابن بنت المصطفى وسيد شباب أهل الجنة؛ اذ لابد من ان تهتز الضمائر وتتحرك الآهات وتعاد بلورة الحزن وتحويله إلى حزن فاعل مثمر للثورات فيما بعد. لقد كانت خطبة السيدة زينب أمام جمهور الكوفة أول تعليق رسمى يصدر عن لسان أهل البيت عن الفاجعة ثم كانت خطبة السيدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام وخطبة أم كلثوم ثم خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام. وقد تميزت خطبة السيدة زينب عليها السلام بالقصر ولكنها حوت على معانٍ جليلة أهمها:

1 . العتاب مع الموالين المتخلفين عن النصرة (ويلكم يا أهل الكوفة).

2 . بيان مقام الإمام الحسين عليه السلام (وانّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة).

3 . تعزيز الشعور بالاثم (فلقد ذهبتم بعارها وشنارها)، (فتعسا ونكسا وبعداً لكم وسحقا).

4 . التذكير بالآخرة والعذاب المنتظر (ولعذاب الآخرة أخزى).

وسيأتينا شرح الخطبة الكاملة فى نهاية الكتاب ونفس هذه الميزات الأربع كانت فى الخطب التالية التى القيت فى الكوفة.

نعم القت السيدة حمماً حارقة على أهل الكوفة فى أول لقاء جماهيرى، فاحترقت القلوب واكتوت بنار المصيبة حتى استطاعت تلك النار ان تذيب ركام الاثم الذى سببه تخلفهم وتقاعسهم عن نصرة الإمام عليه السلام فانطلقت الثورات جارفة لكل القتلة إلى محط اللعن الأبدى.

وتكرار الخطب يعنى تكرار اللوم والتقريع ويعنى تكرار عرض الحقائق فالذى فاتته الخطبة الأولى سيهتز عند الثانية والذى فاتته الثانية لابد من ان ينحدر باكياً عند الثالثة.. ثم ان هذه الخطبة كانت نموذجاً لخطاب سياسى بليغ ومؤثر ويسلط الضوء على المطلوب فى العملية الإعلامية وهذا واضح من تأثيره على المتلقى الذى شعر بالانهيار أمام الحقائق المعلنة، ثم ان التكرار هو أحد أساليب تغيير البرمجة الفكرية والعقلية ولا ننسى أبداً ان هذه الخطب جاءت من قلوب مفجوعة فاستقرت فى قلوب بدأت تتفجع للمأساة.

ويمكن استقراء النتائج الأولية لخطب النساء فى ما اورده صاحب اللهوف حيث يصف تفاعل الناس مع خطبة السيدة زينب عليها السلام:

قال الراوى: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم فى أفواههم ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبى يبكى حتّى اخضلّت لحيته وهو يقول بأبى أنتم وأمّى كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير نسل لا يخزى ولا يبزى.(1)

وخطبت فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأُؤمن به وأتوكل عليه، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريک له وان محمداً عبده

1- السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص 148 - 149.

ورسوله. وان أولاده ذبحوا بشط الفرات، من غير ذحل ولا ترات.

اللهم انى اعوذ بک أن افترى عليک، وان أقول عليک خلاف ما انزلت من اخذ العهود والوصية لعلى بن أبى طالب المغلوب حقه المقتول من غير ذنب «كما قتل ولده بالامس» فى بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً فى حياته ولا عند مماته، حتى قبضه الله تعالى اليه محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فى الله سبحانه لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لک ولرسولک، زاهداً فى الدنيا غير حريص عليها، راغباً فى الآخرة، مجاهداً لک فى سبيلک، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فانا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا. فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته على الأرض فى بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممن خلق الله تفضيلاً.

فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترک أو كابل كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد مقتدم، قرت لذلک عيونكم، وفرحت قلوبكم افتراء على الله ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجدل بما اصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فان ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة «فى كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلک على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور».

تباً لكم فانظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حل بكم وتواترت من

السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون فى العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم. اتدرون أية يد طاعنتنا منكم؟ وأية نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم بأية رجل مشيتم إلينا؟ تبغون محاربتنا، قست قلوبكم وغلظت أكبادكم، وطبع الله على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم وسوَّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تباً لكم يا أهل الكوفة، أى ترات لرسول الله قِبلَكم، وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه على بن أبى طالب جدى وبنيه وعترته الطيبين الأخيار، وافتخر بذلک مفتخركم.

نحن قتلنا علياً وبنى ع_لى

بسيوف هن_ديَّة ورم_اح

وسبينا نساءهم سبى ت_رک

ونطحناهُمُ ف_أىّ نط_اح

بفيک أيها القائل الكثكث والأثلب(1) افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فاكظم واقْعَ كما أقعى أبوک فانما لكل امرىء ما اكتسب. وما قدمت يداه.

حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله تعالى، ذلک فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

يقول الراوى: فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا: حسبک يا ابنة

1- فى تاج العروس: الاثلب بكسر الهمزة واللام وفتحهما والفتح أكثر الحجر وقيل دقائق الحجارة، وقال شمر الاثلب بلغة الحجاز الحجارة وبلغة تميم التراب وهو دعاء! وفى الحديث: الولد للفراش وللعاهر الاثلب وفيه ص 640: الكثكث كجعفر وزبرج دقائق التراب ويقال: التراب عامة يقال بفيه الكثكث أى التراب.

الطاهرين فقد حرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا فسكتت.(1)

وقالت أُم كلثوم:

صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم. فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أى دواهٍ دهتكم واى وزر على ظهوركم حملتم. وأى دماء سفكتم وأى كريمة أصبتموها وأى صبية أسلمتموها وأى أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبى ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشيطان هم الخاسرون.(2)

وعن خطبة أم كلثوم:

قال الراوى: فضج الناس بالبكاء والنّوح ونشر النساء شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن وخمشن وجوههن وضربن خدودهن ودعون بالويل والثبور وبكى الرجال ونتفوا لحاهم فلم ير باكية وباك أكثر من ذلك اليوم.(3)

جيم - فى مجلس ابن زياد

حيث كانت أوامره بان تدخل السبايا مع الرؤوس إلى مجلسه العام!. نوعاً من التشفى بمصائب أهل البيت ونوعاً من بيان حقدهم عليهم واستخفافهم بكل ما هو مقدس، بل هو نوع من استعراض العضلة الأموية أمام هذا الركب الذى يقوده مريض

1- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 305.

2- المقرم، ص 316.

3- نفس المصدر، ص 156.

عاجز عن حمل السلاح! قال الراوى:

لما رجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل قصر الامارة ووضع امامه الرأس المقدس أذن للناس إذناً عاما وأمر بادخال السبايا مجلسه فادخلت عليه حرم رسول الله بحالة تقشعر لها الجلود.

ووضع رأس الحسين بين يديه وجعل ينكث بالقضيب ثناياه... وانحازت زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام عن النساء وهى متنكرة لكن جلال النبوة وبهاء الإمامة المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة؟

قيل له: أبنة أمير المؤمنين «زينب العقيلة».

فأراد ان يحرق قلبها بأكثر مما جاء إليهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت عليها السلام:

الحمد لله الذى اكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيرا، انما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت عليها السلام:

ما رأيت إلا جميلا.(1)

ويمكن ان نفهم تداعيات الموقف من خلال ما جرى فيما بعد فى الكوفة نفسها، فقد جاء فى المقتل:

ولما وضح لابن زياد ولولة الناس ولغط أهل المجلس خصوصاً لما تكلمت معه زينب العقيلة خاف هياج الناس فأمر الشرطة بحبس الأسارى فى دار إلى جنب المسجد

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 323 - 324.

الأعظم قال حاجب ابن زياد: كنت معهم حين أمر بهم إلى السجن فرأيت الرجال والنساء مجتمعين يبكون ويلطمون وجوههم.(1)

وقد هاجم ابن زياد عدداً من الموالين معلنين بذلک عن استنکارهم لعمله کما فی موقف زید بن الأرقم وموقف ابن عفیف الازدی وجندب بن عبد الله الازدی رحمهم الله.

وبعد کل الذی حصل خاف ابن زیاد علی حکومته وعلی نفسه فأمر بارسال السبایا إلی الشام مع الرؤوس وارتجت الکوفة کلها لتودیع أهل البیت علیهم السلام (وعجت نساء همدان بالبکاء)(2) وضجّ الناس بالبکاء عندما غادر موکب أهل البیت

1- المقرم, 326.

2- حیاة الإمام الحسین للشیخ باقر القرشی، ج3، ص 368. یعلق الشیخ الآصفی علی ذلک بالقول: ان الذی حدث لها ولأهل بیتها حَدَثَ بعلم الله وسلطانه فقد کان الله یعلم بما یحدث فی کربلاء، وکان قادراً علی أن یحول بینهم وبین ما صنعوا بآل بیت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، والله تعالی جمیل، رؤوف بعباده، ولو کان الذی حدث لآل البیت یضرّ بهم، لحال الله تعالی بینهم وبین ما یریدون، وکان الله تعالی علی ذلک قدیراً، ولم یخرج الطاغیة فی بطشه وفتکه عن قبضة سلطان الله تعالی. ولکن الله تعالی جعل ابتلاء المؤمنین بالخوف والجوع والنقص فی الأموال والأنفس والثمرات طریقاً إلی رضوانه وصلواته ورحمته... وقد جعل الله تعالی أهل البیت علی طریق رضوانه ورحمته وصلواته: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (156) أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)). ولن یسلک الإنسان الطریق إلی رضوان الله ورحمته إلا من خلال هذه الضرّاء والبأساء، وما یصیب الإنسان فی أزمات الابتلاء من زلزال فی النفوس ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ)). إنّ هذه الهزّات والزلازل التی تصیب المؤمنین وهذه البأساء والضرّاء والقتل هو السبیل السالک إلی رضوان الله ورحمته، وهذه مشیئة الله تعالی، ولیس فی مشیئة الله إلا الجمیل. والسیدة زینب (علیها السلام) تدرک هذه البصائر من کتاب الله، وتعرف أن أخاها وأهل بیتها خرجوا یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر. وقد قدّر الله تعالی وکتب لهم القتل، فبرزوا إلی مصارعهم بأمر من الله تعالی ورضاه وابتغاء لمرضاته، فلا تری فیما أراد الله تعالی به وبها وبأهل بیتها إلا الجمیل. وهی مطمئنة إلی ذلک، واثقة بذلک، فتقول وبکل ثقة واطمئنان فی جواب الطاغیة: «ما رأیت إلا جمیلا» ولکن أنّی یدرک الطاغیة البلید هذا الجمال. وبهذه البصیرة الصافیة النفّاذة تتجاوز عواطفها وآلامها وتتقبل المصاب الفجیع بسکون واطمئنان وقوّة وثقة بالله تعالی. وهی تعلم ان الله تعالی سوف یجمع بین أخیها الإمام الشهید (علیه السلام) وبین الطاغیة الذی اسکرته نشوة النصر ومصرع الطیبین من آل محمد (صلی الله علیه وآله وسلم)، وهناک ینقلب الحال، ویخزی الطاغیة ومن أمّره، ویفلح الحسین علیه السلام وأهل بیته وأصحابه. فتقول له، وهو فی نشوة النصر، وسکرة الغرور: «وسیجمع الله بینک وبینهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن یکون النصر یؤمئذٍ».

عليهم السلام الكوفة مغلولين، قد أوثقوا بالحبال بحالة تقشعر من ذكرها الأبدان، وترتعد مفاصل الإنسان بل الحيوان، كما يقول الفاخورى.(1)

وكان على بن الحسين عليهما السلام يقول:

«تنوحون وتبكون فمن الذى قتلنا».(2)

ويذكر الشيخ الصدوق فى الأمالى عن حاجب الطاغية: (ان الطاغية بعدما سمع اعتراض الناس ورأى سخطهم أمر بعلى بن الحسين عليه السلام فغل وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملئ رجالاً ونساء يضربون وجوههم ويبكون، فحبسوا فى سجن وطبق عليها).(3)

وتسير قافلة الحسين عليه السلام إلى الشام فى صورة محزنة وكان العتاة والقتلة

1- الآصفى الخطاب الحسينى نقلا عن تحفة الأنام فى مختصر تاريخ الإسلام: 84.

2- المقرم نقلاً عن تحفة الانام من مختصر تاريخ الإسلام، ص 84.

3- آية الله الشيخ محمد مهدى الآصفى، الخطاب الحسينى، المرحلة الثانية للثورة الحسينية، ص 91.

معهم وكلما دمعت عين واحد منهم ضربوه بالرمح كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وسنمر على الموضوع فى تفصيل أكثر فى حادثة السبى.

لقد منعوا الإمام الحسين من دخول الكوفة كى لا تحصل ثورته فيها وأبعدوه إلى صحراء كربلاء حيث لا ناس هناك ينصرونه ولا مكان لبيوت أو منازل آهلة فيهبون لنجدته وتقديم العون إليه وبذلک تكون ثورته عقيمة ميتة لكن النساء نقلن الثورة إلى الكوفة كلها وبعدها إلى الشام كله والى كل المدن التى كانت فى المسير ونجحن فى هذا المشروع الكبير كما سيأتينا.

المرحلة الثانية من الدور الإعلامى

اشارة

وهى تبتدئ منذ وصول السبايا إلى الشام وتستمر حتى خروجهم منها فى مدّة قصيرة ربما هى ثلاثة ايام لكن ثقلها فى المنظومة الحسينية كان عظيماً.

فلقد كان يزيد على أحرّ من الجمر لرؤية هذا السبى النبوى الذى يسيح جراحاً، وليسترجع الشعور بالنشوة والتعويض عن عقدة الحقارة التى استقرت فى الظل الباطن للامويين على مدى عقود طويلة ولهذا استعد يزيد أكثر من استعداد ابن زياد لإقامة الاحتفال الكبير الذى انتظره طويلا.

وفى أول يوم من صفر دخلوا دمشق فأوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم فى فرح وسرور ودنا رجل من «سكينة» وقال: من أى السبايا أنتم؟ قالت: نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.(1)

وقد دخلوا مجلس يزيد فى حالة مؤلمة للغاية فقد أوثقوهم بالحبال فكان الحبل فى عنق زين العابدين إلى زينب وام كلثوم وباقى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلما قصروا عن المشى ضربوهم حتى اوقفوهم بين يدى يزيد وهو على سريره فقال على بن الحسين عليه السلام: ما ظنک برسول الله لو يرانا على هذا

1- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 348.

الحال؟ فبكى الحاضرون وأمر يزيد بالحبال فقطعت.(1)

ويمكن مراجعة المقتل الحسينى ليكون هناك اطلاع عن كثب على حال السبايا لما دخلن المجلس وعن فرح يزيد وشماتته بهن واظهار حقده الدفين على أهل البيت عليهم السلام.

ثم كانت خطبة السيدة فى المجلس:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول:

((ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون)).(2)

اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى ان بنا على الله هوانا، وبک عليه كرامة، وان ذلک لعظم خطرک عنده فشمخت بأنفک، ونظرت فى عطفک، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لک مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لک ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، انسيت قول الله تعالى:

((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)).(3)

أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وابديت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الاعداء من

1- نفس المصدر السابق، ص 350.

2- سورة الروم، الآية 10.

3- سورة آل عمران، الآية 178.

بلد الى بلد ويستشـرفهن اهل المناهل والمعاقل, ويتصفح وجوههنَّ القريب والبعيد، والدنى والشريف، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حمى ولا من رجالهنَّ ولى، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء , وكيف يستبطأ فى بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والاحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً

ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبى عبد الله سـيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتک وكيف لا تقول ذلک، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، باراقتک دماء ذريـة محمـد صـلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشـياخک زعمت انک تناديهم فلتردنَّ وشـيكا موردهم ولتودَّنَ انک شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبک بمن سفک دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلـدک، ولا حززت إلا لحمک، ولتردنَّ على رسول الله صـلى عليه وآله بما تحملت من سـفک دماء ذريته وانتهكت من حرمته فى عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمُّ شعثهم، ويأخذ بحقهم

((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)).(1)

وحسـبک بالله حاكما، وبمحمد صـلى الله عليه وآله خصـيما، وبجبرائيل ظهيراً، وسـيعلم من سوَّل لک ومكَّنک من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وايكم شر مكاناً، واضعف جنداً.

ولئن جرَّت على الدواهى مخاطبتک، إنى لأستصغر قدرک واستعظم

1- سورة آل عمران، الآية 169.

تقريعک، واستکثر توبيخک، لکن العيون عبری، والصدور حری.

ألا ـ فـالعجب کـل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشـيطان الطلقاء، فهـذه الأيـدی تنطف من دمائنا، والافواه تتحلب من لحومنا وتلـک الجثث الطواهر الزواکی تنتابها العواسل، وتعفرها امهات الفراعل ولئن اتخـذتنا مغنما، لتجـدنا وشـيکا مغرما، حين لا تجـد إلا ما قدمت يداک وما ربُّک بظلام للعبيد، والی الله المشتکی وعليه المعول.

فکدْ کيدک، واسعَ سعيک، وناصبْ جهدک، فوالله لا تمحو ذکرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنک عارها، وهل رأيک إلا فندٌ وأيامک إلا عدد، وجمعک الا بدد، يوم ينادی المنادی ألا لعنة الله علی الظالمين.

والحمـد لله رب العالمين، الذی ختم لأولنا بالسـعادة والمغفرة ولآخرنا بالشـهادة والرحمة، ونسأل الله ان يکمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوکيل».

وقد اشتد الموقف فی الشام کما حصل فی الکوفة بعد خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام وخطبة السيدة زينب عليها السلام فی مجلس يزيـد.. فقد احدثت هذه الخطبة هزة فی مجلس يزيد (وراح الرجل يحدث جليسه بالضـلال الذی غمرهم وانهم فی أی واد يعمهون)، فلم ير يزيد مناصاً إلا ان يخرج الحرم من المجلس إلی خربة لا تکنُّهم من حرٍّ ولا برد فأقاموا فيها ينوحون علی الحسـين عليه السـلام(1) ثلاثة أيام.(2)

وفی بعض الأيام خرج السـجاد عليه السـلام منها يتروح، فلقيه المنهال بن عمر وقال له: کيف أمسـيت يا ابن رسول الله؟ قال عليه السـلام: أمسينا کمثل بنی اسرائيل فی آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، امست العرب تفتخر علی العجم

1- تاريخ الطبری، ج1، ص 266؛ والبداية لابن کثير ج8، ص 195.

2- اللهوف ص 207.

بـان محمـداً منهـا، وامست قريش تفتخر على سـائر العرب بـأن محمـداً منهـا، وأمسـينا معشـر أهـل بيته مقتولين مشـردين فانا لله وانّا إليه راجعون.(1)

قـال المنهـال: وبينمـا يكلمنى إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلى اين يـا نعم الخلف؟ فتركنى واسـرع إليهـا فسـألت عنها قيل: هـذه عمته زينب.(2)

محطات من خطاب السيدة زينب عليها السلام فى قصر يزيد

لقد كان خطاب السـيدة زينب عليها السـلام خطاب احتجاج امام الحكومة الاموية وعلى رأسها حاكمها فهو اذاً خطاب احتجاج واعتراض وتأنيب وتذكير بالوعد الالهى وأهم محطاته:

1 . التـذكير بأن الكرامـة الإلهيـة لا تقاس بالمظاهر الخارجيـة التى كانت موجودة فشـتان ما بين سبى النساء وسوقهن من بلـد إلى بلـد مع الرؤوس وبين ما كان عليه يزيد من نعيم وملك.

2 . التـذكير بقيم صـيانة المرأة التى ما زال المجتمع حتى تلك الساعـة يعتز بها ويحافظ عليها (تخـديرک حرائرک وإماءک...). وهذا الأمر حينما يصدر من المرأة المتعرضة للحادث يكون اشد تأثيراً فكيف وان الاحتجاج انطلق من عقيلة الهاشميين للخليفة يزيد وأمام الملأ؟.

3 . بيان مكانة أهل البيت عليهم السلام، اذ تقول:

منحنياً على ثنايا أبى عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتک وكيف لا تقول ذلک، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، باراقتک دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب.

1- المقرم ص360

2- المقرم ص360.

4 . التأكيـد على الانتصار الحتمى لأهل البيت (فكد كيدك...) وهذا يعرّف بمقدار الأمل العظيم الذى كان عند النفوس المعذبة، وبمقدار يقينها ووعيها بأهدافها ورسالتها.

ومن البديهى ان خطبة السيدة زينب عليها السلام وخطبة الإمام زين العابدين عليه السلام كانتا بمنزلة الكشف الواعى عن المخطط الأموى كله فى ساحة تكنّ العداء لأهل البيت عليهم السلام، وكانت فرحة بانتصار الخليفة على من خرج على سلطانه وظلمه، ولكن النتائج جاءت معاكسـة لذلک فاهتزت الشام.. ولقد احدثت خطبة العقيلة زينب هزة فى مجلس يزيد وراح الرجل يحدث جليسه بالضـلال الذى غمرهم ..

وقد اسـتنكر عمله المقربون له منذ بداية دخول السبايا إلى مجلسه واستنكر الحاضرون فى المجلس وقال ابو برزة الأسلمى: اشهد لقد رأيت النبى يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السـلام ويقول: انتما سـيدا شباب أهل الجنة قتل الله قاتلكما ولعنه واعد له جهنم وساءت مصيراً فغضب يزيد منه وأمر به فأخرج سحباً.(1)

وقال يحى بن الحكم بن ابى العاص اخو مروان وكان جالساً عنده:

لَهامٍ بجنب الطـف أدنى قرابة من ابن

زياد العبـد ذى الحسـب الوغـل

سمية أمسى نسـلها عـدد الحصـى

وليس لآل المصطفى اليوم من نسـل

فضربه يزيد على صدره وقال: اسكت لا أم لک.(2)

والتفت رسول قيصـر إلى يزيد وقال: إن عندنا فى بعض الجزائر حافر حمار عيسى ونحن نحج إليه فى كل عام من الاقطار ونهدى إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم

1- نفس المصدر، ص355.

2- تاريخ الطبرى ج1، ص 265؛ وكامل ابن الأثير ج4ص37.

فأشهد انكم على باطل(1) فأغضب يزيد هذا القول وأمر بقتله فقام إلى الرأس وقبّله وتشهد الشهادتين وعند قتله سمع أهل المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً فصيحاً «لا حول ولا قوة إلا بالله».(2)

ثم جعلت امرأة من بين هاشم كانت فى دار يزيد لعنه الله تندب على الحسين (عليه السلام) وتنادى يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمداه يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء.(3) ولما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد الرأس على باب دارها والنور الإلهى يسطع منه ودمه طرى لم يجف ويشم منه رائحة طيبة دخلت المجلس مهتوكة الحجاب وهى تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا فقام إليها يزيد وغطاها..(4)

وكان من أشد الناس انكاراً له ولده معاوية. فأخذ يزيد يثوب إلى عقله عندما أكثروا عتابه ولومه، وتكرر عليه انكار الناس، وقد ذكروا أن مروان كان يومئذٍ بالشام، فقال ليزيد - وهو يرى تردى الحالة الاجتماعية والسياسية وتصاعد انكار المسلمين على بنى أمية -: (لا يصلح لک توقف أهل بيت الحسين عليه السلام فى الشام فأعدّ لهم الجهاز، وابعث بهم إلى الحجاز).(5)

وشعر يزيد بالندم فقال: ما كان علىّ لو احتملت الأذى وانزلته - أى الحسين - معى فى دارى، وكلمته فيما يريد. لعن الله ابن مرجانة، فقد بغّض بقتله إلىّ المسلمين، وزرع لى فى قلوبهم العداوة، فبغّضنى إلى البرّ والفاجر بما استعظم الناس فى قتلى حسيناً،

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 355.

2- المصدر نفسه ص350.

3- السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص 179.

4- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 356.

5- الآصفى، آية الله الشيخ محمد مهدى، الخطاب الحسينى، المرحلة الثانية، للثورة الحسينية، ص 114.

مالی ولابن مرجانة لعنه الله وغضب علیه.(1)

ثم اقام مجالس العزاء فی الشام وأفرد یزید لأهل البیت علیهم السلام، داراً قریبة من قصوره (دار الحجارة) وأذن لهم بإقامة العزاء والنیاحة علی الحسین علیه السلام، من بعد ما کان ذلک محظوراً علیهم. فأقمن المأتم علی الحسین سبعة أیام، وکان یجتمع عندهنّ کل یوم جماعة کثیرة لا تحصی من النساء.(2) فلم تبق هاشمیة، ولا قرشیّة إلا لبست السواد حزناً علی الحسین علیه السلام.(3)

وأیضاً روی المفید فی الإرشاد: إن الطاغیة أمر بالنسوة أن ینـزلن فی دار علی حدة معهن أخوهنّ علی بن الحسین، فأفرد له داراً یتصل بدار یزید فأقاموا أیّاماً(4).

وأقمن المآتم علیه ثلاثة أیام.(5)

وروی سبط ابن الجوزی فی التذکرة قال:

قال الزهری: لما دخلت نساء الحسین علیه السلام وبناته علی نساء یزید قمن إلیهن، وصحن، وبکین، وأقمن المآتم علی الحسین علیه السلام.

وقال الشعبی: لما دخل نساء الحسین علیه السلام علی نساء یزید قلن:

واحسیناه، فسمعهنّ یزید، فقال:

یا صیحة تحمد من صوائح

ما أهون الموت علی النوائح(6)

1- الآصفی، الخطاب الحسینی نقلاً عن تاریخ الطبری: 7/19؛ وابن الأثیر: 3/300.
2- نفس المهموم: 451 عن کامل البهائی: 2/ 299 - 302.
3- الآصفی، الخطاب الحسینی، ص 115.
4- الآصفی، الخطاب الحسینی، نقلاً عن الإرشاد للمفید: 231.
5- نفس المصدر عن جلاء العیون لسید شبر: 2/264.
6- الآصفی، الخطاب الحسینی نقلاً عن تذکرة الخواص: 150.

وكانت نتائج ذلک کله ان یزید أمر بارجاع السبایا إلی المدینة.. لما خشی الفتنة وانقلاب الأمر علیه عجل باخراج السجاد والعیال من الشام إلی وطنهم ومقرهم، ومکّنهم مما یریدون وأمر النعمان بن بشیر وجماعة معه أن یسیروا معهم إلی المدینة مع الرفق.((1)

المرحلة الثالثة من الدور الإعلامی

اشارة

وساحتها المدینة المنورة ویمکن تقسیمها إلی قسمین:

1- القسم الأول یتحدث عن الدور الإعلامی المحدود قبل وصول السبایا

2 - القسم الثانی یتحدث عن الدور الإعلامی بعد وصول السبایا وعودة الرکب الحسینی إلی المدینة.

ألف - القسم الأول

وحیث اراد ابن زیاد ان یعلن (انتصاره) فی المدینة فقد ارسل إلیها من یخبرها بما جری علی الحسین علیه السلام وآل بیته قال الراوی: وکانت نساؤه وعیاله سبایا فارسل ابن زیاد عبد الملک بن الحارث السلمی إلی المدینة لیبشر عمرو بن سعید الاشدق بقتل الحسین فاعتذر بالمرض فلم یقبل منه وکان ابن زیاد شدید الوطأة «لا یصطلی بناره» وأمره أن یجدَّ السیر فان قامت به الراحلة یشتری غیرها ولا یسبقه الخبر من غیره فسار مجدّاً حتی إذا وصل المدینة لقیه رجل من قریش وسأله عما عنده فقال له: الخبر عند الأمیر ولما أعلم ابن سعید بقتل الحسین فرح واهتز بشراً وشماتة.

وأمر المنادی أن یعلن بقتله فی ازقة المدینة فلم یسمع ذلک الیوم واعیة مثل واعیة نساء بنی هاشم فی دورهن علی سید شباب أهل الجنة واتصلت الصیحة بدار «الاشدق» فضحک وتمثل بقول عمرو بن معد یکرب:

1- 6 - المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص 361.

عجَّت نساء بنی زیاد عجَّة

کعجیج نسوتنا غداة الأرنب

ثم قال: واعیة بواعیة عثمان.(1)

وقد سمی بالاشدق لأنه اصابه اعوجاج فی حلقه إلی الجانب الآخر لاغراقه فی شتم علی بن ابی طالب علیه السلام(2)، وکانت ردود الفعل ان المدینـة اهتزت بالأمر فخرجت بنت عقیل بن أبی طالب فی جماعة من نساء قومها حتی انتهت إلی قبر النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلی المهاجرین والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبـی لکـم

یوم الحساب وصدق القول مسمـوع

خذلتمو عتـرتی أو کنتُـمُ غیبـا

والحـق عنـد ولیِّ الأمـر مجمـوع

اسلمتموهم بأیدی الظالمیـن فمـا

منکم له الیـوم عنـد الله مشفـوع

ما کان عند غداة الطَّف إذ حضروا

تـلک المنایـا ولا عنهـنَّ مدفـوع

فأبکت من حضر ولم یر باک وباکیة أکثر من ذلک الیوم.(3)

وکانت أختها زینب علیها السلام تندب الحسین علیه السلام وتقول:

ماذا تقـول ـون إذ قال النبی لکم

ماذا فعلتـم وأنتـم آخـر الأمـم

بعتـرتی وبأهلی بعـد مفتقـدی

منهـم أسـاری ومنهم ضرّجوا بدم

ما كان هذا جزائی إذ نصحت لکم

أنْ تخلفونی بس_وء فی ذوی رحم_ی(4)

1- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص 334.

2- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام نقلاً عن معجم الشعراء للمرزبانی ص 231.

3- أمالی الشیخ الطوسی ص 55.

4- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین (علیه السلام)، ص 335.

فأجابها ابو الأسود، وهو غارق فى البكاء والشجون:

((رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)).(1)

وأخذ يقول:

أقول، وزادنى حنقـاً وغيظـا

أزال الله مـلک بنـى زىـاد

وابعدهم، كما بعدوا وخانـوا

كما بعدت ثمود وقـوم عـاد

ولا رجعت ركائبـم إليـم

إذا وقفت بـهم ىـوم التنـاد(2)

وأقامت أم البنين زوجة أمير المؤمنين العزاء على الحسين عليه السلام، وكانت نساء بنى هاشم يجتمعن عندها للعزاء والنياحة.(3)

باء - القسم الثانى

إنّ الدور الإعلامى فى المدينة يبدأ مع عودة السبايا حيث اقيمت مجالس الحداد والعزاء باشراف أهل البيت أنفسهم.

وكان للحالة الأولى من وصول الخبر إلى المدينة أثره الكبير فى تهيئة الأرضـية لما جرى من حوادث فى القسم الثانى. فقد علم أهل المدينة بمـا جرى على الحسـين عليه السـلام وأهـل بيته واقـاموا مجالس العزاء.. روى ابن عساكر فى تاريـخ دمشق: أن عبـد الله بن عباس كان فى الحرم، إذ أسرّ إليه شخص بالحادث المفجع فى العراق فذعر، واجهش بالبكاء. فسأله محمد بن عبد الله: ما حدث يا أبا العباس؟

قال: مصيبة عظيمة نحتسبها عند الله، وارتفع صوته بالبكاء، وانصرف إلى

1- سورة الأعراف، الآية 23.

2- حياة الإمام الحسين للقرشى: 3/419.

3- الآصفى، الخطاب الحسينى.

من_زله، واقام فی من_زله مأتماً علی الحسین علیه السلام واقبل الناس یعزّونه بمصیبة الحسین.(1)

وکـذلک عبـد الله بن جعفر فقـال ابن جریر: لمـا ورد نعی الحسـین جلس عبـد الله ابن جعفر للعزاء وأقبـل النـاس یعزونه فقـال مولاه (ابو اللسلاس)(2): هذا ما لقیناه من الحسین!! فحذفه بنعله وقال: یا ابن اللخناء أللحسین تقول ذلک؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتی اقتل معه، والله انه لمما یسخی بنفسی عن ولدیَّ ویهون علیّ المصاب بهما أنهما أصیبا مع أخی وابن عمی مواسیین له صابرین معه ثم أقبل علی جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ علی المصاب بمصرع الحسین أن لا أکون واسیته بنفسی، فلقد واساه ولدای(3)..

وهذا قد مهد لأن یکون هناک تجمع حاشد لأهل المدینة ما ان سـمعوا بمقدم الإمام زین العابدین علیه السلام إلی المدینة.. یقول الراوی: ثم انفصـلوا من کربلاء طالبین المدینة قال بشیر بن حذلم فلمّا قربنا منها نزل علیّ بن الحسین علیه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وانزل نساءه وقال: یا بشیر رحم الله اباک لقد کان شاعراً، فهل تقدر علی شیء منه؟ فقال بلی یا بن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم انّی لشاعر فقال علیه السـلام ادخل المدینة وانع أبا عبد الله علیه السـلام، قال بشـیر: فرکبت فرسـی وورکضت حتّی دخلت المدینة فلمّا بلغت مسـجد النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم رفعت صوتی بالبکاء وانشأت أقول:

یا أهل یث_رب لا مقام لکم بها

قت_ل الحسین فأدمعی م_درار

الجسم منه بکربلاء مضرّج

والرأس من_ه علی القناة ی_دار

1- الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحلة الثانیة للثورة الحسینیة، نقلاً عن تاریخ ابن عساکر: 13/86.

2- فی الإرشاد للشیخ المفید وکشف الغمة للاربلی ص 194: ابو السلاسل.

3- تاریخ الطبری ج6، ص 218.

قال ثمّ قلت هـذا علیّ بن الحسـین علیه السـلام مع عمّاته واخواته قد حلّوا بساحتکم ونزلوا بفنائکم وأنا رسول إلیکم اعرّفکم مکانه، قال فما بقیت فی المدینـة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهنّ مکشوفة شـعورهنّ مخمّشة وجوههنّ ضاربات خدودهنّ یدعون بالویل والثّبور فلم أر باکیاً أکثر من ذلک الیوم ولا یوماً أمرّ علی المسلمین منه وسمعت جاریة تنوح علی الحسین علیه السلام فتقول:

نعی سیدی نـاع نعـاه فـاوجعـا

وأمرضنی نـاع نعـاه فأفجعـا

فعینیّ جـوداً بـالدمـوع واسکبـا

وجودا بدمع بعد دمعکما معـاً

علی من دهی عرش الجلیل فزعزعـا

فأصبح هذا المجد والدین أجدعـا

علی ابـن نبـیّ الله وابـن وصیّـه

وإن کان عنّا شاحط الدّار أشسعـا

ثم قالت: أیها الناعی جـدّدت حزننا بأبی عبـد الله علیه السـلام وخـدشت منّا قروحاً لما تنـدمل فمن أنت رحمک الله؟ فقلت أنا بشـیر بن حـذلم وجّهنی مولای علیّ بن الحسـین علیه السـلام وهو نازل فی موضع کذا وکذا مع عیال أبی عبد الله علیه السـلام ونسائه قال: فترکونی مکانی فضربت فرسی حتّی رجعت إلیهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنـزلت عن فرسی وتخطیّت رقاب الناس حتّی قربت من باب الفسـطاط وکان علیّ بن الحسـین علیه السلام داخلا فخرج ومعه خرقة یمسح بها دموعه وخلفه خادم معه کرسیّ فوضعه له وجلس علیه وهو لا یتمالک عن العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبکاء وحنین النسوان والجواری والناس یعزّونه من کلّ ناحیة فضـجّت تلک البقعة ضجّة شدیدة.(1)

وأما نساء آل البیت علیهم السـلام فقـد هاجت بهن ذکریات الأمس القریب مع الأخوة والأعزة کیف خرجوا من المدینـة جمعاً من الرجال والنساء ناصرین للإمام فی ثورته العظیمة فعادت النساء باکیات یندبن رجالهن..

1- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص 197 - 200.

وكان من رثائهن فی أبی عبد الله علیه السلام:(1)

مدینة جدّنا لا تقبلینا

فبالحسرات والأحزان جینا

خرجنا منک بالأهلین جمعاً

رجعنا لا رجال ولا بنینا

وکنا فی الخروج بجمع شمل

رجعنا حاسرین مسلبینا

وکنّـا فی أمـان الله جهـراً

رجعنـا بـالقطیعـة خائفیـنـا

ومولانـا الحسین لنـا أنیـس

رجعنـا والحسیـن بـه رهیـنـا

فنحن الضائعـات بلا کفیـل

ونحن النـائحـات علی أخیـنـا

ألا یـا جدّنـا قتلوا حسینـاً

ولـم یرعـوا جنـاب الله فیـنـا

ألا یـا جدّنـا بلغت عدانـا

منـاهـا واشتفی الأعـداء فیـنـا

لقد هتکوا النسـاء وحمّلوهـا

علی الأقتـاب قهـراً أجـمعینـا(2)

ثم أخذت زینب بنت أمیر المؤمنین بعضادتی باب المسجد وصاحت:

- يا جَدَّاه إنّي ناعية إليک أخى الحسين.

وصاحت سكينة: يا جَدَّاه إليک المشتكى مما جرى علينا فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى وأغلظ فلقد كان يقرع ثغر أبى بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين.(3)

وأقمْنَ حرائر الرسالة المأتم على سيد الشهداء ولبسْنَ المسوح والسواد نائحات الليل والنهار والإمام السجاد يعمل لهن الطعام.(4)

1- الأغانى، لأبى الفرج الاصفهانى، ج2، ص 158.

2- الآصفى، الخطاب الحسينى، نقلاً عن منتخب الطريحى: 357.

3- المقرم نقلا عن رياض الأحزان، ص 163.

4- المقرم نقلا عن محاسن البرقى ج2، ص 420، باب الإطعام والمأتم.

وفی حدیث الإمام الصادق علیه السلام:

ما اختضبت هاشمیة ولا ادهنت ولا أُجیل مرود فی عین هاشمیة خمس حجج حتی بعث المختار برأس عبید الله بن زیاد.(1)

وأما الرباب فبکت علی أبی عبد الله حتی جفَّت دموعها ومما قالته فی رثاء زوجها الحسین علیه السلام:

إنَّ الذی کان نوراً یُسْتَضـاء بـه

بکربلاء قتیـل غیـر مدفـون

سبـط النبیِّ جـزاک الله صالحـة

عنّا وجنبت خسـران الموازیـن

قد کنتَ لی جبـلا صعباً ألوذ بـه

وکنتَ تصحبنا بالرحم والدّیـن

مَنْ للیتامی ومَنْ للسائلیـن ومَـنْ

یغنی ویأوی إلیه کـلُّ مسکیـن

والله لا ابتغی صهـراً بصهـرکـمُ

حتی أُغیَّب بین الرمـل والطِّیـن(2)

وکانت زینب بنت علی علیه السلام لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البکاء والنحیب، وکلّما نظرت إلی علی بن الحسین علیه السلام ابن أخیها تجدّد حزنها وزاد وجدها.(3)

ومن ثم اقیمت مجالس العزاء فی المدینة برعایة أهل البیت علیهم السلام واستمرت هذه المجالس فی توجیه الناس نحو قیم الثورة الحسینیة حتی وقتنا الحاضر.

الدور الإعلامی فی المیزان

کربلاء تمثل حادثة منفردة فی کل احداثها وشخوصها وزمانها ومکانها وحتّی حضور النساء فی هذه الواقعة کان متمیزاً ومختلفاً عما سواه. فمن المعلوم انه کانت

1- مستدرک الوسائل ج2، ص 215 باب 94.

2- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص 376.

3- الآصفی، الخطاب الحسینی، نقلاً عن منتخب الطریحی: 358.

للنساء مشاركات فی المعارک فیما سبق، اذ یحضرن اما عاملاً لتقویة المعنویات کما حصل فی معرکة أحد حیث حضرت نساء قریش خلف المقاتلین وهن یرتجزن:

نحن نس_اء طارق

نمشی علی النمارق

ان تقبلوا نعان_ق

أو تدبروا نفارق

والهدف من کل ذلک هو دفع الرجال للقتال. واما ان تحضر النساء فی الحروب للتمریض کما فی صورة رفیدة التی کانت تضمد جراحات المسلمین.. وغالباً ما ینتهی دور النساء بانتهاء المعارک وعودة المقاتلین، اما فی واقعة الطف فالأمر کان متبایناً جداً فقد کان حضور النساء إلی کربلاء هو لأداء أدوار جدیدة وتولی مهام استمرت حتی بعد انتهاء المعرکة. فالملاحظ ان الدور الإعلامی استمر حتی وصول النساء إلی المدینة حیث اقمن مجالس العزاء وکشفن عن الصورة الواقعیة لمقتل الامام علیه السلام الأمر الذی دفع والی المدینة إلی إخراج السیدة زینب علیها السلام عن المدینة، فضاق الوالی الأموی بذلک ذرعاً، وکتب إلی یزید کتاباً یقول فیه:

«ان وجود زینب ابنة علی بین أهل المدینة مهیج للخواطر، فانها فصیحة عاقلة لبیبة، وقد عزمت هی ومن معها علی القیام للأخذ بثأر الحسین، فعرفنی رأیک».(1)

علی هذا یمکن القول ان هذا الدور قد اعطی للمرأة صورة جدیدة عن أدوار مستقبلیة یمکن ان تؤدیها، وأهم ما نلاحظه فی هذا الدور هو قدرة النساء علی تهییج مشاعر الناس وایقاظ الحس الإیمانی والانسانی وتجمیع الطاقات وشحذ الهمم بشکل فعال أدی إلی قیام الثورات علی الأمویین وظهورها وأولها ثورة التوابین عام 62 هـ. أی بعد أمد یسیر من معرکة الطف وهذه اشارة إلی نجاح الدور الإعلامی وتحقیق أهدافه الخالدة.

1- محمد بحر العلوم، فی رحاب السیدة زینب، ص 197.

ولقد تميزت خطب النساء وكلماتهن فى هذا الدور بأمور نذكر أهمها:

1 . ان عموم الخطب والكلمات كانت تحمل منظومة قيمية جديدة أسهمت وإلى حد كبير فى تغيير المنظومة السابقة التى زرعها الإعلام الأموى الكاذب فبدل الاستكانة اصبح الجهاد والتضحية من أجل الشهادة وبدل الخوف من اظهار الولاء كان هناك الاعلان عن محبة آل البيت عليهم السلام بدليل ان الثورات كلها انطلقت من مبدأ الولاء لآل البيت عليهم السلام، وبدل الخضوع للدنيا والركون إليها والرضا بالظلم كان التفكير بالآخرة والتسابق نحو الشهادة ورفض الظلم واعلان الثورة عليه.. وهذا يشير إلى مقدار الكم القيمى الذى حملته النساء والذى ظهر واضحا من خلال السلوك والأفعال، اذ اننا لا نجد فى هذه الخطب والكلمات أى شىء يتنافى مع الأدب العام أو اللياقة. فليس هناك فحش أو سب، أو شتم بل هو خطاب يتعالى عن كل هذه الصفات. وهذا يوصلنا إلى مطاف آخر ان ثورة الإمام كانت قيمية أخلاقية تغييرية كبرى أدت إلى إعادة النظام الأخلاقى للناس بعد انهياره وغرق الناس فى مستنقع الفوضى والفساد الأخلاقى.

2 . ولأنه كان خطاباً قيمياً فقد استقر على اعمدة الصدق والصراحة. إذ لم تنقل هؤلاء النساء كذباً أو زوراً والعياذ بالله، بل نقلن الحقائق المؤلمة التى مرت بهن، ونقلن الصورة كما هى من خلال أوضاع السبى والانتقال من بلد إلى آخر فكانت خير صورة ناطقة لما جرى من أحداث، فى حين اعتمد الإعلام الأموى على التضليل والتشويه ومهما استعان هذا الإعلام بمقدرات القوى الظاهرية فانه خطاب لا يدوم؛ لأنه لا يستقر على أعمدة قوية وأهمها الصدق.

3 . ثم انه كان خطاباً انسيابياً إذ لم يكن هناك أى تكلف فى مفرداته أو فى إيصاله إلى المتلقى؛ فقد كان الخطاب هو نقلاً لصورة مستقرة فى قلوب أُضيئت بأنوار الهداية

إلى البشـر الغـارقين فى سـرادق الوهم. ولهـذا لـم تكن هنـاک حاجـة للتكلف الزائـد؛ لأنه انعتاق الحقيقـة إلى النور فهو إذاً خطاب القلب المجروح. ولأنه خطاب نابع من القلب، فلا بد أن يستقر فى القلوب التى خرجت تبحث عن الحقائق فجاءتها كسحاب مطر شديد بعد ازمة جفاف.

4 . وهو أيضاً لـم يكن خطاباً فكرياً بحتاً اسـتهدف خطاب العقل معتمـداً على النظريات والأدلة والنتائج بشـكل يثقل على الإنسان البسـيط والعـادى فهمه. كمـا انه لـم يكن خطاباً عاطفياً مجرداً يهمه تصوير المأساة بشـكل خاوٍ دون تحريک العقل البشـرى، فهو إذاً خطاب فكرى عـاطفى اراد ان يحقق انتصاراً فكرياً فى التعريف بأصـحاب الثورة وفى التأكيـد على مبـدأ الولاء لأهل البيت عليهم السـلام وفى التعريف بمتطلبات هـذا الولاء، كما انه حقق انتصاراً عاطفياً من خلال صور الحزن التى رافقت المشـهد الثقافى. ولهـذا نجـح الخطاب فى تحريک القلوب والعقول، ومن ثمَّ فلا بد من حركة سـلوكية واضـحة تعبر عن فهم الخطاب واستيعابه وبهذا تكون مؤشرا على نجاحه فكانت الثورات القاصمة للوجود الأموى وكانت مجالس العزاء نموذجاً خالداً لهذا الفهم.

5 . كمـا انه لـم يكن خطاباً عادياً أبـداً، لـم يكن مجرد كلمات بسـيطة كما هى العادة فيما تتفوه به النساء. بل كان خطاباً بليغاً بل هو قمـة فى الفصاحـة والمتانـة الأدبيـة والصـياغة اللفظيـة بما يوحى انه انبعث من أناس على درجـة عالية من الفهم والوعى الثقافى وهذا نجده فى كل الخطب. وقـد اشاد الإمام السـجاد عليه السـلام بخطاب عمته زينب عليها السـلام فقال لها: انت بحمـد الله عالمـة غير معلمـة فهمـة غير مفهمة.(1)

لقـد القت النساء خطبا عديـدة وهن فى مراحل عمريـة متفاوتة كما ان نسـبتهن مع الشـهداء كانت مختلفة. فقد كانت السـيدة زينب عليها السلام فى الخمسين فى حين كانت

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين، نقلاً عن الاحتجاج الطبرسى ص166.

فاطمة بنت الحسين عليه السلام فى الثلاثين لكن مع ذلک لا نجد تفاوتاً ثقافياً أو بلاغياً واسعاً بين الخطب.

6. وهو أيضاً لم يكن خطاب اناس قانطين او اناس استبدبهم اليأس فأرادوا تفريغ حمولتهم ابداً فقد كان نبراس الأمل معهم فى كل أدوارهم(1). ونحن نلمس مواقع عدة للأمل والتفاؤل بمستقبل يسحق بنى أمية ويُعلى من شأن آل البيت عليهم السلام ونذكر لذلک مثالاً هو خطاب السيدة زينب عليها السلام مع يزيد (كد كيدک، واسع سعيک، فوالله لا تمحو ذكرنا أبداً ولا تميت وحينا ولا يرحض عنک عارها وهل رأيک الا فند وأيامک إلا عدد وجمعک إلا بدد).

7 . ثم ان الخطاب أكد على قيمة الانتصار، انتصار الإمام وانتصار مبادئه وانتصار خط الولاء رغم ان الإعلام الأموى ابتهج بانتصار الخليفة على الخارجى واعلن الفرح والزينة.. وتأكيد الانتصار يبدو فى أكثر من موقع واشارة وهو اذ أكد الانتصار فانه أكد مظلومية أهل البيت عليهم السلام واستعرض مكانتهم بشكل شد العقول إلى الكلمات فكانت ثورات.. كما تقول فاطمة بنت الحسين عليه السلام فى خطبتها: «كما قتل ولده بالأمس فى بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً فى حياته ولا عند مماته، حتى قبضه الله تعالى إليه محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فى الله سبحانه لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لک ولرسولک، زاهداً فى الدنيا غير حريص عليها، راغباً فى الآخرة، مجاهداً لک فى سبيلک، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم».(2)

1- راجع مواساة السيدة زينب عليها السلام للإمام السجاد عليه السلام، المقرم، مقتل الحسين عليه السلام ص 308.

2- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 314.

8 . والعجيب ان هذا الخطاب كان شـجاعاً قوياً قال كلمته فى الوقت الذى تراجع فيه الصـناديد عن بيان آرائهم او اعلان ولائهم ونصـرتهم لمن يطلب النجـدة بشـكل لا يتناسب حتى مع الاخلاق العربيـة المعروفة. كان الخطاب شـجاعاً أمام المجرمين والقتلة وكل واحدة منهن كانت امرأة عزلاء خاوية من كل سـلاح إلا سلاح الإيمان والقيم امام هذه الجموع المصفوفة أمامها الشاهرة سيوفها وحرابها.. هؤلاء النساء صببن الحمم الخطابية البلاغية فى وقت غفلة الناس وجبنهم وتخاذلهم وتراخى قواهم فجاءت هذه الكلمات لتُحيى الشـجاعة فى نفوسهم، ولهـذا مررنـا فيما تقـدم من البحث على مواقف قوة وشـجاعة ظهرت فى مجالس الحاكمين وأحياناً خارجها من أناس عزل.. لقـد اكتسـبوا الشجاعة بفعل الخطاب الشجاع...

9 . ثم ان هـذا الخطاب كان منوّعاً متعـدد الوجوه والمسالك وهو يعطى لكل شـريحة ما تحتاجه من الخطاب؛ فمع الموالين لابد من وخز الضـمير وتعزيز الشـعور بالاثم كى يعودوا أدراجهم محاسبين أنفسـهم عن تقصـيرهم فى نصرة الإمام. فى حين امام الاعداء كان الخطاب فاضـحاً لأفعالهم متوعداً بخيبة خططهم منذراً بأفول دولتهم وعاكساً للاعتزاز بالشـهادة والتضـحية والتفاخر بآل البيت حسـباً ونسـباً وموقفاً وهـذا ان دل على شـىء فانما يـدل على قوة الـذكاء لدى هؤلاء النساء والقدرة العالية على تشـخيص ما هو مطلوب وضـرورى لكل حدث وواقعة.

10 . ويمكن القول فى نهايـة المطاف: إن هذا الخطاب قد نجح فى كسـر الصورة النمطية التى سادت آنذاک عن المرأة، وهى صورة سـلبية لامرأة ضـعيفة بعيـدة عن هموم المجتمع غارقة فى ذاتها، عاجزة عن اتخاذ أى موقف له اثره فى حياة الناس والأمة فإذا بهذا الإعلام النسائى يقـدم لنا صورة المرأة القويـة فى الله.. الحاملـة هموم الأمـة والساعيـة لتغيير الواقع عبر مجابهة الظالمين، وقدم لنا المرأة التى تعيش الولاء خطا ورسالة وفكراً

ومنهجا لا ـ مجرد تمتمات لسان .. وبهذا نقف فى الدور الإعلامى أمام نساء عظيمات لهن القدرة على احتمال المصائب وابتلاع الهم وتغيير أمور الناس.. فهل تصل نساؤنا المعاصرات إلى هذه الصورة؟.

يقول الشيخ مطهرى فى الملحمة الحسينية: حول تأثير شخصية عيال الحسين عليه السلام فى التبليغ وهو التبليغ الذى حمل دورين؛ دور التعريف بالإسلام، ودور اعلام الناس ووضعهم بالصورة الصحيحة عما كان يجرى وأحداث العمل الآخر الذى تمكن أهل البيت عليهم السلام من انجازه هو تحقيق الاتصال الجماهيرى والتحدث إلى الجمهور وعلى منبر العدو نفسه فى الوقت الذى لم يكن مثل ذلك الأمر ممكنا قبل الحادثة واثناءها لخوف الناس وعدم تجرئهم على الاتصال بآل البيت عليهم السلام بسهولة.(1)

5 - رواية المقتل الحسينى

كيف كان بامكاننا ان نفهم ما جرى فى كربلاء إزاء التضليل الإعلامى وتزييف الحقائق والوقائع الذى اعتمدته السياسة الأموية ورصدت له مبالغ ضخمة وامكانيات عظيمة ؟ وكيف نعرف ما هى الأحداث التى حصلت يوم العاشر من محرم؟ .

يجيب الشهيد السيد محمد الصدر فى كتابه أضواء على الثورة الحسينية على كل هذه التساؤلات بالقول:

ان الرواة الأوائل لحادثة الطف هم:

1 . الأئمة المعصومون.

2 . النساء من ذرية الحسين وذرية أصحابه، فمن الممكن ان يتحدثن عما رأينه عن تلك التفاصيل.. وتُعَدُّ كل واحدة منهن شاهد حال حاضر للواقعة.

1- مطهرى، مرتضى: الملحمة الحسينية، ج3، ص 237.

فلقد تكلمت النساء فی کل مکان وصلن الیه عما جری فی کربلاء، وعن حکایة الرأس المرفوع علی السنان والتعریف بالسبایا واستخدمن فی ذلک کل ما لدیهن من قدرات کلامیة وبیانیة فی التعریف بالمقتل الحسینی وبهذا نبذ الناس الروایة الأمویة التی بثوها عن الإمام ومقتله علیه السلام وتمسکوا بروایة هؤلاء النساء فی الکشف عن أحداث الواقعة المأساویة الکبری. فأمام التضلیل الأموی کان کلام النساء هو الوحید الذی رد علی التشویه فی الحقائق وصوت النساء هو الصوت الاول الذی اخترق الحصار الاموی للاعلام.

ورغم ان البعض یحجم هذا الدور باعتبار ان النساء کن فی الخیام ولا یمکنهن سرد کل الوقائع حیث ان السید محمد الصدر یعقب علی ذلک بالقول: ومع ذلک یجب ان لا نبالغ فی ذلک لأمرین الأول ان النساء کن موجودات فی الخیام ولسن مشرفات علی الواقعة ولا متابعات للحوادث ولا یعرفن أشخاص الرجال الأجانب باسمائهن؛ الثانی کانت المصلحة الدینیة والاجتماعیة تقتضی اقامة المزید من المآتم علی واقعة الطف بعد عودتهم إلی المدینة المنورة.

وأقول ربما یکون هذا صحیحاً لکنّ هناک أموراً یجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار منها:

1 . ان نساء أهل البیت کن فی الخیام ولکن النساء الاخریات خرجن إلی أرض المعرکة وعدن إلیها بعدما طلب الإمام الحسین منهن ذلک.

2 . ان تتابع الشهداء کان واضحاً وکان الإمام یجمعهم فی خیمة واحدة وکانت النساء تتابع الوقائع وتری عودة الجثث الطواهر.

3 . الامام الحسین علیه السلام هو آخر من استشهد وبتتابع سقوط الشهداء کان لابد وان تکون هناک صورة اولیة عن استشهاد کل واحد، ولا ننسی ان النساء فی أی دور کانوا تابعوا خروج الاحبة ومن ثم استشهادهم.

4 . ان النساء قـد نقلن وقائع عديـدة جرت ربما بعد الواقعة، وليس مهماً ان تعرف الاسـماء كلها فروايات النساء مع الآخرين الذين شـهدوا الواقعـة ودونوها مثل حميد بن مسـلم كانت هى الحجر الاساس فى التعريف بالمقتل الحسـينى ومن ثم فأمام التضـليل الأموى كان كلام النساء هو الوحيد الذى رد على التشويه فى الحقائق. والملاحظ ان الإمام زين العابدين عليه السـلام كان أيضاً مريضاً فى الخيمة ولكنه نقل الوقائع بعد ذلک!!

والمهم فى كل ذلک التعريف بالوقائع الاصـلية اما الجزئيات فقد وصلت الينا فيما بعد حتى من الذين حاربوا الامام وممن كانوا فى الجيش الاموى.

وقد اقيمت مجالس العزاء فى المدينة وسـعت من خلالها نساء الطفوف فى التعريف بما جرى فى كربلاء. ويمكن القول: إن هذا الدور يأتى مكملاً لما قام به أهل البيت عليهم السلام من روايتهم للمقتل الحسينى ونحن اعتمدنا على كل ما جاءنا من روايات بعد التدقيق فيها حتى وصلنا إلى الصورة الصحيحة للمقتل الحسينى.

6 - اعلان الحزن العام (الحداد الرسمى)

اشارة

وقـد اقيمت مجالس العزاء فى الشام ومن ثم فى كربلاء فقـدكانت هناک صور واضـحة لاظهار الحزن وبعد العودة إلى المدينة أيضاً اقيمت مجـالس العزاء لـذكر مصـائب آل البيت عليهم السـلام، وقـد هجرت النساء الزينـة والخضاب كما ورد فى الروايـة عن الإمام الصادق: ما اختضبت هاشمية ولا ادهنت ولا أجيل مرود فى عين هاشمية خمس حجج حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.(1)

واقمن حرائر الرسالة المأتم ولبسن السواد نائحات الليل والنهار والإمام السـجاد عليه السلام يعمل لهن الطعام(2)، انه حزن جماعى نسائى رجالى عام، وأما على بن

1- المقرم، مقتل الحسين، ص376.

2- نفس المصدر السابق.

الحسين فانقطع عن الناس انحيازاً عن الفتن وتفرغاً للعبادة والبكاء على أبيه ولم يزل باكياً ليله ونهاره فقال له بعض مواليه: إنى أخاف عليک أن تكون من الهالكين فقال عليه السلام: يا هذا إنما اشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ان يعقوب كان نبياً فغيَّب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أنَّه حيٌّ فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وانّى نظرت إلى أبى واخوتى وعمومتى وصحبى مقتولين حولى فكيف ينقضى حزنى، وانى لاـ أذكر مصرع بنى فاطمة إلا خنقتنى العبرة وإذا نظرت إلى عماتى واخواتى ذكرت فرارَهُنَّ من خيمة إلى خيمة.(1)

الكل اعلن الحداد وكان الحداد نفسه تحدياً للسلطة الظالمة التى أراقت دم الإمام وأصحابه فى أرض الطفوف.

وقد اتخذ الحزن مظاهر عدة منها إقامة مجالس العزاء نفسها؛ إذ اقام الإمام السجاد مجالس خاصة، وقد تهيأت المدينة للحداد منذ ان جاء خبر مقتل الامام؛ إذ ارسل الوالى من يعلن عن قتل الامام يقول الراوى:

ارسل المنادى يعلن عن قتله فى ازقة المدينة فلم يسمع ذلک اليوم واعية مثل واعية نساء بنى هاشم فى دورهن على سيد شباب أهل الجنة.(2)

وقال: فما بقيت فى المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهنّ مكشوفة شعورهنّ مخمّشة وجوههنّ ضاربات خدودهنّ يدعون بالويل والثّبور فلم أر باكياً أكثر من ذلک اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه ثم قالت: أيها الناعى جدّدت حزننا بأبى عبد الله عليه السلام وخدشت منّا قروحاً لما تندمل(3).. وقد عرضنا لموقف ابنة عقيل

1- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 377.

2- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 334.

3- ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص 334 - 335.

فی شـعرها (ماذا تقولون) کواحد من مظاهر الحداد التی سبقت وصول السبایا وفی الشام أیضاً کانت هناک مظاهر حزن [فأقمن المأتم علی الحسـین سبعة أیام، وکان یجتمع عندهنّ کل یوم جماعة کثیرة لا تحصی من النساء.(1) فلم تبق هاشمیة، ولا قرشیّة إلا لبست السواد حزناً علی الحسین علیه السلام].(2)

ولمـا عرج الـدلیل علی کربلاء اقامت النساء مجالس نیاحـة کصورة لاعلان الحـداد العام, والمعروف ان المرأة أظهر للحزن من الرجل من خلال لبس السواد وترک الخضاب والبکاء ونعی الامام وهـذا ما حصل فی المدینـة بعد عودة السـبایا ولهذا بان الحداد واضـحا فی المدینة واسـتفادت النساء من کل هذه فی التعریف بمقتل الامام واماطة اللثام عن القناع الاموی الحاقد. وکان الامام السجاد علیه السلام یندب أباه واخوته وابناء عشیرته فی کل مناسبة حتی عد احد البکّائین الخمسة. وقد اشتد الحزن فی المدینة بعد ان ترکت الواقعة ردود فعل واضحة مما جعل الحاکم الاموی یخشـی الفتنة فأمر باخراج السـیدة زینب عن المدینة بوصفها المسبب عن التعریف باحداث الطفوف وبشکل مکثف وصریح وهذا الابعاد والنفی للسیدة کان محاولة للسیطرة علی زمام الامور.

السبی.. المأساة الکبری

... وسـیق موکب الأسری والسبایا فکان أبشع موکب شهده التاریخ منذ کان.. بهذه الکلمات تصف الکاتبة (بنت الشاطی) موکب السبایا.. والحق انه أیضاً افجع موکب شـهده التاریـخ. ویبـدأ سبی النساء منذ استشـهاد الإمام علیه السـلام حیث هجم الأعداء علی معسـکر الإمام واحرقوا الخیام واعتقلوا کل من کان فیها..

1- نفس المهموم: 451.

2- الآصفی، الخطاب الحسینی، ص 115.

يقول الراوى: لما قتل أبو عبـد الله الحسـين عليه السـلام مال الناس على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما فى الخيام، وأضـرموا النار فيها وتسابق القوم على سـلب حرائر الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلبات باكيات، وان المرأة لتسلب مقنعتها من رأسـها وخاتمها من اصـبعها وقرطها من اذنها والخلخال من رجلها. فقـد أخذ رجل قرطين لأم كلثوم وخرم اذنها، وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكى قالت له: مالک؟ فقال: كيف لا أبكى وأنا أسلب ابنة رسول الله قالت له: دعنى، قال: أخاف أن يأخذه غيرى.

ورأت رجلا يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلـذن بعضـهن ببعض وقـد اخـذ ما عليهن من اخمرة واسورة ولما بصـر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها ولما افاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكى.

أُزْعِجَت مـن خدرها حاسـرة

ک_القطا رُوِّع من بعد هج_ود

تن_دب الصون الذى قد فق_دت

صب_رها فى_ه إلى خى_ر فقى_د(1)

وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعه نساء الحسـين وصبيته وجواريه وعيالات الأصـحاب وكنّ عشـرين امرأة وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبى الترک والروم وهن ودائع خير الأنبياء ومعهن السـجاد على بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنة، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العلة ومعه ولده الباقر وله سنتان وشهور.(2)

وأتاهن زجر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن، فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال.(3)

1- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 300 - 301.

2- نفس المصدر السابق، ص 305.

3- نفس المصدر 309.

وتسير قافلة السبايا فى طريق طويل يبتدئ من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى الشام ثم العودة من الشام إلى كربلاء ثم إلى المدينة فى مسيرة طويلة قدرها أصحاب المقاتل بما يقارب الشهرين!!

لقد كانت رحلة طويلة، قاسية، صعبة، محزنة، مفجعة وثقيلة بكل ما فيها من ضغوطات نفسية وبدنية واجتماعية لكنها كانت حقاً عدل القتل والتمثيل.(1)

نقل عن ابى الجوزى عن جده انه قال: ليس العجب ان يقتل ابن زياد حسيناً وانما العجب كل العجب ان يضرب يزيد ثناياه بالقضيب ويحمل نساءه سبايا على اقتاب الجمال.(2)

وإلى هذه الصورة يشير مغنية فى كتابه قائلا: لقد رأى الناس فى السبايا من الفجيعة أكثر مما رأوا فى قتل الحسين وهذا بعينه ما أراده الحسين من الخروج بالنساء والصبيان.(3)

وإلى هذه الحال يشير البعض الى ان فاجعة كربلاء لها عدلان رئيسان يكمل أحدهما الآخر عدل القتل والتمثيل والهتک لحرمة هذه الصفوة من أبناء الأمة وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وصحبه الكرام.

وعدل السبى والأسر والهتک والاستهتار بحرمات هذه النسوة اللائى يمثلن حرم رسول الله وأهل بيته.(4)

1- السيد محمد باقر الحكيم، دور المرأة فى النهضة الحسينية.

2- يراجع محمد جواد مغنية، الحسين وبطلة كربلاء,ص 35.

3- نفس المصدر.

4- الشهيد السيد محمد باقر الحكيم: دور المرأة فى النهضة الحسينية، ص 64.

وهـذا هو الجانب الأول فى هـذه المأساة اما الجانب الثانى منها فهو ان كل أدوار نساء أهل البيت عليهم السـلام ظهرت فى هذه المرحلة، فضـلاً عن الـدور الإعلاـمى الكبير والعظيم والخطير، فلولا تنقل ركب السـبايا من بلـد الى بلـد لما اسـتطاعت النساء تصـدير الحقائق فى الامصار والبلـدان التى وصـلوا إليها. هـذا الامر يضاف إلى ما اظهرته النساء من مرونـة عالية فى التكيف مع الأحداث فحولت النساء حالة السبى من حالة شـلل اجتماعى وضـغط نفسـى فادح إلى حالة عطاء اعلامى ضـخم وإلى حركة ثورية فعالة استطاعت ان تزيح النقاب عن الوجه الأموى المقيت.

وعادة حينما تحـدث الحروب فى أى مكان فان النساء والأطفال هما أكثر الشـرائح تضـرراً من انعكاسات الحرب ورغم التفاوت الموجود بين الحروب المعاصرة والسابقة من حيث قوة الفتك وسعة الانتشار والتقنيات إلى غير ذلک لكن تبقى النساء والأطفال شرائح سهلة التصدع إزاء المؤثرات الخارجية القاسـية، وعادة ما تعيش هذه الشـرائح انعكاسات نفسية قاسية تظهر واضحة فى ارتفاع نسبة الخوف والتوتر وزعزعة الأمن النفسى والشعور بالاحباط والاكتئاب والشک بالقضية وبقدسية الثورة أو المعركة التى خاض غمارها.

وتنتـاب النساء مشاعر اقسـى خاصـة إذا كانت مع الأولاد اوإذا كان الأولاد ضـمن الأسـرى أو تعرضوا لحوادث حيث يسـيطر الخوف أكثر وتزداد المحاولات الساعية للحفاظ على الموجودين الأحياء مما يضاعف من نسبة التوترات والقلق والهواجس ويزيد الارباک.

مضافاً إلى ذلک ان النساء تتأثر بمشاهد العنف وبخاصة عنف الحروب بشـكل أكبر وأكثر من الرجال بسـبب البناء الفزيولوجى، ولأن ذاكرة النساء تمتد زمناً أطول مع الحفاظ على امتيازها بالقدرة على الاحتفاظ بالجزئيات الصغيرة فان عامل التذكر يتخذ

له مـدى أطول مما يعنى معايشـة الصورة المؤلمـة للوقائع التى حصـلت فى الحرب ويزداد الحال تأثراً إذا ازدادت مـدة المعايشـة مع هـذه المشاهـد المرعبة. ورغم ان الإيمان بقدسـية المعركة يخفف الالم لكن يبقى الإنسان بشـراً ذا عواطف ومشاعر جياشة ويبقى يتذكر ويبكى ويذرف الدمع رغم حرصه على ان لا يوحى للآخرين بانه يائس أو ذليل.

على ضوء هذه الدراسة المبسطة لانعكاسات الحروب على النساء يمكن ان نفهم وضع السبايا بشكل أعمق فمن ناحية ان هؤلاء النساء كن قـد عشن كل مظاهر القسوة والعنف التى مورست ضـد أهل البيت عليهم السـلام فقـد رأين الأحبـة صـرعى مجزّرين على أرض المعركة, شاهـدوا عطش العيال، ذبـح الرضـيع، وحصار القوم وقتل الانصار ومقتل على الأكبر والعباس بشـكل مأساوى مؤلم للغاية اضافة إلى قطع الرؤوس وتعليقها على الرماح أمام موكب السـبايا طوال المسـيرة الطويلة. ولنا ان نتصور أحوالهن عندما مرّوا بهن على مصارع الشـهداء فى مسـيرهم إلى ابن زيـاد وكيف أكـل الحزن قلوبهم وتعـالت اسـتغاثاتهم وهم فى كـل ذلـک بين الرؤوس والـدمع والألم والجوع والعطش تقودهم زمرة ابن زياد وعمر بن سـعد وشـمر، أى انهن كن يرينَ القتلة الذين كانوا يرقصون على اشـلاء الضحايا الذين كانوا من سلالة بيت النبوة وفيهم سـيد شـباب أهل الجنة!. وهم يظهرون الشماتة والفرح أملاً وانتظاراً للجائزة الكبرى التى سيحصلون عليها تقديرا لهم لقيامهم بكل تلک الافعال الشـنيعة!. يُظهرون كل ذلک أمام مجموعة نساء اسـيرات ثكالى فقدن الأحبة فى وقت واحد وبصورة تقرح القلوب وسرن مقهورات بل حتى لم يتمكنّ من دفنهم!. ولنا ان نتصور أحوال النساء هذه والواقع اخطر من الكلمات المكتوبة. ولم يكن السـفر من الكوفة الى الشام بالسـهل اليسـير، فقـد عرف الطريق الوعورة والمصاعب، ولم يكـد السائر فيه يبلغ الشام حتى يقطع من عمره أكثر من شـهر على الابل الصابرة المجدة.

ولكن ابن زياد أراد أن يكون الطريق بأقل بكثير من هذه المدة ليضرب عصفورين

بحجر واحـد: أولاً- الامعان فی اجهاد السـبایا، واذلالهم، وثانیاً تفادیاً لکل الاحتمالات التی تنشأ من تنقل الموکب - حسب طبیعته فی القری والمدن التی یمر بها، وخشیة ردود الفعل فیها، قال الراوی:

«لقد کان مسـیرة الطریق شـهراً للابل ذوات الصبر والقوة، ولکن الحداة الغلاظ ارهقوا قدرتها، وأوجعوا صبرها، فقطعت الإبل فی عشرة أیام أو دونها ما کان علیها أن تقطعه فی شهر أو أکثر، وکأنما سالت امام الإبل عثرات الطریق لتحط عن قریب بعض أوزار القوم، ولولا أنها کانت تحمل عفافاً وطهراً لیس مثله فی الأرض عفاف وطهر، لألقت بأحمالها حین کانت تفزعها أصوات الحداة، وکأنها حست بما تحمل، وحنت لرنة الحزن من فوقها فسارت وأسرعت، کأنها لم تسمع من قبل برنة حزن کما سمعت فی هذا البکاء.

وسـیر بالسـبایا فی اعتسـاف وارهـاق لیل نهار، وسـیر بهن من خلف الرؤوس عما کان یسار بالسـبایا من الحروب، وکان سـیر شـمر بن ذی الجوشن أمیراً لهـذا الرکب سـبباً فی أن یصوم أهل البیت عن الکلام، فما نبست منهن نابسة بکلمة ولا أشارت واحدة منهن باشارة، وکان إذا حدث أحد نفسه بالکلام أو علا صوته بالبکاء قرعه الفرسان بالرماح!.

وجعل ابن ذی الجوشن کلما مر ببلـد أرسل إلیه قبل أن یـدخله أنه موکب رجل خارجی خرج علی أمیر المؤمنین، فإذا جازت الکذبـة علی القوم مرّ بالبلد، وإذا لم تجز الکذبة، أو خیف البلد مال منه، ولم یعرج علیه.

وطالما مال الرکب عن الطریق التی تسلکها الإبل، وخاصة البریة والرمال خوفاً من غضب الناس إذا علموا فثاروا، فإذا خرج ابن ذی الجوشن من بلد وقریة لیلاً أصبح یتفقد أثواب الرکب، فلعل أهل البلد جاءوا بشیء زائد فیأخذه منهم».(1)

1- محمد بحر العلوم، فی رحاب السیدة زینب، السیرة والتاریخ (3)، ص 173 - 175.

اننا الآن مع كل هذه الطرق المعبدة لنشعر بالتعب فى السفر البرى فى حافلات مكيفة ومريحة فكيف كان السفر فى ذاك الزمان؟ خصوصا وان شـمرا لعنه الله كان لا يسـير ضـمن الطرق الرئيسة خوف الاذى الذى يتوقع ان يتعرضوا له! معنى هذا انهم ساروا فى طرق فرعية صـعبة ومرهقة للغاية.. ولنا ان نتصور اوضاع الركب الحسـينى وبخاصة النساء الثكالى المرهقات.. كان من الممكن ان يصـبن بانهيار أو يتملكهن خوف أو رعب لكن الأمر كان عكس ذلک تماماً فقـد ابـدين قـدرة عظيمة فى اداء الدور الاعلامى بشـكل يدهش السابقين واللاحقين.. فها هى العقيلـة زينب عليها السـلام ما ان تـدخل الكوفـة حتى تهاجم أهلها بخطابها العظيم وتصب عليهم حمماً من الكلمات الضارية التى أوجعتهم فانتبهوا. بل وتجعل كل الحاضـرين يغرقون فى بحر الدموع والآهات والحسـرات ثم جاءت باقى الخطب كذلک. ان هذا يعكس لنـا أموراً منهـا صـلابة هؤلاـء النساء وثباتهن وهـذا يعود بالدرجـة الأولى إلى ثقتهن بالقضـية التى جئن من أجلها وإلى نمط التربيـة وإلى قدرتهن على تحمل الشدائد التى أبت الجبال حملها وإلى إيمانهن العظيم بالله تعالى والذى قدّر الامور.

ومن البـديهى ان قول الإمام الحسـين عليه السـلام (شاء الله ان يراهن سـبايا) كان قـد رسم لهن صورة ذهنيـة عما ينتظرهن من أدوار قادمة وخطوب جسام. ويرى العلماء المعاصرون ان من عوامل نجاح الشخصية هو توقعها لحوادث مستقبلية وحوادث صعبة وثقيلة وتهيئة الذات للاسـتعداد لمواقف كهـذه. وهذا النمط من التفكير يحرر من المسـير الروتينى للحياة ويكسب الفرد قوة ازاء مواقف عارضة ويعلمه ادوات الصلابة والثبات. بمعنى آخر إنه يمنحه سرعة التكيف ازاء الأحداث المفاجئة، فكيف إذا كانت هى أحداثاً متوقعة ومنتظرة ودار الكلام عنها منذ أمد بعيد؟.

ومن هنا كان للسبى انعكاسات وأبعاد إيجابية كثيرة على واقع الثورة. فلقدكان

هـدف السـلطة الأمويـة من سبى النساء هو إرسال رسالـة إلى كل الـذين يفكرون فى الثورة على النظام أو الـذين لا يـدينون بالولاء للحكم الأموى مفادها: اننا لا نرحم أياً كان حتى لو كان الخارج علينا من أهل بيت الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم أو سيد شباب أهل الجنة.. وكان الأمويون يخططون لرسم صورة مشوهة لهؤلاء السـبايا فى صورة الذل والانكسار وطلب الرحمة لكن الأمر أصـبح عكس ذلک تماماً فهـذه كلمـات النساء تتوعـد الحاكم الظالم وتعاتب الناس (بقسوة) على تخلفهم عن النصـرة ومن ثم فما خطط له الإمام عليه السـلام من اصـطحاب النساء معه فى المعركة كان صـحيحاً وحكيماً، لأنه أسـهم فى عرض قداسة الفكرة التى انطلق منها الإمام الحسـين عليه السـلام وهذه بذاتها كانت رسالة معاكسة للرسالة الأموية وكانت أقوى تأثيراً لما اصطحب المشهد العام من مناظر مؤثرة وصور مؤلمة.

وكان الإعلام الأموى قـد أعلن فى كل مكان قبل وصول السـبايا إليه ان هؤلاء سـبايا الترک والـديلم. ولكن النساء قلبن هـذه الدعاية وغيّرن الحال لما رأى الناس مظاهر الحشمة والوقار عليهن فعلموا ان هؤلاء النساء من أهل بيت النبوة ولنا ان ندرس هذه الشواهد:

جاء فى المقتل:أشـرفت امرأة من الكوفيّات فقالت: من أى الأسارى أنتنّ؟ فقلن نحن أسارى آل محمد صـلى الله عليه وآله وسلم فنـزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّين.

ولما همت السـيدة زينب بإلقاء خطبتها (أومأت زينب عليها السـلام إلى ذلک الجمع المتراكم فهدأوا حتى كأنَّ على رؤوسهم الطير وليس فى وسع العدد الكثير ان يسـكن ذلک اللغط أو يردَّ تلک الضوضاء لولا الهيبة الإلهية والبهاء المحمدى الذى جلّل «عقيلة آل محمد صـلى الله عليه وآله وسلم».

فيقول الراوى: لما اومأت زينب ابنة على عليه السلام إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندما اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية.(1)

وبعبارة اخرى (جاء أهل الكوفة ليتفرجوا على أسرى الخوارج فى مدينة على وإذا بصوت على ينطلق هادراً بين الناس فانكشفت الخدعة وبدأ الناس بالبكاء والعويل).

جاء فى المقتل: وفى أول يوم من صفر دخلوا دمشق فاوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم فى فرح وسرور ودنا رجل من «سكينة» وقال: من أى السبايا أنتم؟ قالت:

نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ودنا شيخ من السجاد عليه السلام وقال له: الحمد لله الذى اهلككم وأمكن الأمير منكم!. فقال عليه السلام له:

يا شيخ أقرأت القرآن؟

قال: بلى، قال عليه السلام:

أقرأت:

((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى)).

وقرأت قوله تعالى:

((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)).

وقوله تعالى:

((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى))؟

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 310 - 311.

قال الشيخ: نعم قرأت ذلک. فقال علیه السلام:

نحن والله القربى فى هذه الآيات.

ثم قال له الإمام:

اقرأت قوله تعالى:

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))؟

قال: بلى. فقال علیه السلام:

نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير.

قال الشيخ: بالله عليک انتم هم فقال علیه السلام:

وحق جدنا رسول الله انا لنحن هم من غير شک.

فوقع الشيخ على قدميه يقبلهما ويقول أبرأ إلى الله ممن قتلكم وتاب على يد الإمام مما فرط فى القول معه وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله فأمر بقتله.(1)

لقد نشر موكب السبايا فكر الثورة فى كل مكان وصلوا إليه بالخطب المجللة وبالكشف عن وقائع المعركة والأحداث الدامية التى حصلت وكان هذا بحق سبقاً إعلامياً ونشراً خبرياً وبثاً واسعاً إلى أماكن متعددة حيث كانوا مضطرين إلى المرور بالقرى والبلدان؛ لأن الرحلة طويلة والمؤن لا تكفى ووسائل النقل كالبغال والحمير لا تتحمل المشى الطويل وهذا الانتقال من بلد إلى بلد أسهم فى نشر الواقعة. وهذا ما اكده المؤرخون من هياج الوضع فى الشام والتوصية بإخراج أهل البيت عليهم السلام منه بسرعة.

وتبعا لذلک فقد ازدادت نسبة التفاعل الجماهيرى مع هذه القافلة المتعبة التى فيها أطفال جياع صفر الوجوه ونساء باكيات نادبات مرهقات وعليل مريض يجر نفسه جراً

1- المقرم، مقتل الحسين علیه السلام، ص 349.

. وكان منظر السبايا المؤلم قد عزز من مظلومية أهل البيت عليهم السلام وزاد من حجم الجناية الأموية عليهم أمام الناس فكل امرئ طالع موكب السبايا اعتصره الألم والحزن على ما يرى وحينما يعلم ان هؤلاء هم حرائر بيت الوحى والنبوة يصاب بالاحتراق والانكسار الأمر الذى أوجد كميّن عاليين: كماً عالياً من المظلومية المنتشرة أمام الناس وكماً عالياً من بيان وعرض للوحشية من قبل يزيد وبقية أزلامه.. وهذا التفاعل زاد من مساحة التواصل النفسى. فهذه الصورة المؤلمة زادت فى تهييج المشاعر وزيادة النقمة على الحكم الأموى ولهذا لما خرج الركب من الكوفة أخذ يتعمد عدم دخول المدن الآهلة بالناس لكى يكون بمنأى عن استتباعات الحال.

لقد خرجت هؤلاء النساء بإرادتهن مع الحسين عليه السلام وخرجن ناصرات للإمام داعمات له فى ثورته الكبرى فى وقت تقاعست فيه الأمة والفطاحل من الرجال عن نصرة الامام عليه السلام!!..

وهؤلاء النساء أسهمن فى تغيير الصورة النمطية التى كانت عليها المرأة. فالمرأة المسلمة هنا تبدو مسؤولة عن دينها ورسالتها ومكلفة بالدفاع عن المقدسات وقد تقاعس الرجال عن نصرة الإمام وقلّ الناصرون منهم. ولكن هذا الأمر لم يغير من عزائم النساء أو يضعف هممهن ابداً... ورغم ان نساء أهل البيت عليهم السلام هن النموذج الأكمل للعفاف والستر لكنهن خرجن لنصرة الدين حينما تطلب الأمر ذلک.. فلقد كانت هذه رسالة المرأة والرجل ومسؤوليتهما على حد سواء.

على هذا يمكن القول: إن قافلة السبايا هى التى أسهمت فى نشر فكر الثورة وتعزيز الشعور بالأثم لدى الناس، ومن ثم مهدت الطريق لاشتعال الثورات بعد ذلک ومن ثم سقوط الدولة الأموية.

لقد نجحت السبايا فى تغيير حالة السبى من حالة ألم إلى حالة انطلاق ومن حالة

انين فردى إلى انين جماهيرى ومن حالة مشاعر ذاتية محصورة إلى مشاعر مجتمعية عامة واضحة فى بكاء الناس وتطلعهم للثأر والتوبة عما سلف.

وبهذا لم يذهب دم الحسين عليه السلام هدراً.. لقد كان النظام الأموى يريد ابعاد الثورة عن المدن الكبيرة (الكوفة) وحصرها فى صحراء كربلاء لكن موكب السبايا نقل وهج الثورة إلى كل المدن والبلدان التى نزلوا فيها وبهذا استنـزلوا حقد الناس وغضبهم على ابن زياد ويزيد وعلى الامويين قاطبة. ولأن الإمام الحسين رسم الخط الفيصل فى حياة عزيزة لا ذل فيها فقد استرخص الناس ذواتهم وانطلقوا فى ثورات كثيرة..

مطهرى: تاريخ كربلاء انما احياه وخلده الاسرى اى ان الاسرى هم الذين تمكنوا من المحافظة على هذا التاريخ وان جهاز الحكم الاموى قد ارتكب خطأ بالغاً فى عملية اسر أهل البيت والانتقال بهم من ساحة المعركة.(1)

وفى نهاية هذا المقال احببت ان انقل رأياً اعجبنى للسيد محمد باقر الحكيم رحمه الله فى كتابه دور المرأة فى النهضة الحسينية حيث يقول: فنحن نجد فى الفقه الإسلامى حكماً يتعلق بالبغاة - وهذا تعبير قرآنى والبغى من يبغى على الحاكم العادل - وهو أن الباغى يجوز قتله، ولكن تبقى عيالات الباغى إذا كان مسلماً فى مأمن من الأذى فلا يجوز أن تؤسر، أو تصبح غنائمَ، وبهذا تفترق نساء البغاة وأطفالهم عن نساء الكفار وأطفالهم، فإن عيالاتهم يتحولون إلى سبايا، ورجالهم يتحوّلون إلى أسارى، وأموالهم تتحول إلى غنيمة.

وأول من بيّن هذا الفرق فى الحكم هو: (الإمام على عليه السلام، وذلك فى أعقاب حرب الجمل، عندما طلب بعض المقاتلين منه أن يقسم الغنائم التى استولوا عليها بعد المعركة بينهم، فرفض الإمام على عليه السلام ذلك، وكان جوابه قوياً

1- الملحمة الحسينية، مطهرى، ص181.

وشديـداً، بعد أن نهاهم ونهرهم عندما ألحوا عليه، فأجابهم: من يقبل منكم أن تكون غنيمته أمه عائشة – باعتبار أن عائشة أم المؤمنين كانت من جملة الأسارى – فوجدوا أن الإجابة صـحيحة، فمن يقبل أن تكون غنيمته أمه، حيث قال: «..أما علمت أنّ دار الحرب يحل ما فيها وأنّ دار الهجرة يحرم ما فيها ألا فمَهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدّقونى وأكثرتم علىّ – وذلک أنّه تكلّم فى هذا غير واحد – فأيّكم يأخذ عائشة بسهمه؟!» وفهموا أن الحكم الشرعى بالنسبة إلى بغاة المسلمين، يختلف عن الحكم الشرعى بالنسبة إلى الكفار. والمسلمون بكل مذاهبهم وطوائفهم يلتزمون بهذه الفتوى، ويقبلون هذا الحكم الشرعى.

ولكن فى كربلاء نجـد الأمويين يسـلكون سـلوكاً آخر، حيث قاموا بسبى حرم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وأسـرهنّ!! وعيالات أصحاب الحسين عليه السلام وأولاده، كما قاموا بنهب أموالهم، وعدّوها غنائم حرب!!.(1)

أمير المؤمنين عليه السـلام زار السـيدة عائشـة بعـد وقعـة الجمل وودعها أكرم وداع وسار فى ركابها أميالاً وارسل معها من يخدمها ويحف بها.(2)

وقد بقيت ذاكرة السبى المؤلم عند أهل البيت عليهم السلام فهذا الإمام السجاد عليه السلام يقول فى وصف ذلک المشهد:

«والله ما نظرت إلى عمّاتى وأخواتى إلا وخنقتنى العبرة، وتذكّرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة، ومن خباء إلى خباء، ومنادى القوم ينادى: احرقوا بيوت الظالمين».(3)

1- محمد باقر الحكيم، دور المرأة فى النهضة الحسينية، ص 73 – 75.

2- محمد الصدر: أخلاق أهل البيت، ص 309، نقلاً عن عبقرية الإمام للعقاد.

3- حياة الإمام الحسين 3:299.

الفصل الثالث: نساء الطفوف فی دائرة الضوء

اشارة

الموازنة بين أدوار الجنسين

اشارة

نساء الطفوف كن شـرائح متنوعـة من المجتمع النسائى فيهن العالمـة المعلمة. وبينهن من لـم تحظ إلا بالحد الأدنى من حفظ بعض السور القرآنية. وفيهن الكبيرة فى السن والفتاة الشابة والطفلة الصغيرة ومن كانت ذات حسب رفيع وضمن اعلى البيوتات ومن كانت من اسرة عادية جداً. وفيهن من اسـلمت توا وبينهن من شـبعت حبا وحنانا فى حجر جدها رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم. وفيهن الزوجة والأخت والبنت والأم والبعيدة كل البعد عن هذه الانساب.

ومع تعـدد الشـرائح النسوية من حيث العمر والصـلة والقرابة والوعى والفهم كان تعدد الأدوار واضـحاً ومفيداً. وكلٌ قد أدى دوره حسب ما وصل إليه وعيه وحسب قدرته وحسب ما اتيح له. ولهذا نجد انه كانت هناك أدوار ثقيلة ومهام جسـيمة كأدوار السـيدة زينب عليها السـلام وهناك أدوار اخف ثقلا فى الصورة لكنها كانت ذات ثقل واضح فى المعركة المصـيرية.. وهذا التنوع أسـهم فى تعريف كل شريحة بدورها وبمهامها وبتوقعات الزمن وبما تسـتطيع ان تقدمه المرأة من اسـهامات لتثبيت عقيدة الولاء والتمهيد لانتصار الاطروحة المهدوية العالمية مستقبلا.

وتبعاً لهذا كان تنوع الأساليب التى اتبعتها النساء فى التعبير عن الولاء والمظلومية واضـحاً. وهذا التنوع أسهم فى تعريفنا بمساحات العمل النسوى المتعدد الادوار والمسؤوليات والاساليب واعطى للمرأة رسالة خالدة عما تستطيع القيام به.

لقد كانت واقعة كربلاء ثورة مجتمع صـغير متعدد الشـرائح بكل ما فيه من رجال ونساء، شيباً وشباباً، كهولاً وصبية، فتيات وأرامل امام قيادة المجتمع الكبير ولكن أحـد أهم المعـالم المميزة للأـدوار عموماً هو ان كلا الجنسـين (الرجال والنساء) انطلقوا من هوياتهم الاصـلية ولم يتجاوز أحـد على هويته الخاصة. وبمعنى آخر أكثر تفصـيلاً ان النساء انطلقن من خلال أدوارهن محافظات على هويتهن الانثوية وكذلك الرجـال. فالإمام عليه السـلام اصـطحب اخوته (العباس وعبـد الله وجعفر وعثمان..) ليقاتلوا ويحملوا السـيوف وين ـزلوا ليوثاً إلى ميادين الوغى فى حين حمـل اخواته معه ليكن مقاتلات ولكن بالكلمـة فسـيوفهن كانت كلماتهن التى تحولت إلى نبال ورماح حادة اسـتقرت فى الصدر الأموى فمزقته. ولم تخرج النساء مقاتلات ولم يسمح الإمام لهن بذلك.

قال الراوى: واخـذت زوجته ام وهب بنت عبـد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فداک ابى وأمى قاتل دون الطيبين ذرية محمد صـلى الله عليه وآله وسلم. فأراد ان يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن ادعک دون أن أموت معک فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً ارجعى إلى الخيمة فانه ليس على النساء قتال فرجعت.(1)

ولم تطـالب النسـاء بـان تخرج إلى ساحات القتال بل على العكس من ذلک فأوامر الإمام كانت عـدم تجاوز باب الخيمـة حتى استشـهاده واطاعت النساء الأوامر ويظهر ذلک من مواقف عـدة فقد ودعت السـيدة زينب عليها السـلام أخاها عليه السـلام الوداع الثانى وجاءت إليه بالجواد ولكنها عادت ادراجها إلى المخيم وليس فى ذلک أى غضاضة أو انتقاص بل أدت السـيدة كل أدوارها كاملة. واستشهد العباس عليه السلام فلم يأذن

1- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 238، نقلاً عن الطبرى ج6، ص 245، وابن الأثير ج4، ص37.

الإمام لأحد بالذهاب إلى جسده الذى بقى فى موضع استشهاده.

وحينما نـدرس أدوار الرجال نراها تـدور بالدرجـة الأولى حول النصـرة والقتال فى حين كانت أدوار النساء التبليغ والإعلام وبهذا نجح كلا الفريقين فى تأديـة المطلوب. ان واحـداً من أهم مشـكلاتنا المعاصـرة هى مشـكلة الـدور. فلقـد عاشت المرأة صـراعاً طويلاً ضـد أدوارها التقليدية (كالأمومة) ولكن الحال أدى إلى انتكاسة كبرى لتخلى المرأة عن واحدٍ من أدوارها الاساسية والاصلية والقديمة. (فالمرأة الجديدة) تنظر إلى هـذه الأدوار على انها انتقاص لحريـة المرأة فى جسدها وفى حياتها، وتطالب بأدوار أكبر كدورها فى المناجم وفى غسل الشوارع! وهـذا يعود إلى ما روّج له الفكر المعاصـر من انتقاص حاد للأنوثـة بكل أدوارها وتعظيم للذكورة بكل أدوارها واعمالها وتصوير الرجل بانه الكمال المطلق فاندفعت المرأة تبذل الكثير وتضحى بالكثير كى تصل إلى النجاح فى تصورها على حساب وأد الانوثة فى ذاتها بيدها هى!.

فإذا اردنا ان نفهم أنفسنا وما هو المطلوب منا فلنفكر فى شخوصنا.. من نحن؟ والى أين؟ وماذا نستطيع ان نفعله؟.. علينا ان نتقبل ذواتنا كما خلقها الله ولا نعيش اوهاماً زائلة وسرابا خداعا.

العنف السياسى ضد نساء الطفوف

يعـدّ العنف السياسـى اخطر انواع العنف الممارس ضـد المرأة وربما يعود الى الميزات الخاصة التى يتصف بها من الشدة والسـعة والتنوع والامتـداد والعوامل النفسـية الضاغطـة. يعرّف العنف عادة بانه احد انماط السـلوك العدوانى تجاه المرأة ويتمثل فى اسـتخدام القوة والقهر والتهديـد لالحـاق الاـذى والضـرر بالاشـخاص والممتلكـات ومن ثم فهو كـل ممارسـة تعتمـد القوة وتسـتهدف الحـاق الاـذى النفسـى والاجتماعى والبدنى بالمرأة سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. أما العنف السياسى فهو يختلف عن باقى أنواع العنف؛ إذ إنه

يرتبط بجهة سياسية وهى التى تتولى ممارسة العنف باشكاله المختلفة ضد المرأة. وقد تكون هذه الجهة متمثلة فى النظام الحكومى الذى يلجأ الى سن القوانين التى تسبغ الشرعية على صور العنف ضد المرأة كالقانون الذى يعفى القاتل فى جريمة شرف من القصاص أو يمنع المرأة المتزوجة من العمل أو يمنع الحجاب وهذا شكل واحد يتميز باسباغ الوضع القانونى على الاحوال السيئة والمضطهِدة للمرأة. أو فى القوانين التى سنّها الأمويون لمحاربة أهل البيت عليهم السلام والموالين لهم والتى شملت النساء والرجال دون فرق. ويكون القمع السياسى بأشكاله المختلفة من السجن والتهجير والطرد من العمل ومصادرة الاموال والاقامة الجبرية أيضاً من مظاهر العنف السياسى ضد المرأة والتى تأخذ طابع تأييد ودعم ورعاية من حكومة البلد، الامر الذى يفرز صفة المقاومة احياناً بشكل المطالبة بالحقوق أو التضحية من اجل التغيير واستبدال النظام.

لقد تعرضت نساء الطفوف لأقسى اشكال العنف السياسى – والذى كان بشكل مباشر – متخذا صورا عدة منها الضرب، الشتم، حمل الرؤوس أمام النساء، قطع الماء، حرق الخيام، قتل الصغار، كشف الوجوه، السبى، قتل الأحبة والتمثيل بهم.. الى غير ذلك. وقد سبق ذلك صور أخرى لهذا العنف فى اقصاء اهل البيت عن الحياة العامة وفى مطاردة انصارهم والتنكيل بهم وفى سن القوانين المحاربة لاهل البيت عليهم السلام ابتداءً من سب أمير المؤمنين على المنابر وهو أول مسلم يسب هكذا وبعلانية. وقد كانت مدة العنف طويلة أيضاً فقد سبق الواقعة واستمر بعدها وقد صاحب هذا العنف حرباً نفسية قاسية كانت تستهدف معنويات أهل البيت عليهم السلام بالدرجة الأولى عبر وسائل عدة منها تشويه صورة الثورة والإمام والتعريف بانه خارجى ومعاملة النساء كأنهن سبايا من الكفار – ولسن من أهل بيت النبوة – اضافة إلى مرافقة الأعداء والقتلة للعترة الطاهرة. والتظاهر بالقوة والغلبة عبر آليات كرفع الرؤوس أمام النساء ووضع رأس الحسين عليه السلام فى الطشت واعلان الفرح والزينة إلى غير ذلك.

والحرب النفسية امتدت مع السبايا الى الأماكن والبلدان التى وصلوها وهم يرون فرح أعدائهم وعبثهم ولهوهم، ولكن معنويات النساء العالية والدعم الاجتماعى والنفسى الذى كان بينهن وتوكيل الأمور إلى الله قلب الحرب النفسية إلى مسار مضاد لما خطط له أعداؤهم ألا وهو إزاحة عقدة الخوف والتعريف بمظلومية آل البيت عليهم السلام.

التعامل مع الضغوط

وهذا كله قد ضاعف من نسبة الضغوطات التى عاشتها هؤلاء النساء بالاخص عقيلة بنى هاشم السيدة زينب عليها السلام، فقد عاشت السيدة مريم عليها السلام ضغطاً اجتماعياً واضحاً ظهر فى ترددها من اعلان مولد المسيح عليه السلام على الملأ وعبرّت عن الحال بالقول (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فى حين عاشت السيدة آسية عليها السلام ضغطاً سياسياً واضحاً ظهر فى طغيان فرعون ومحاولته فى اجبارها على التخلى عن عقيدة التوحيد بشتى أنواع العذاب الذى صبه عليها. فى حين عاشت هؤلاء النساء ضغوطاً واسعة اجتماعية وسياسية ونفسية وثقافية أيضاً. بانت من خلال معاناة الأطفال فى قطع الماء وفى إبادة الأحبة بابشع الوسائل دموية وألماً وأقساها وأكثرها، وبانت فى مسيرة السبايا الطويلة مع الرؤوس والثكالى والدخول إلى قصور الطواغيت والقتلة ولكن هؤلاء النساء نجحن فى ايجاد آليات صحيحة فى التعامل مع الضغوط عرفّها لنا العلماء المعاصرون.. وأهم هذه الآليات:

1 - الاسناد الجماعى الذى قدمته السيدة زينب بالدرجة الأولى إلى باقى النساء والى الامام السجاد أيضاً، فقد كانت السيدة تدارى الكل وتخفف الاحمال عن الكل فقد حرصت السيدة على رعاية أسر الشهداء والثكالى ومتابعة شؤونهم. وإذا كان السند يخفف ثقل المصاب فيا ترى من قدم الاسناد لزينب نفسها؟!

2 – التصدى للمشاكل التى واجهت النساء كالذى حصل مع سـهل (ودنا سـهل ابن سـعد الساعدى من سـكينة بنت الحسـين وقال: ألک حاجة؟ فأمرته ان يدفع لحامل الرؤوس ان يجعل الرؤوس أمام النساء كى تشـغل الناس بالنظر إلى الرؤوس عن النظر إلى أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ففعل «سهل».)(1)

أو فى مواجهـة السـيدة زينب للشامى الـذى طلب فاطمـة بنت الحسـين جاريـة له. فلقد تحركت بسـرعة وغيرّت الموقف وقد كانت هناک ظروف قاهرة تعاملت معها النساء بالصبر وضبط النفس.

3 – نمط الشخصـية المتوازنة المرنة، إذ تكون أكثر قدرة ونجاحا فى مواجهة الضـغوط والمتابع لشخصية السيدة زينب يجد مرونة عالية فى التكيف مع الضـغوط والمعلوم ان زيادة الضـغوط يؤثر على الصـحة النفسـية والجسدية مما يؤدى إلى اسـتن_زاف الطاقة وتدميرها ومن ثم تدمير الذات. وحاليا هناک 75% من المرضى المعاصرين المراجعين للأطباء يشكون من عدم قدرتهم على التكيف مع الضغوط ومن ثم انهيارهم امامها أو ظهور أعراض اضطرابات نفسية كالقلق والشعور بالذنب واليأس والخوف والكآبة وعدم الثقة بالنفس.

فى حين ان هذا كله لا نجده عند نساء الطفوف أو عند السـبايا أو عند السيدة زينب عليها السلام حيث يخفف الإيمان بالله والايمان بقداسة القضية من حدة الضغوط. فلقد كان المرور على أجساد الضحايا فى المعركة وهم بتلک الحالة كفيلاً بتدمير معنويات نساء الطفوف وسلب ارادتهن واظهار جزعهن.

ولكننا نجد لغة العيون طافحة بالدموع مع صبر جميل والتغلب على كل مشاعر الاحباط.

1- المقرم، ص349.

غياب الشكوى

رغم كل هذه الظروف الصعبة والقاسية فقد استطاعت هؤلاء النساء تحمل الأذى الذى تنوء عن حمله الجبال، والصبر عليه ولم ينقل عن واحدة منهن أية شكوى سواء فى الحضور إلى كربلاء أو فى الاهوال التى مرت بهم. بل نجد حالة من تفويض الأمر إلى الله ورؤية الأمور بخير (ما رأيت إلا جميلاً...) وفى الحمد الواضح فى كل خطبة رغم عظم المصاب. فى حين ان التاريخ ينقل لنا عن غلام عبد الله بن جعفر بن أبى طالب والذى اظهر ضجره واستياءه من اصطحاب الإمام للنساء إلى كربلاء، قال ابن جرير: لما ورد نعى الحسين جلس عبد الله بن جعفر للعزاء وأقبل الناس يعزونه فقال مولاه (ابو السلاس): هذا ما لقيناه من الحسين!! فحذفه بنعله وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول ذلك؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أُفارقه حتى اقتل معه، والله انه لمما يسخى بنفسى عن ولدىَّ ويهون علىّ المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخى وابن عمى مواسين له صابرين معه ثم أقبل على جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ على المصاب بمصرع الحسين أن لا أكون واسيته بنفسى، فلقد واساه ولداى.(1)

ورغم قساوة كل الظروف وثقل المسؤوليات والاهتمام بصيانة البيت النبوى ونقل فكر الثورة إلى الناس جميعاً رغم كل ذلك لا نسمع عتاباً مع الأحبة أو شكوى أو تذمراً كما يحلو لأرباب المقاتل ان يصوروا لنا هذا الاستياء والضجر والعتاب مع الحسين الذى حمل النساء وزجّهن فى هذا الاتون المستعر.. يالعظمة هؤلاء النساء الصابرات المصبرات مع كل هذه الرزايا والخطوب. ومن المعروف ان النساء أمام الشكوى يكنَّ على صور عدة منهن نموذج صابر يفضى بثه وحزنه إلى الله راضياً بقدره وقضائه وهناك طائفة تعودت على الشكوى وباستمرار كنمط سلوكى متميز لديهن

1- المقرم، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص 340.

فهن يشتكين حتى لو كان الحال حسنا ويجددن الشكوى فى أمور عفا عليها الزمن ويعشن حالة عدم الرضا عن كل شىء موجود مما يؤدى الى استفحال الشكوى.. وغالبية هذه النماذج الشكاءة هن نساء عاجزات عن ايجاد الحلول لمشكلاتهن أو ايجاد المفر من المعضلات التى تعترض حياتهن وبعض هؤلاء النساء يصل فيهن العجز والضعف وقلة الثقة بالنفس إلى أن يعبرن عنها من خلال الشكوى كمخرج مؤقت يرد إليهن الشعور بالأمان. وبهذا يهدمن حياتهن ويهدرن طاقاتهن وعمرهن فى شكوى فارغة لا تسمن ولا تغنى، وهن لا يخسرن فقط حياتهن بل يزداد الآخرون منهن نفوراً وضجراً ومللاً. وهن يرمين بأسباب المشكلة على الآخرين ويحاولن ان يخلصن أنفسهن من أى شعور بالتفكير بالمشكلة واسبابها ودورهن فيها. وتزداد حالة الشكوى كلما زاد البعد عن الله تعالى وضعفت الحالة الايمانية. ولهذا لم نجد لهذه المفردة وجوداً فى قاموس نساء الطفوف لقوة العلاقة مع الله تعالى ولعمق الايمان بأهداف الثورة.

المهارات الحياتية

اشارة

نساء الطفوف كن يتمتعن بمهارات حياتية عالية واعنى بالمهارات (السلوكيات المقبولة التى تتيح للأفراد التفاعل مع المواقف بفاعلية وتمكنهم من تجنب الاستجابات غير المناسبة) وأهم هذه المهارات الحياتية:

1 - مهارات الحوار

وهذه بانت على أكثر من صعيد من خلال مواقف عدة منها:

حوار السيدة زينب عليها السلام مع ابن زياد.

حوار السيدة زينب عليها السلام مع عمر بن سعد.

حوار السيدة مع الشامى.

حوارات السيدة العامة كمواساتها للامام السجاد عليه السلام.

2 - مهارة التعاون والمشاركة

وبانت واضحة من خلال تعاون هؤلاء السبايا على شؤون الثورة سواء فى السبى او قبله اوبعده.

وأيضاً من خلال مواقف السيدة زينب عليها السلام فى متابعتها لشؤون العليل والسبايا والاهتمام بالطفلة رقية.

3 - مهارة الاتصال الشفوى والتواصل اللفظى

ولعل الخطب النسائية أكثر دليل على البيان اللفظى كخطبتى السيدة زينب عليها السلام فى الكوفة والشام وخطبة ام كلثوم وفاطمة بنت الحسين عليه السلام.

كما بانت هذه المهارة من خلال مواقف الرد على الشامى والمواساة مع الإمام زين العابدين عليه السلام.

4 - مهارة التعاطف

عبر مشاركة الآخرين انفعالاتهم وفهم أحاسيسهم ويبدو الأمر واضحاً فى تسلية أسر الشهداء والارامل والثكالى ومواساة الإمام السجاد عليه السلام.

5 - مهارة الاقناع عبر تقديم الدليل والبرهان

وهذا واضح فى خطب الاحتجاج والتأنيب التى تكلمت بها النساء وقد نجح الاقناع من خلال تحويل آراء الناس ومشاعرهم نحو الإمام الحسين وثورته وابطال المخطط الاموى.

وهذا يدل على نجاح الأساليب التى اتبعوها فى التأثير على الناس ومخاطبة العقول والقلوب، وهو فن اجادته هؤلاء النساء وبان بشكل متميز فى هذه الواقعة من خلال ردود الفعل التى نقلها رواة المقتل كما ذكرنا ذلك سابقا.

6 - مهارة اتخاذ القرار وحل المشكلات

وتبدو واضحة فى ادارة السيدة زينب عليها السلام للقافلة والسعى لعدم طغيان المشكلات على السطح.. لا ـ أقول لم تكن هناك مشكلات.. أبداً فان المسافر فى سفر قصير يعانى من الكثير من الصعوبات والازمات العارضة فكيف بمسيرة سبايا ثكالى مع رؤوس مرفوعة ولمدة طويلة، لقد كانت هناك مشكلات كثيرة لعل واحدة منها مشكلة الشامى الذى اراد بنت الحسين خادمة ولعل واحدة منها مشكلة رقية وما اثارته من استغاثات وهى صورة معبرة عن معاناة الاطفال والذين قدّر البعض عددهم ب_40 طفلاً وأيضاً كانت هناك مشكلة العليل فى السفر وغيرها، ولكن هؤلاء النساء استطعن تطويق المشكلة وتحجيمها أو تخفيف ردود الفعل الناتجة عنها.

7 - مهارات إدارة المشاعر

من خلال التعامل مع الحزن والقلق ومع الصدمات المؤلمة والإساءات التى تعرضوا لها - وما اكثرها - وامتصاص الغضب ولعل أهم الآليات هنا هو كظم الغيظ والصبر وتفويض الأمر إلى الله والمساندة الجماعية.

الضبط العاطفى

تعرف العاطفة على انها تنظيم وجدانى ثابت نسبياً (عكس الانفعال الذى يكون حالة طارئة ووقتية) فالإنسان ليس مركباً آلياً جامدا ك_(الريموت) بل هو يفيض بمشاعره ويتفاعل مع محيطه من خلال عواطفه.. يفرح ويحزن ويحب ويكره.. ولهذه الصور العاطفية انعكاساتها الكبيرة على شخصية الإنسان وعلى سلوكه. ولهذا اهتم الإسلام بالبناء العاطفى عن طريق تهذيب العواطف وتوجيهها الوجهة السليمة بحيث تكون عامل بناء لا عامل تخريب.

وتعدّ العواطف واحدة من أهم دوافع العمل. فنحن نقوم بالعمل على احسنه إذا كنا نحبه والعكس صحيح. كما تحتل العواطف زخماً عالياً من الطاقة النفسية التى تترك الأثر العميق على الحالة الشعورية للأفراد.

وقد اتهمت المرأة على طول المسيرة البشرية بانها كيان عاطفى مركز. وعُدَّتْ عاطفتها محطة ضعفها!.

وفسر الكثير حرمانها من بعض الوظائف والمناصب بانه يعود إلى الزخم العاطفى الذى تحمله والذى لا تستطيع ضبطه بالصورة المطلوبة!! ولكن فى العصر الحديث ظهرت لنا مفردات جديدة كالذكاء العاطفى والصحة العاطفية والجفاف العاطفى والأمية العاطفية إلى غير ذلک مما نجده فى صفحات الكتب الحديثة، فالإنسان المعاصر بعد ان وصل إلى الفضاء وسيطر على باطن الأرض ونجح فى خلق الإنسان الآلى وجد نفسه بحاجة الى ان يعيش مشاعر الحب والفرح والحزن كى يشعر على الأقل بالراحة النفسية والتوازن النفسى.

وبهذا الصدد يرى كثير من المهتمين بشؤون الانسان والمجتمع ان العالم الآن محتاج إلى عاطفة النساء أكثر من حاجته إلى سيوف الرجال!!.

لقد خلق الله تعالى المرأة بكيان عاطفى مميز كى يؤهلها لأداء مهامها الأساسية فى الكون ألا وهى تربية الأجيال وصيانة الأسر.

وهذا الفيض العاطفى الذى يشبع الحاجات الأولى للانسان سواء فى طفولته أو فى مراحله المتتابعة لا يمكن تعويضه عن طريق الريموت والحاسوب وغير ذلک. ولهذا بدأت الدراسات المعاصرة تهتم بدراسة العواطف وأنواعها وأقسامها وكيفية توجيهها وعدّت [الأمية العاطفية (والتى هى عدم القدرة على التعبير عن العواطف)]، عدّت واحداً من أمراض العصر الحديث.

ويخطىء من يقول ان الرجل خلق بلا ـ عواطف، بل ان الله تعالى خلق للزوجين الذكر والأنثى جهازاً عاطفياً كاملاً وربما تتفاوت المرأة بعض الشيء عن الرجل فى اظهار العواطف والتعبير عنها بحكم مهامها وتربيتها وبحكم العلاقات الاجتماعية التى سادت المجتمعات، فقد عُرف عن المرأة أنها أكثر قدرة على التعاطف مع الآخرين، والتعاطف هو القدرة على التواصل مع الناس فى المواقع الصعبة والخطيرة(1).

فالمرأة أكثر قدرة على توظيف هذه العواطف فى الاتجاه الأكثر فائدة وأثراً، وبهذا يعزى إلى الأمهات الأثر الأكبر فى توفير الحاجات النفسية للأطفال من أجل البناء السليم لشخصياتهم. ويشدد علماء التربية المعاصرون على ضرورة تواجد الأم قرب أولادها فى مرحلة بناء الشخصية.

فالعاطفة إذاً هى إحدى مرتكزات الجهاز النفسى الذى اهتم الإسلام بتهذيبه وتوجيهه لتخليص الإنسان من الآلية فى السلوكيات واخراجه من طابع الروتين الى طابع التفاعل والشعور, فلا بد ان تهتز مشاعره وينبض قلبه ويفكر ويبكى ويتألم ويحب ويدافع عن حبه وولائه فيعيش ألم الإسلام الكبير ومحطات فرحه. وبهذا تكون الشخصية الرسالية هى نسيجاً مترابطاً بين الفكر والسلوك والعاطفة.

وتُسهم الإرادة فى توجيه العواطف كما يعمل الفكر على تربية العواطف باتجاه القيم الدينية والإنسانية التى يؤمن بها الفرد.

وبعد هذه المقدمة نعود إلى نماذجنا الأولى فى نساء الطفوف فنجد نماذج رائعة للولاء العاطفى والوجدانى ونماذج إنسانية سامية تعيش ألم الآخرين وتعيش همَّ الحسين عليه السلام.. الوحيد الغريب فى البيداء الذى يطلب النصرة وينادى بأعلى صوته

1- وهو القدرة على تفهم مشاعر أو عواطف الآخرين.

مستغيثا وما من مغيث.. نجد السيدة زينب عليها السلام تذوب جوىً حينما تسمع الإمام الحسين عليه السلام ينعى نفسه ليلة العاشر قال على بن الحسين: سمعت أبى فى الليلة التى قتل فى صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أُفٍ لک من خليل

كم لک بالاشراق والأصيل(1)

لكنها تصون دموعها عن الظهور أمام الأعداء والشامتين حينما ترى الإمام عليه السلام مقطع الأوصال مزروعاً بالسهام وقد فاض دمه على التراب الزاكى وتناثرت اشلاؤه على الرمضاء.. فأى عظمة عاشتها هذه المرأة العظيمة؟.

لقد عاش الرساليون فى حياتهم الكثير من محطات الضغط العاطفى وعملوا على توجيه المشاعر بالاتجاه السليم وإدارتها فالإمام زين العابدين عليه السلام عّد أحد البكائين الخمسة فقد استفاد من كل فرصة ليظهر فيها حزنه على مصاب أبيه وكانت عملية تهييج العواطف احد اهم اسباب المواجهة مع الحكومة الاموية وقد نجح الامام فى ذلک نجاحا خالداً ما نزال نرى آثاره حتى الآن، وتلک الزهراء عليها السلام تعلن حزنها وبكاءها وسيلة احتجاج على الأمة الناكثة لوعدها فيقام لها بيت الاحزان تأييدا لها فى ثورتها البكائية.. إلى غير ذلک من الشواهد.

لكن السيدة زينب حبست دموعها وعملت على توجيه النساء اللائى كن معها على ان يتبعن هذا الأسلوب الذكى من أجل ايصال رسالة الإمام الحسين، لقد كان الضغط العاطفى على السيدة زينب عظيماً لكنها استطاعت ان تجعل ارادتها أقوى فما سمحت لدموعها بالنزول ولا لحزنها بالظهور إلا فى المواقع التى تطلبت ذلک كما فى يوم الأربعين حيث كانت هناک الحاجة العليا لاظهار اقصى درجات الحزن والذى يمثل أقصى درجات الاحتجاج على السياسة الأموية واحد أهم عوامل الكشف عن الظلم

1- المقرم، ص 217.

الأموى الذى صُب على أهل البيت عليهم السلام، وبذلک كان يوم عودة السبايا إلى كربلاء ومن ثم إلى المدينة يوم حزن عظيم هز الأمة كلها.

واهتمت السيدة بتوجيه عواطف الاخريات اللائى كن فى موكب السبايا وبذلک تحول الجميع إلى صورة زينبية واحدة فى الإباء والصمود والصبر.

وبهذا كان للعواطف أثرها فى تأجيج الحزن على أهل البيت عليهم السلام كما كان لأساليب الضغط على العواطف أثرها فى ابانة عظمة هؤلاء النساء فالعواطف يمكن ان تكون سلاحاً لاحياء الأمة كما يمكن لها عبر توجيهها الوجهة السليمة ان تكون وسيلة لنهضة الأمم.

الاستقلالية

نساء الطفوف على العموم عشن الاستقلالية الواضحة فى قراراتهن ومواقفهن ولم يشعرن ان هناک آراء مفروضة عليهن. ولو اردنا ان نسأل طوعة لماذا آوت مسلماً؟ فستكون اجابتها بانها فعلت ذلک بحرية تامة ولم يجبرها احد، فلقد كانت حرة التفكير وحرة الإرادة أيضاً رغم ان ارادتها وتفكيرها كانا على عكس ولدها تماما فقد كان مسيّرا بأوامر ابن زياد. ولم تكن تابعة فى قراراتها لأى شخص آخر عكس ولدها الذى عاش التبعية للحاكم والمال. ونفس الشىء يقال عن نساء ركب الحسين اللاتى هاجرن معه فقد اخترن طريق الهجرة بمحض إرادتهن بل فرضن ارادتهن رغم وجود معارضة لخروجهن مع الامام. ونفس الشىء يقال عن باقى النساء.. وكلما شعرت المرأة باستقلالية مواقفها فانها تتحرر من التبعية ويعمق لديها الشعور بالمسؤولية وبانها ذات تكاليف ومسؤوليات لا يؤديها عنها غيرها ومن ثم فانها توفق أكثر لاتخاذ قرارات صائبة؛ إذ تتيح لها هذه الاستقلالية تبنى آليات صحيحة لصناعة القرار وللتخطيط للمستقبل ولمعرفة الأهم من المهم.

والواقع المعاصر يقول لنا ان نساءنا يعشن التبعية بل اصبحت جزءاً من كيانهن ولديهن شعور بالعجز عن تبنى رأى او موقف وهذه التبعية تسهل لهن عملية التخلص من المسؤوليات عن طريق تبنى الاعذار! فى تصور خاطئ انه يخلصهن من الحساب والسؤال. وهناك من يستفيد من تكريس هذه التبعية لأنها تجعل المرأة أداة طيعة فى يد الآخرين!.

ان المرأة والرجل كائنان مستقلان لكل منهما تكليفه وحسابه وكل منهما يحيا حياته ومماته ويُسأل بعد مماته ولا بد ان يقدم لحياته، ولو كان تابعاً بهذه الصورة لانتفى الحساب وجعل الحساب والتكليف على من كان تابعا له وهذا وهم كبير.

وأما القوامة فانها محدودة فى الحياة الزوجية فقط بوصفها متعلقة بالطرفين من خلال الحقوق والواجبات، ثم ان القوامة ليست الغاء للشخص الآخر أو مصادرة وجوده بل هى إدارة كما هى الحال فى الإدارات الأخرى.

نساء الطفوف كن مستقلات فى كل الأمور تقريباً ومع ذلك لم يظهرن أى تردد أو تراجع أو ندم على موقف. فقد دفعت دلهم زوجها دفعاً إلى الجنة وكان هو مترددا فى البداية فى حين ان التردد لم يظهر ابدا فى سلوكها حتى لما طلقها وافترقت عنه، وكذلك أم وهب وأم عبد الله والنوار، وغيرهن؛ لانهن هن من اخترْنَ هذه القرارات وهذه المواقف البطولية ولهذا نلمس غياب السلبية أو التحيّر أو النكوص فى السلوك والمواقف الأمر الذى جعل الطاقة الذاتية لا تتبدد فى اتجاهات سلبية وتتجه بالكامل نحو الهدف الأصلى..

لقد مارست النساء أدوارهن بكفاءة دون اكراه أو اجبار بل بحرية نابعة من صميم الذات. ورغم انهن كن مستقلات التفكير والارادة والقرار لكنهن لم يكنّ أبداً منفصلات عن أسرهن سواء بالرعاية أو الحماية أو بالوصل والاغاثة بل تحركت حياتهن مع أسرهم وعشن معهم وإليهم.

نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح

اشارة

كان الهدف الأساسى الذى أعلنه الإمام عليه السلام من ثورته هو ما قاله عليه السلام: إنى لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدى صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدى وأبى على بن أبى طالب، فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد على هذا اصبر حتى يقضى الله بينى وبين القوم وهو خير الحاكمين.(1)

فقد كانت ثورته المباركة تهدف إلى تطهير الواقع الفكرى والنفسى والاجتماعى والسياسى من الانحراف والفساد الذى ألمّ بالمجتمع آنذاك واصلاحه عبر القيم الجديدة التى حملتها ثورة الإمام عليه السلام. والإمام عليه السلام لم يرسم خارطة الثورة كى تكون حملته الإصلاحية آنية لزمانها ومكانها بل انه أراد ان يكون الهدف الإصلاحى ممتداً فى الأمة عابراً لمساحات الزمان والمكان بما يحمله من خلود المفاهيم وديمومة الوعى الإنسانى وقد كان أحد أهم أسباب حمل النساء معه فى الثورة هو حمل رؤى الإصلاح الجديد إلى الأمة بعد ان حاول الأمويون تقويض الثورة فى محدودية صحراء كربلاء التى حوصر بها الإمام وانصاره. لقد كان الهدف من ذلك هو ان تقوم النساء بأدوار التبليغ والإعلام ونشر الفكر الحسينى الرامى إلى الإصلاح وتطهير الفساد الموجود آنذاك وبذلك يكون الإصلاح مسؤولية كل فرد رجلا كان أم امرأة.

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...))(2).

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 139.

2- سورة التوبة، الآية 71.

ولفهم هـذه الأـمور أكثر لابـد ان نسـلط الضوء على أمور عـدة منهـا: حاجـة المجتمع آنـذاک للإصـلاح وظهور علامات الفساد الإدارى والسياسـى والاجتمـاعى والفكرى والاقتصـادى. وتتضـح معـالم الفسـاد الموجود آنـذاک من خلال اسـتقراء الواقع العام فيكفى فى الواقع السياسى ان يكون الحاكم فاسداً وان يكون وكلاؤه ونوابه كذلک.

وهذا ما اشار إليه الحسين عليه السلام بقوله:

«ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق والفجور..».

أما على صـعيد الواقع الاجتماعى فنحن نرى الحرب مشـتعلة ضـد الموالين لآل البيت عليهم السـلام فقد تعرضوا للكثير من اعمال الابادة والتهميش ومصادرة لقمـة العيش ونرى ذلک أيضاً فى القيم التى انتشـرت آنـذاک بين عموم المسـلمين فى الخنوع والانهزامية والرضا بالذلة وشراء الضمائر إلى غير ذلک.

أما الفساد الفكرى فيكفى ما قام به الأمويون من تشويه الفكر الدينى ونشـر الأحاديث الموضوعة والكاذبة ومصادرة كل رأسمال فكرى لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

من كـل ذلک نرى ان الواقع كان بحاجـة إلى إصـلاح عام. فهل يا ترى يمكن ان يكون هناک اصـلاح دون ان يكون للمرأة دور ومشاركـة؟ وهى التى عانت – كما اشرنا – من استتباعات الوضع الفاسد بشكل مباشر أو غير مباشر.

ان الأمر الذى لا يقبل الشک أو الجدال هو ان عملية الإصـلاح الشامل فى المجتمع تسـتوجب ان يكون هناک احتواء شامل لكل الشرائح الاجتماعية، ونلاحظ ان إحدى أهم اخطاء المصلحين فى العالم هو انهم يرومون الإصلاح والتغيير فى المجتمع عبر

قناة واحدة أو قنوات محدودة وابقاء باقى القنوات الأخرى مسدودة. وهذا ما سبب موت هذه الحركات الإصلاحية وإجهاضها فلا يمكن ان تنجح أى مساعٍ للاصلاح ما لم يتم تحريک كل فئات المجتمع ونفى الغبار عنه. وهو ما اشرنا إليه سابقاً حينما قلنا ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت ثورة مجتمع صغير - بكل فئاته - ضد قيادة المجتمع الكبير وبهدف اصلاح المجتمع الكبير.

وبهذا كان للمرأة حضورها الواضح فى ساحة الاصلاح كما كان ذلک ميسرا للشيخ والشاب والصبية والفتى إلى غير ذلک. ان حضور المرأة فى المشروع الإصلاحى الحسينى كشف عن قوة دور النساء ومتانة البناء الذاتى وبخاصة للسيدة زينب عليها السلام والتى كانت ذات الحمل الأكبر فى عملية الإصلاح من خلال نشر البرنامج الحسينى والتعريف بآليات الإصلاح وحتمية انتصاره. فلقد رسمت صورة المرأة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر من خلال كل الوسائل التى اتيحت لها فى الثورة.

ان الاصلاح يستلزم الإيمان بوجود فساد فى المجتمع فلا بد من ان تكون هناک رؤية فاحصة للمجتمع للتعرف على مواقع الفساد.

وقد كشفت النساء عن الفساد الاجتماعى بحق المرأة من خلال قول السيدة زينب عليها السلام:

«تخديرک حرائرک واماءک وسوقک بنات رسول الله سبايا... ».

وهنا قد نأتى على سؤالين مهمين هما:

- هل ان الإمام عليه السلام لما حمل النساء معه كان يروم مشاركة قوية للمرأة فى برنامجه الإصلاحى؟

- والسؤال الثانى: هو اننا لا نرى تغييراً على الخارطة الاجتماعية والحياتية بعد الثورة فى ما يتعلق بمسيرة المرأة فأين هو الإصلاح فى دائرة الحضور النسوى؟

الإمام الحسين رائد الإصلاح

تتفاوت الرؤى حول أدوار النساء فى الحياة العامة. ويمكن تقسيم هذه الرؤى إلى ثلاث رؤى معاصرة:

1 . الرؤيـة التقليدية للمرأة والتى تحصـر دورها فيما عليها وفيما لها، فالمطلوب هو أداؤها للتكاليف الأساسـية كالصوم والصـلاة وان تكون مطيعـة لزوجهـا وهـذا كل همها فى الحياة. هؤلاء التقليـديون يحاولون الابقاء على واقع النساء بما هو عليه فهم يرون ان أوضاع النساء بما عليه لاـ تحتـاج إلى إصـلاح أو تغيير أساسـى فهن يقمن بأداء التكاليف الأساسـية مقابل النفقـة مثلاً. وهؤلاء يرفضون كل ما هو معصـرن ويجعلون حلول مشاكل النساء المعاصـرة بالاتكاء على رمزيات الفكر الدينى بعيداً عن الأخذ بأسـلوب الحداثة أو العصـرنة أو مراعاة تغيير الزمان والمكان وبهذا تكون أفكارهم محدودة لمن يتكئون على الماضى دون الأخذ بتطورات الحاضر والمستقبل. والمرأة هنا تابع وليست كائنـا مسـتقلا كما انها بعيـدة عن مفاهيم الاسـتخلاف والأمر بالمعروف. وهى لا تعيش فى وعيها ظروف الامـة ومشاكلها لضـيق الـدائرة الحياتية والهدفية لها والدين هنا مجرد احكام عبادية مجزأة والقائلون بهذه الرؤية لا يسـتطيعون ايجاد تفسـير منطقى لحمل الامام الحسـين عليه السـلام نسـاءه الى كربلاء سوى انها حالـة خاصـة لزمانها وتحت رعايـة المعصوم المباشـرة !! وبهـذا لا يكون هناك حـديث عن دور سياسى او تكاملى للمرأة.

2 . الرؤيـة التجديديـة للمرأة والتى تميل إلى الرؤى الغربية والتى تحاول التخلص من ضـغط الدين عن طريق جعل التكاليف لزمانها الذى مضـى (كالحجاب والقوامة وغير ذلک) وهم يقتدون بالنمط الغربى ويحاولون محاصرة القيم والعادات والتقاليد وإقصاءها. ولأن المرأة هنا تشبه الرجل (وليست شريكة له فى مسؤولية الخلافة) فيكون

حل مشكلات النساء عن طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية بعيداً عن الدين، فلتعمل بأى شكل وفى اى مكان كان وهى كائن غير مرتبط بالأسـرة (التى يرونها قيداً). هؤلاء يرون ان المرأة كائن مسـتقل معزول عن الأسـرة والمجتمع. ولهذا يخاطبون المرأة كمفردة مسـتقلة بعيداً عن وشـيجة العلاقات التى تربطها بزوجها واولادها ويحاولون وضع القوانين الجديـدة من خلال هذه الرؤية. فالمرأة هنا كائن منفصل (كما هى الحال فى المنظومـة الغربيـة التى اباحت الاجهاض، لانه حق المرأة لكنها اصـطدمت بحق الطفل فى الحياة) والـدين ليس له أى تأثير على حياة المرأة واهدافها .

3 . الرؤيـة الدينية المعاصـرة او الحضارية للمرأة: وهى تتكئ على الفكر الدينى إذ لا حياة للأفراد دون وجود دين ينظم حياتهم ويضع لهم ضوابط دنيويـة اخروية ويبيّن لهم قيما أساسـية تصوغ للإنسان المعاصـر أهدافه واتجاهاته واساليبه فى الحياة. لكنهم يأخذون بنظر الاعتبار آليـات التطور المعاصـر ويحاولون ايجاد موافقـة بين الـدين وبين متطلبات الوضع المعاصـر. فهم يضـعون القوانين التى تتكئ على الـدين وتأخـذ بعين الاعتبار التطور والحداثـة وتنظر إلى المرأة من زاوية الانسان الخليفة لله فى أرضه فله مسؤولياته وأهدافه وواجباته وحقوقه. هذا التيار يحاول قراءة الفكر الإسـلامى مجدداً ضـمن آليات معاصـرة تحامى عن قدسية الدين وعن فاعليته فى كل عصر وزمان وما وجدناه من مشاركة للمرأة فى العملية السياسية فى إيران والعراق ولبنان ومن التأكيد على دورها الاجتماعى والتغييرى يدخل ضمن هذه المنظومة.

وحتى فى إطار القدرة (كما سيأتينا) هؤلاء يطرحونها من باب ايجاد النموذج الشامل المتوازن الذى يجمع بين المرأة الانسان والمرأة الانثى والـذى يسـتوعب وجودها الفردى والاجتماعى كنموذج الزهراء بثورتها وبعبادتها وبأمومتها وبحسن تبعلها أو كنموذج ابنتها الحوراء زينب عليها السلام ومن ثم هم يرون ان للمرأة دورا اساسيا فى الحياة العامة لا يلغى ادوارها الاولى كالامومة والزوجية ولا يتميع ضمن الصور

المشوهة للمرأة تحت مسميات الحداثة والعصرنة. ولهذا يرون ان صورة المرأة فى كربلاء قابلة للتجديد والظهور فى كل عصر وزمان انطلاقاً من ادوار المرأة التعددية وليست المحدودة كما يراها التقليديون.

من هذه الرؤية العامة يمكن القول: إنه لا يمكن للإمام ان ينطلق فى ثورة الإصلاح هذه دون ان يهتم بنصف المجتمع. صحيح انه كان قد اناط الدور الإعلامى بالنساء عموماً وللسيدة زينب عليها السلام على الأخص، ولكنه لم ينطلق لزمانه المحدد وانما اراد ان يوصل رسالة الإصلاح الخالدة إلى الرجال والنساء كافة وعلى مر العصور.

غياب أم حضور؟

ان المتتبع للتاريخ لا يرى صوراً نسائية بعد الثورة وهذه القراءة السطحية تجعل حضور النساء فى الواقعة (والذى هو عدل التضحية) وكأنه صورة عابرة لمجرى تاريخى قديم. والمستقرئ للتاريخ بعد الواقعة يرى ان الحال بقى كما هو عليه حول مشاركة المرأة فى الأدوار والمسؤوليات الاجتماعية والسياسية، وبأن الانكماش والاقصاء الذى لمسناه فى أوضاع ما قبل الثورة بقى على ما هو عليه بعد الثورة، فأين التغيير إذاً؟

وقد يكون هذا الرأى صائباً للذين يقرأون الصور الحاضرة فى المساحة التاريخية ولا ينقبّون فى أوراق التاريخ ودفاتره عن الأحداث والوقائع التى حصلت، على هذا لابد ان نفهم دور المرأة فى صناعة التاريخ كى نصل الى قرار صائب.

دور المرأة فى صناعة التاريخ

لقد استطاعت ثورة الإمام عليه السلام رغم انكسارها العسكرى ان تعيد برمجة القيم الإنسانية والاجتماعية والشخصية فى المجتمع وهذا ما نجده واضحاً من توالى الثورات وانطلاق الموالين فى بيان إداناتهم المستمرة للنظام الأموى ومن ثم الحكم

العباسى بعدما ازيحت ثقافة الخوف والذل التى كانت سائدة إلى ثقافة العز والكرامة.

وعموما كانت النساء بعيدات عن القتال وربما عن المشاركة فى الثورات التى اتخذت طابعا رجوليا فقد عاشت النساء مسؤولياتهنّ الاولى فى الاهتمام الأكثر بتربية الجيل الموالى والناصر لآل البيت عليهم السلام والذى ولد فى العصر الاموى الاسود ثار فى العصر العباسى الاكثر ظلما لآل البيت. فلقد تركت ثورة الإمام الحسين عليه السلام جرحاً لا يندمل فى قلوب النساء والرجال من خلال صور التضحية والفداء ومن خلال جرح الأمهات والثكالى ونداء السبايا – فاصبحت المرأة المسلمة الموالية تعى مسؤوليتها فى ضرورة تنشئة الأولاد على مبادئ الولاء لآل البيت عليهم السلام وعلى حبهم وكيفية صيانة الرمز الدينى وحماية المقدسات. وإذ لم تكن هناك صورة واضحة عن ماهية المطلوب من المرأة المسلمة قبل الثورة ولكن الصورة اتضحت بعدها فبدأت المرأة تربى أبناءها ليس لأمومتها فحسب ولكن لنصرة خط الإمامة، وهذا ما يفسر لنا استمرار التيار الموالى لأهل البيت عليهم السلام فى عدده وعدته وقوته وثباته. إذ كان الرجال يستشهدون فى المعارك والثورات التى خاضوها وكانت النساء تكمل المسيرة عبر التنمية البشرية الموالية. ولو لم تتبنَّ المرأة هذا الخط لحصل فراغ كبير لا يسد ابداً. فالمرأة بعد الطفوف بدأت تعى ان لها دورا وان هناك مهام ومسؤوليات لا يؤديها غيرها ولئن كانت نساء الطفوف قد عانين ما عانين من أجل الدفاع عن المقدس وحماية خط الولاء فان المطلوب من النساء بعد الطفوف اكثر. ان هذا يجرنا إلى التفكير فى مهمة المرأة الأولى فى التربية ويمكن من خلال استقراء اوضاع الدول التى تخلت فيها المرأة عن وظيفتها التربوية ان نرى انعكاسات ذلک ففى بعض المجتمعات التى تقوم فيها الخادمات بمهام التربية ظهر جيل يعانى من مشكلة اللغة ومن ضعف الحس الايمانى والوطنى لأنه يأخذ قيم الخادمة المربية واتجاهاتها وليست اتجاهات الام الاصلية ومن ثم حصل نوع من الاغتراب الأمر الذى جعل اصوات الاستغاثة تنطلق من كل مكان. ولتخلى الام

(عالمياً) عن هذه المسؤولية نشأ جيل يهوى العنف ويتخذه منهجا فى الحياة لانه عاش الحرمان العاطفى لغياب الام وعدم استطاعة المعلمة والخادمة تعويض النقص فى مشاعر الحب والحنان. ولقد اطل القرن العشرون مع مطالبات بنبذ الامومة وانتهى بصيحات تطالب بعودة المرأة الى البيت والاسرة!.

ولو قرأنا التاريخ قبل الثورة لوجدنا الرموز النسائية بحد ذاتها محدودة العدد وقد ظهرت فى نموذج سيدات نساء العالمين وفى مواهب المسلمات فى صدر الاسلام. ولكن يا ترى هل يعنى ذلک ان المرأة لم يكن لها دور فى صناعة التاريخ إلا من خلال هذه الصورة الظاهرة؟

ان دور المرأة فى صياغة التاريخ يمر بشكلين أساسيين:

الشكل الأول: وهو الأعم هو الشكل غير المباشر والصورة غير الظاهرة على شاشة التاريخ ولكنها صورة فاعلة ومؤثرة وذات امتدادات طولية. وتأتى من خلال أدوار النساء التقليدية وبخاصة دور الزوجة والأم والذى اهتم بصناعة الأجيال، وهذا الدور كان ضبابياً حتى للمرأة الموالية وان وجدناه فى آحاد ومفردات، ولكن هذه الصورة اخذت لها ابعاداً أساسية عند المرأة الموالية بعد الثورة ونضجت وبشكل واعٍ استقر فى لباب المرأة من خلال اعداد الجيل الموالى والذى يديم خط الولاء لأهل البيت عليهم السلام ومن هؤلاء النساء اللائى نجهل أسماءهن ومن كانت سجون الحجاج تغص بهن وكانت سجون الرشيد تعج بهن. وفى زماننا المعاصر كان صدام يقنص هؤلاء النساء ويغيبهن فى (التيزاب) كما جرى مع الكثير من النساء أمثال الشهيدة بنت الهدى - التى سنمر عليها - وسلوى البحرانى وآلاف من النساء قتلن واعدمن وغيّبن فى غياهب السجن.

والمستتبع للتاريخ يرى ان صورة الرجل الذى يصنع التاريخ كانت محدودة فى الخلفاء الظالمين لآل البيت عليهم السلام وفى أعوانهم فأين كان الرجل الموالى؟ لقد كان ثائراً فى سلسلة ثورات متتالية أبيد فيها الكثير منهم كثورة التوابين التى اتت على خمسة

آلاف رجل وكذلک بقية الثورات ومنها الثورات المعاصرة.. كان الرجال يُستشهدون ويتركون ذراريهم بين حاكم ظالم محارب لأهل البيت يروم تنشئة الأجيال على بغض على عليه السلام والنيل منه وبين أم موالية تصر على ادامة خط الولاء وتعانى الكثير من الضغط الاقتصادى والنفسى والاجتماعى والفكرى حتى ينشأ ولدها على حب أهل البيت عليهم السلام وربما عشنا بعض مفاصل هذه الحالة وعاش ابناؤنا أيضاً بعض استتباعاتها وإلى هذا يقول الشاعر:

لا ع_ذب الله أمى انها ش_رب_ت

ح_ب الوص_ى وغذتنى_ه فى لب_ن

وكان لى وال_د يهوى اب_ا حسن

فصرت من ذى وذا أهوى أبا حسن

- أما الشكل الثانى فى صناعة التاريخ فكان فى اسماء محدودة وواضحة عرفنا بعضها وجهلنا كثيراً غيرها من الرجال والنساء. وكان اسم الرجل يظهر بوضوح؛ لأن العرف نفسه يروج له فى حين تبقى صور النساء وأسماؤهن فى ضمن الدائرة الحمراء! لان التاريخ نفسه لم يكن انسانيا فى كثير من مقاطعه بل كان ذكوريا.

لقد أسهم التاريخ نفسه فى ظلم الانسان رجلاً كان أو امرأة فالتاريخ كتب لنا عن مجون الحكام وبطش الطغاة وظلمهم للبشر وعما قاموا به من اعمال يعدها البعض افتخارات فى حين انها احتراقات واحتقارات!.. فهل الذى يقوم بذبح البشر واراقة دمائهم وطمس حضاراتهم هل يستحق التمجيد والخلود؟.. ولكن التاريخ هو هذه الوقائع المرة اذ نادراً ما يكتب التاريخ عن الفضائل وعن السمو الانسانى وعن سبل تكامل البشر. ولأن الاغلب فى مسار التاريخ هى حاكمية الرجل ونبذه للانثى ايا كانت فقد اخفى التاريخ الكثير من الحقائق العليا فيما يخص النساء وبقى تاريخا ذكوريا فى حين ان تاريخ الاسلام كان تاريخ الرجل والمرأة على حد سواء.

ومع كل ذلک نجد صوراً خالدة فى التاريخ كصورة العقيلة زينب عليها السلام

والوافدات على معاوية وسمية ونسيبة.. ولكن من البديهى أيضاً ان تكون هناك صورٌ أخرى فى التسافل الحيوانى كصورة آكلة الاكباد.

وبعد كل ما استعرضناه نصل الى نتيجة وهى اننا مدينون للمرأة فى حفظ رسالة الولاء وايصالها لنا بكل امانة، فيا ترى كيف نحافظ عليها؟

ويمكن القول: إن حضور السيدة زينب عليها السلام فى برنامج الإصلاح الحسينى قد كشف اموراً منها:

1- انه لا يمكن لأى مسيرة اصلاح ان تنجح ما لم تهتم بالمرأة وتوكل إليها مهام المشاركة فيها. وان أى عمل اصلاحى يهمل نصف المجتمع سيصاب بالتلكؤ والضعف وهذا الاهتمام بوجود المرأة فى البرامج الاصلاحية يسهم فى ايجاد الحلول الاصلاحية لمشاكل النساء والمجتمع، فإصلاح اوضاع النساء يحتاج إلى جهد المرأة والرجل، وكذلك اصلاح اوضاع الرجال، وكذلك اصلاح أوضاع المجتمع.

2- نساء الطفوف كسرن الصورة السلبية النمطية عن المرأة ونشرن صورة المرأة الآمرة المعروف والناهية عن المنكر والناصرة لدينها، صورة إيجابية تعرّف المرأة بدورها المطلوب فى كل عصر سواء فى عصور التضييق والحراب أو فى عصور الانفتاح والحرية.

3- هذا الحضور النسائى المتميز كسر العقل الذكورى الذى كان لا يرى دوراً للمرأة أو أية قيمة مجتمعية.. ها هو سيد الشهداء وأبو الاحرار عليه السلام يوكل إلى اخته أصعب المهام فى ظروف قاسية للغاية.. مهام قد لا يقوى الرجال عليها لأنها متعددة فى ظروف عسيرة وضاغطة.. ولكن السيدة زينب عليها السلام تحقق نجاحا منقطع النظير وتكون سبباً لكل هذا الخلود الذى حظيت به الثورة الحسينية بشكل لم يكن له سابقة أو لاحقة، فسيد الشهداء عليه السلام يدعو من خلال هذا الحضور النسائى إلى دعم حضور المرأة فى المواقع الصعبة، وإلى اسناد المهام لها وعدم الشك فى

قدراتها وكفاءتها. فمن قال ان المرأة ضعيفة او كائن هزيل أو ان ليس لها دور فى المسيرة الانسانية فتبقى مركونة على الرف.. أبداً.. ولولا هذه الثورة لما بانت قوة المرأة.

4- اصلاح رؤية المرأة إلى نفسها.. فلماذا لا تعيد المرأة قراءة أدوار هؤلاء النساء لتعرف دورها ومهامها ولا تبقى اسيرة الوهم بالعجز وعدم القدرة على ان تقوم بقسط من المهام التى تتطلبها المراحل الراهنة من دورة الاسلام فى الكون.. هذا الاصلاح له اثره من حيث:

* انه يخلص المرأة من الهامشية واللامبالاة ويجعلها تعيش واقعها ضمن المبالاة والاهتمام والفاعلية.

* انه يسهم فى توجيه النظر إلى مشكلات مجتمعها والتعريف بالمساحات التى تحتاج الى اهتمام اكثر.

* يخلصها من العبثية والتشتت فنحن نرى حجم الانفاق الذى يصب على الإعلام لقوقعة النساء ضمن إطار الزينة والموضة فى إطار الصورة والجسد وجعل ذلك شغلهن الشاغل لإبعادهن عن الاهتمام بشؤون المجتمع واصلاح شؤونه.

* شعورها بالمسؤولية الثابتة عليها والتى لا تتغير مع تغير الزمان والمكان أبداً.

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...))(1).

* ويؤدى إلى تخليصها من الانانية والانكفاء على الذات وإلى الانطلاق إلى المجتمع الكبير وإلى علاج مشكلاته بما فيها مشكلات النساء.

* وكل ذلك سيمهد لتطوير الذات عبر زيادة ثقة المرأة بنفسها والابتعاد عن كل علامات الهوان والضعف.

1- سورة التوبة، الآية 71.

نساء بين النهضتين

ما بين نساء الانتظار ونساء الطفوف

انتهت واقعـة الطف بأشخاصـها لكنها بقيت فى الوجدان الإنسانى كصورة مشـرقة لرفض الذل والظلم والثورة على الواقع الفاسد المنحرف، وبقيت نساء الطفوف العظيمات رموزاً عليا وأمثالاً سامية لأدوار النساء التى لا تنطلق من إطار الأنوثة أو العقد النفسـية بل تنطلق من صورة الإنسان العظيم حامل رسالـة الاسـتخلاف والـذى سـيكون أُنموذجاً عالياً للخليفـة فى الأرض وبهذا فقد بقيت أُنموذجاً خالداً لكل النساء والرجال وعلى مر العصور.

ونحن نعيش الآن زمن الانتظار والتمهيد لظهور المصـلح الكبير الذى سيمحو كل ملامح الفساد ويجتث كل مواقع الظلم ويجعل الأرض تعيش تحت راية العدالة الإلهية.. وهو الحلم الذى عاشـته البشـرية دوماً وخطط لأجله الانبياء عليهم السلام وكانت تضحية الإمام الحسين عليه السلام الغالية من أجل هذا التمهيد الأزلى لانتصار العدل وإزالة الجور. وقد أكدت الأحاديث على أهمية الانتظار.

ففى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج.

وفى أحـاديث أخرى اشـارات عن حضور النسـاء مع الإمـام عجل الله تعالى فرجه الشـريف، وهى اشارات ربما اختلف البعض فيها لكننا سنعود ثانية إلى دور المرأة فى صناعة التاريخ فنرى الدور المباشر الذى تشير إليه الروايات كما فى الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ويجىء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة من غير ميعاد».(1)

وعن المفضل، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«يكن مع القائم عليه السلام ثلاث عشرة امرأة »

قلت: وما يصنع بهن؟ قال عليه السلام:

« يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله».(2)

ولا ننسى الدور اللامباشر للمرأة فى صناعة التاريخ وهذا يعنى ان المرأة موجودة فى ادوار فعالة سواء فى زمن الانتظار او الظهور, وتعتمد المرأة الناصرة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف فى زمن الانتظار على صورة نساء الطفوف الخالدة فى العطاء والتضحية وفى الدفاع عن العقيدة والامام.. وتبدو مسؤولية المرأة فى زمن الانتظار متأطرة فى جانبين أساسين:

1 . الجانب الأول هو بناء الذات وتربية النفس واصلاحها وتهذيبها والاهتمام بالأعمال الصالحة والمخلصة. فكل عمل مخلص هو انتظار للفرج.

2 . والجانب الثانى يتمثل فى تربية الجيل المنتظر وإعداده وتقوية ثقافة الانتظار لدى نساء المجتمع (وعمومه) من خلال اتباع آليات مناسبة وهذه الثقافة تنمى عند الأفراد حالة الاستعداد والتأهب للظهور.

فثقافة الانتظار مشروع حضارى يعيد الجذور الإنسانية للحضارة البشرية ويرسم معالم المجتمع التوحيدى الذى هو حلم الانبياء عليهم السلام فمن اين نبتدئ؟

1- المجلسى، بحار الأنوار، ح52، ص 223).
2- إثبات الهداة: ج3 ص575 ح 725 (ب 32 فصل 38).

والجواب:

ألف . فى البدء هل لدينا القناعة الكافية بان الإسلام يحمل حلولاً لمشاكلنا وانه يمثل النجاة مما نعيشه من أزمات ومستنقعات؟.

ولعل واحدا من أهم مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة – وكذلک المسلم المعاصر – هو انها لا تعيش الوعى الكافى بان الإسلام يحمل اطروحة ناجحة ومفيدة للمرأة ولكل البشر ولكل المجتمعات، هناک تشتت فى وعينا، ونعيش ارهاصات قالها الآخرون لابعادنا عن ديننا. مقولات مشوهة من أمثال: ان الإسلام ظلم المرأة وانه حرمها حقوقها وكأن المطلوب من المرأة المسلمة المعاصرة ان تشن حرباً على الإسلام (الذى خنق المرأة وصادر حريتها كما أُدخل فى وعيها) وبعدها تنطلق بافق آخر يسمى أيضاً إسلاماً!!. وهذا هو السخف بعينه!. لابد أولاً ان أعى اطروحة الإسلام بشكل عام وبخاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة وان اضع الجدار العازل بين اطروحة الإسلام ومنظومة العرف (المقدس) والتى هى فى كثير من الأحايين تعاكس الإسلام وتشوه صورته، لابد ان اعرف حالة المرأة فى العالم الآن. فهى تقدمت فى جوانب عدة فى الجانب الحقوقى مثلا (بشكل عام) وفى جانب العمل والتعلم والسياسة إلى غير ذلک.

لكن كيف افسر الظواهر الطاغية فى العالم من باب تأنيث الفقر، تأنيث الأمية، الرقيق الأبيض، البغاء، العنف ضد المرأة (بكل أشكاله) وإلى غير ذلک من الظواهر السيئة؟.

ولذا لابد أولاً من ان احرر عقلى من كل فكر مضاد للإسلام ومن كل فكرة تصطدم مع الإسلام وتحاربه واجعل عقلى ساحة واعية لمفاهيم الإسلام الصحيحة وبالذات فيما يخص المرأة فالحجاب تحرر وانعتاق وليس عبودية واسترقاقاً والقوامة إدارة وصيانة وليست تسلطاً وإذلالاً إلى غير ذلک من الأمور.

باء . ان تعرف المرأة المسلمة المنتظرة فلسفة الانتظار ومن هو الإمام المهدى، ولماذا غاب؟. وهذه الرؤية المعرفية تُسهم فى رسم الصورة الأولية للإمام – المقدس – الذى تدافع عنه المرأة المسلمة وتقدم له النصرة بكل الوسائل.

ثم لابد من آليات للتواصل مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف والذى تعرض عليه أعمال مواليه. وبلا شک لابد وان يكون هناک سعى فى تقديم ما يفرح قلبه عن طريق الابتعاد عن الذنوب وهجران المعاصى والسعى إلى اكتساب الفضائل والحفاظ على الحجاب وغيرها.

ولعل واحدة من أساليب التواصل مع المقدس فى زمن الغيبة هو تقديم الهدايا للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف هدايا معنوية ومادية كأن تكون ركعتى صلاة أو صدقة أو الدعاء المستمر له أو المعايشة لهمه وألمه والتألم لحاله (عزيز على ان أرى الخلق ولا ترى ولا أسمع لک حسيساً ولا نجوى. عزيز على ان تحيط بک دونى البلوى). والاهتمام بذكرى مولده وقراءة الأدعية التى تعمق الرابطة معه والفرج له كدعاء العهد والندبة إلى غير ذلک.

ولا يقتصر الأمر على المرأة وحدها بل لابد من ان تشارک أسرتها وجماعتها فى أعمال النصرة واظهار الولاء ونحتاج هنا الى ان نرسم صورة أولية للإمام فى عيون أولادنا الصغار وان نجيب على اسئلتهم ونعرّفهم بأسباب غيبته وما هو مطلوب منهم فى زمن الغيبة وكلما كان الأم، والأب، أنموذجين ساميين للأخلاق الفاضلة – بعيدين عن العنف والشتم والسخرية – كلما كان تقبل الأولاد لهذه الأفكار العليا اسرع.

جيم . على ان اعيش الوعى الكامل فى أهمية الإصلاح وأهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان ادرک حاجة المجتمع والإنسان إلى المصلح والإصلاح وان اعرف آليات الإصلاح المطلوب, اذ لا يمكن القيام بأى عمل إصلاحى أو تغييرى أو المشاركة

فی عملیـة الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ما لم یکن الفرد نفسه – رجلاً کان أو امرأة – صالحاً من جوانب عدة کأن یکون ذا معرفة دینیة وذا معرفة بعوامل الزمان والمکان والتغییرات الحاصلة، وذا قدرة علی التحمل وعلی تبنی آلیات ناجحة فی التغییر. یقول الشیخ مطهری فی ملحمته الحسینیة:

انک لو اردت ان تأمر بالمعروف وتنهی عن المنکر بشـکل غیر مباشـر فان إحدی الطرق المحنکة هی ان تکون قبل کل شـیء صالحاً وتقیاً وصاحب فعل قبل ان تکون صاحب قول. وعنـدما تکون أنت شخصـیاً أنموذجاً بهذه المواصـفات سـتکون مثالاً مجسـماً للأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.(1)

ومما لا شک فیه ان النهضـة الحسـینیة رفعت من شأن عملیة الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر،(2) وکشـفت عن دور المرأة والرجل فی هذه العملیة الحیویة کما کشفت عن قابلیات النساء والرجال وعن آلیات التعامل مع الانحراف والفساد.

واذ تبـدو الحاجة إلی أنموذج المرأة الآمرة بالمعروف (کلمة المعروف تشـتمل علی کل الأهداف والمفاهیم الإسـلامیة الإیجابیة) والناهیة عن المنکر، أی المرأة التی تهتم بالإصـلاح کأمر أساسـی فی تطور المجتمع ونهضـته، فإذا اهمل الاصـلاح اهمل دم الحسین علیه السلام واهملت عطاءات نساء الطفوف وتأخر الظهور.

وتزداد الحالـة سوءاً إذا تصورت المرأة ان لاـ مهام لها فی عصـر الانتظار سوی البقاء فی البیوت والاهتمام بالموضـة ومشاهـدة مسلسـلات رمضان الممجدة للانحرافات!. وان صورة نساء الطفوف لزمانها ولیس لزماننا! وکأن الحسین علیه السلام کان لزمانه! فحسب.

1- مطهری، الملحمة الحسینیة، ج2، ص 92.

2- مطهری،الملحمة,ص 228.

ان المرأة الآن بحاجة إلى قراءة واعية للذات تجتث من خلالها كل خرافات الماضـى وضـبابية الحاضـر، إذ تنتظرها الكثير الكثير من المهام فى زمن الانتظار وترقب الظهور.

والمرأة التى تحمـل مشـعل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليها ان تسـير فى خط زينب – عليها السـلام– كأُنموذجٍ سامٍ للشخصـية الإسـلامية التى ترتكز على بناء فكرى واضح بعيداً عن الضـبابية.. وبناء نفسـى متين يمنحها القدرة على مواجهة الصعاب.. وبناء اجتماعى ناجح يمهد لانطلاقتها وحركتها فى الدائرة الاجتماعية.

دال . نساء الطفوف وبالـذات السـيدة زينب عليها السـلام كن أنموذجاً رائعاً فى قوة البناء الـذاتى ومتانته الذى لم يتهاون أمام الجيش الكبير الـذى خرج لقتال الحسـين عليه السـلام ولم ينهر أمام طاغية زمانه يزيد أو عبيد الله وغيرهما من العتاة. وهذا البناء الذاتى الصـلب فى الله الرحيم بخلقه تحتاجه كل امرأة منتظرة فى زمن الانتظار. فلا بـد ان تكون هناك أولويات لكى ننجح فى بناء ذواتنا بما يؤهلنا للصـمود أمام التحديات المعاصرة والمستقبلية.

وبناء الـذات يعنى تحرير الإنسان أولاً من قيوده وأثقاله التى تشـدّه إلى الـدنيا ومن الصـفات السـلبية التى تسـلب قدراته الإيجابية كالتكبر والشـكوى الزائـدة وفقـدان الثقـة بـالنفس إلى غير ذلـک من معوقـات الرقى والتكامـل وبهـذا تتحول المرأة إلى إنسان إيجابى معطاء يعيش المسؤولية والتمهيد للظهور معتمدا على كل الآليات المتاحة انطلاقاً من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى غيره.

اما أهم مرتكزات البناء الذاتى الناجح وأهمها فهى:

1 . مـا هى رسالتـک فى الحياة ؟. فالمهم ان نعرف من أين وإلى أين وكيف السبيل إلى أهـدافنا. فنحن لم نخلق عبثاً وانما نسـير نحو الغاية التى خلقنا لاجلها ونحو أهدافنا ولا بد ان نقف عند رسالتنا ونقرأها بوعى مرات ومرات.

2 . لأرسم صورة مستقبلية عن نفسى كناصرة – وناصر – للإمام وانا حالياً فى طريق التمهيد ولأتعرف على احتياجاتى المطلوبة للوصول إلى الصورة العليا..

3 . نساء الطفوف هن القدوة الحسنة لى فى مسار الانتظار، لأتعلم كيف انصر الامام وكيف اصون المقدس وكيف اعيش نكران الذات.

4 . لأتعرف على نفسى وارسم خارطة لمواقع الضعف عندى ومواقع القوة وآليات التغيير فلا يمكن ان انجح فى الحياة ما لم افهم نفسى وقدراتى.

5 . لاسعى لاكتساب المهارات الحياتية المهمة كالثقة بالنفس وقوة الإرادة وأدب الحوار والإقناع والاستماع والتقدير والاحترام والاخوة والصداقة والتعاون وآليات الاستثمار والتخطيط النافع، وآليات حل المشكلات، وآليات تنظيم الوقت إلى غير ذلك.

6 . البناء الروحى مهم للغاية فعلاقتى مع الله تؤثر على حجم مواجهتى للخطوب وعلى ثباتى على مبادئى، ولا بد من تدعيم البناء الروحى بالذكر وتلاوة القرآن الكريم واداء الفرائض والمواظبة على صلاة الليل وتعزيز الشعور بمعية الله.

7 . لأعوّد نفسى على تحمل المشاق والتعامل الصحيح مع الضغوطات واتخلى عن ساعات راحة احبها.. لابد من ان أقوم بتجارب صعبة ربما ساواجهها مستقبلاً. – لنعود أنفسنا التكيف الذكى مع المواقف والأحداث التى تمر علينا. فالحياة لا تسير على مسار واحد؛ إذ فيها تغييرات وتناقضات وأمور سارة ومحزنة إلى غير ذلك، وهناك من يصاب بالصدمة والسكتة والذهول والضياع حينما يعترض مسير حياته عامل ما يؤدى إلى تلكؤ الروتين الذى اعتاده، وهناك من يوطن نفسه على الوصول إلى أهدافه رغم التحولات.. لاتصور تغييرات فى حياتى، مشكلات، صعود فى سلم الحياة، كيف سأكون ثابتة أمام التحديات؟.

8 . لاعّود نفسى على الاهتمام بأمور المسلمين ..لاتابع نشرات الأخبار، لأحضر فى المناسبات المهمة مع الناس كمراسم الدعاء والزيارة، ولاشملهم بالدعاء والاستغفار فى صلاة الليل.

9 . لاحرص على الاستزادة من العلم والمعرفة فنساؤنا _بل وحتى رجالنا_مع الأسف يعشن اما أمية كتابية واما امية معرفية سواء فى إطار المعرفة الدينية أو المعرفة الاجتماعية بل اننا نجد نساء حاصلات على شهادات عليا من أرقى الجامعات ولكنهن لا يستطعن تلاوة بعض الآيات القرآنية بشكل صحيح!!، والثقافة للرقى وليست للاسترخاء والتباهى. فزينب عليها السلام لم تكن بنت عاشوراء أو وليدة الطف بل عاشت آلام الرسالة وأحداثها الصعبة والمرة منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى شهادة أمها، ثم ابيها ثم أخيها.. ولما جاءت إلى كربلاء كانت مدرسة للعلم والثقافة والشجاعة.

10 . لاصون هويتى.. فقد كانت لنساء الطفوف هويتان:

الأولى: إنسانية ظهرت واضحة فى أداء مسؤوليات الاستخلاف والرغبة فى ترشيد المجتمع نحو الله والرحمة والسمو على عوامل الجذب الدنيوية وإلى غير ذلک..

الثانية: هوية نسائية ظهرت من خلال حرصها على حجابها، وتقبلها لذاتها وعدم مطالبتها بأدوار ذكورية.

ولا بد للمرأة المسلمة المنتظرة ان تعيش كلا الهويتين وتسعى للحفاظ عليهما دون افراط أو تفريط.

11 . الحضور الاجتماعى.. فنساء الطفوف لم يعشن الانزواء لا قبل الفاجعة ولا بعدها فقد كانت للسيدة زينب عليها السلام مجالسها مع النساء بهدف التوعية والإرشاد قبل الثورة وإقامة مجالس العزاء للنساء بعدها. كما انها تواصلت مع شريحة الثكالى

والأمهات المفجوعات ومع الشرائح الأخرى ولم يكن الحضور صورياً أو شكلياً بل كان حضوراً واعياً وذكياً.

إذن يكون حرصنا الاكبر في ان يكون لنا حضور في الساحة الاجتماعية ولنبتعد عن الانزواء فانه تبديد للطاقات وتجميد للحركة.

هذه المشاركة والحضور الاجتماعي تسهم في:

ألف . التعرف على المشكلات الاجتماعية وبخاصة فيما يرتبط بوضع النساء.

باء . ينمي الشعور بالمسؤولية تجاه الأُخريات وينمي المهارات الاجتماعية.

جيم . الحضور الاجتماعي يخفف من الانانية والانغلاق على الذات.

دال . يُسهم في إيصال ثقافة الانتظار إلى الاخريات. وفي دعم ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمهد للأعمال الصالحة.

وواحدة من أهم أبواب الحضور الاجتماعي هي المشاركة في الشعائر الحسينية وبكل أشكالها سواء في زيارة الرسول والأئمة عليهم السلام أو في حضور مسيرات عاشوراء أو الاربعين والمجالس الحسينية والتي لم تصل بعد الى مستوى الطموح لكنها مازالت مؤثرة على شرائح كثيرة من النساء. وتعد هذه كلها محطات تجميع الأمة وتحشيد الطاقات وتمثل روافد فكرية تعمل على زيادة الارتباط مع التاريخ ومع نساء الطفوف ومع عقيدة الانتظار.

12- اغتنام الفرص: فلقد كانت فرصة طيبة في ان يسلم وهب النصراني على يد الامام وان يحظى بشرف الشهادة. وكانت أيضاً فرصة لزهير ودلهم وطوعة في ان يسجلوا موقفا خالداً ولم يفكروا يوما في ذلك، ولكنها فرصة جاءت اليهم لتكسبهم شرفاً وخلوداً, وإضاعة الفرصة غصة والفرص تمر مر السحاب فلابد ان نعرف كيف نصونها ولهذا من الانسب ان لا نتعود رد الفرص أو قول (لا) لكل مهمة تعرض علينا.

نساء الطفوف.. القدوة الخالدة

السيدة زينب عليها السلام .. المثل الأعلى للمرأة المسلمة

واحدة من أهم سبل العروج نحو الرقى والتكامل هو وجود المثل الأعلى والقدوة الحسنة للفرد والتى تخرج الفرد من قواعد التنظير والأفكار الجامدة وتحولها إلى إطار الواقع التطبيقى والصورة الحية للمفهوم وللفكرة. وبهذا يكون دور القدوة الصالحة دوراً تربوياً عالياً فى التعريف بالنموذج الذى تسعى اليه النظرية الفكرية. كما انه أسلوب سهل يزيح العوائق التى يتصورها الفرد أمام رقيه وتكامله، من حيث ان هذه الصورة التطبيقية تعطى للإنسان الأمل فى امكانية تحقيق النموذج السامى وتعرّفه بالوسائل والآليات الواجب اتباعها فى هذا المضمار وبهذا توجّه إرادة الإنسان نحو مسيرة الكمال المنشود. ولولا وجود النموذج الحى والصورة التطبيقية للنظرية الفكرية لبقى الإنسان فى موضعه حائراً لا يدرى ما هى صورة النموذج والمثل الأعلى وما هو السبيل إليه بل ربما لا يكلف نفسه عناء الرقى والتكامل.

ولهذا اهتم القرآن الكريم بأمر القدوة الصالحة وعرض النماذج العليا فى القدوات المعصومة والتى تمثلت بالأنبياء عليهم السلام وبخاصة النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)).(1)

((أُوْلَـئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)).(2)

أو فى نماذج عليا للنساء كما هى الصور التى عرضها القرآن الكريم فى نماذج

1- سورة الاحزاب، الآية 21.

2- سورة الأنعام، الآية 90.

الصالحين والصالحات كامرأة فرعون ومريم واللتين ضربهما القرآن مثلاً كنماذج للقدوة الحسنة لكل الذين آمنوا – من الرجال والنساء – وعلى مر العصور.

قال تعالى:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)).(1)

وهذه القدوات المعصومة المطلقة الخالية من الزلل هى نماذج ثابتة، خالدة، ليس فيها اختلال أو تضارب بل هى قمة النماذج الإنسانية، وتصلح جميع جوانب حياتها وسلوكياتها لتكون نماذج حية وثابتة لكل عصر وزمان.

وهناك قدوات غير معصومة وغير مطلقة ولكنها أيضاً نماذج عليا، وصور عظيمة اقتدى بها الناس ومازالوا مثل سمية ونسيبة ودلهم.

ولعلنا الآن نلمس استتباعات الحرب الفكرية وصراع العولمة الذى يبغى تثبيت نماذج مهزوزة للقدوات فى الفنانين والراقصات ونجوم السينما وغيرهم ومحاولة تشويه نماذج القدوات التى رسخت فى الوجدان الشعبى تحت مسميات وصور هزيلة.. وهذا ما يبرر لنا سعى اعداء الإسلام على مر التاريخ لطمس صورة الإمام الحسين عليه السلام وصورة انصاره وتشويه معالم البطولات وتحريفها بما هو مشوه وضبابى.

ومن البديهى ان طرح نموذج القدوات الضعيفة أو السيئة، – بعض العلماء لا يسمى القدوات السيئة بهذا الاسم بل يعرضها تحت عناوين المحاكاة والتقليد –، يقطع

1- سورة التحريم، الآيات 10 – 12.

العلاقة مع البناء التاريخى المتين وينهى أواصـر الترابط مع النماذج الخالدة كما انه يمهد إلى تحديد صور ضبابية للرقى الإنسانى فى نماذج واهنة تدور ضـمن إطار الأهداف المادية والدنيوية وضمن دائرة الجسد والشهوة والهوى وهذه كلها قواطع وموانع تحول دون الوصول للمثل الأعلى المطلوب وهذه هى إحدى الكوارث التربوية التى نعيشها والتى جند لها الإعلام اللا دينى كل اجندته وآلياته للنجاح فيها.

نساء الطفوف ... القدوة الحسنة

تشـكل منظومـة نساء الطفوف منظومـة كاملـة لكل نماذج القـدوات الحسـنة، ومنظومـة سامية فى تقديم المثل الأعلى الصالح لكل زمان ومكان. وهؤلاء النساء العظيمات وعلى رأسهن السيدة الحوراء زينب عليها السلام عقيلة الطالبيين هن النموذج الحى للرسالة فى كل زمان وبخاصة فى زماننا حيث التحديات الصعبة والمجابهات الفكرية فى أعلى المدارج هؤلاء النساء لسن شخوصاً عشن ومتن.. لسن نساء عبرن أياماً وسـنوات إلى نهاية الأمد بل يمثلن رؤية الإسـلام والإمام عليه السلام للمرأة ويمثلن منطلقات للمرأة المسلمة المعاصرة فيما يجب ان تكون عليه.

هؤلاء النساء عشن الحرية بكاملها لم يذعنَّ للحاكم ولم يخضـعن للسلطان ولم تُزِدْهُنَّ حراب الأسر والأذى إلا تصميماً على إدامة المسير حتى يأتى الله بأمره.. وقـد نعيش الاغتراب عنهن حينما نـذعن للنفاثات فى العقد، وللمضـللين من شـياطين الإنس والجن، وحينما نساوم على العقائد من أجل دنيا فانية ومتعة وقتية زائلة.

لقـد عـاشت هؤلاـء النسـاء الاهتمـام الفكرى بالأمـة المسـلمة، وكيف السبيل إلى بيان الحقائق لها وكشف الوجه المشوه للحاكم الأموى وأعوانه وعشن أيضاً الاهتمام الحركى بالأمـة المسـلمة المغلوب على أمرها آنـذاك فى كيفية انقاذها وإحيائها وبيان محطات العز لها وكيف تحيا بكرامة دونما ذل أو عبودية..

فمن ناحيـة تعرض نساء الطفوف نماذج لقـدوات متعـددة الأدوار. حيث نجـد الأمهات الفـدائيات من أمثال أم وهب وأم عبـد الله الكلبى ورملـة.. واللائى دفعن أولادهن للتضـحية فـداءً للإمام الحسـين عليه السـلام ونجـد أمهات لا يسألن عن أولادهن الشـهداء بين الضـحايا كالسـيدة زينب عليها السـلام؛ لأنهن كان الشـغل الشاغل لهن فقط فى صـيانة الإمامـة. وهناك نماذج سامية للزوجات الصالحات فدلهم زوجة زهير بن القين وزوجة حبيب بن مسـلم كن زوجات حبيبات ومحبات يدفعن أزواجهن للموت لنصـرة الإمام عليه السـلام رغم ما فى الفراق عن الحبيب من لوعة. ونجد الرباب زوج الحسين عليه السلام نموذجاً متألقاً. هذه المرأة التى يقول فيها الإمام:

لعمرک إننى لأحب داراً

تحل بها سكينة والرباب

تراها تعيش كل صور الأذى وفى اجواء الحرب الظالمة تعيش لوعة أبناء يسـتغيثون من الظمأ وترى ولدها الرضـيع مذبوحاً وابنتها تتلوى من العطش وزوجها الحبيب يجود بنفسه ولا من معين، وهى فيما بعـد تقاد أسـيرة ويبحث عنها العدو اللئيم ضـمن قافلة السـبايا متشـمتاً بقول الحسـين فيها.. هذه الزوجة الصابرة لا نسـمع لها شكوى أو عتاباً مع الزوج أبداً بل كلها مشاعر جياشة نحو الاحبة الذين صرعوا على أرض المقدسات. نجد الرباب نموذجاً سامياً فى الزوجة الحانية التى تقف إلى جوار الزوج حتى بعد استشهاده وتجتر آلام الفاجعة دون ان يكون لها شـكوى فهى المؤمنـة بأهـداف الحسـين الصابرة على جهاده وعلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.. وقـد تكون صورة الرباب الزوجة المواسية حاضرة لدى الكثيرات من النساء اللائى يرون أزواجهن منصرفين لهموم الرسالة ولا يجدون الوقت الكافى لأن يكونوا مع أسرهم.. ولكن ان ترى الزوج والولد بهذه الصورة وان تحضر مجلس الأعداء فذاک أمر آخر.

وفى نساء الطفوف نجد النماذج العليا للشابات فى فاطمة بنت الحسين عليه السلام

والتى القت خطبتها فى الكوفة أمام الناس الذين تلكأوا عن نصـرة الإمام وبكل قوة وثبات وهى الاسـيرة المرهقة وهى الوحيدة التى تكلمت من بنات الإمام بعـد استشـهاده، هـذه اليتيمة القت من جوفها حمماً على المتخاذلين فتحولت تلك الحمم إلى وقود يشـعل بيارق الثورة.. وتجد كلماتها لا تقل فصاحة أو قوة عن باقى الخطب فهى نموذج سامٍ فى الوعى والمعرفة وفى نصـرة الرسالة والعقيدة ضـمن شـعار الكلمة وضـمن شـعار القيم التى حملتها فتراها تلجأ الى عمتها زينب عليها السـلام ما ان بان لها طيف من هوى الشامى الـذى ارادها جارية. فما كـانت والعيـاذ بـالله من أولئـک الـذين ارتأهم الشامى بل كانت أجل واسـمى لكن كم هو مؤلم ما سـمعت من كلام وهى قمـة فى الطهر والعفاف وهى الحرة الأبية، وما احوج شاباتنا اللواتى تستغرقهن غواية الموضة والسفور والتشرنق حول دائرة المكياج والملابس إلى ان يعشن صورة الشابة التى هى مثلهن فى العمر وربما فى الرغبات لكنها عاشت أهدافها العليا المقدسة وصانت قيمها رغم قلة الناصـر وأدت ما انيط بها من دور إعلامى جليل بكل قوة وجدارة فى زمن نحس مكفهر.

أما الشابة الأخرى وهى سكينة بنت الإمام فلم تكن أقل شجاعة عن اختها وهى أيضاً نموذج للشابة المؤمنة المحافظة على حجابها وايمانها حتى فى مواقع الخطر.. ونموذج للشابـة التى لا تعيش التذمر رغم كل المصائب التى مرت عليها، ما نسـمع لها عتاباً وذماً وهروباً من واقع ثقيل المأساة أبداً بل هى البطلة الثابتة المبادئ الراسخة الإيمان.

أقول فى نفسـى: ما احوج شاباتنا اليوم للتأسـى بهؤلاء الشابات العظيمات اللائى – رغم صـغر سـنهن – عشن أدواراً صعبة وأهدافاً عليا وكن نموذجاً للمرأة التى تسمو على الشهوات والاهواء.

وهناک نسوة لم يكن بقوة أسرة المعصوم أو كفاءتها لكنهن قدمن العظيم والكثير

فهذه طوعة الشجاعة الابية تنصر مسلماً وتؤيده فى وقت خذله صناديد الكوفة. وعجباً للتاريخ الذى سجل لحظات النصرة هذه لتكون وساماً خالداً لهذه المرأة القوية فى دينها الثابتة على ولائها والتى لم تصبح ضحية الأهواء كما كان ابنها وغيره من الرجال.

وكان التاريخ – ومازال – ينسب الغواية للنساء ويصفهن بقلة الإيمان وتزحزح العقائد والذوبان فى الهوى وهى تهمة غادرة اراد الرجال من خلالها ان يبرروا فيها ضعفهم وانزلاقهم فى الشهوات. وطوعة قالت عكس ما قالوا وثبتت فى التاريخ قوة الشخصية لدى المرأة المسلمة.

هؤلاء القدوات الصالحة يعلمننا ان نتحرك دون شكوى أو تذمر أو استياء وان ننتهز الفرص من أجل التغيير والإصلاح فى أمة المصطفى. واذا كنا نفكر كم نتبوأ من مساحات فى الحيز الاجتماعى فهذا ما لم تفكر فيه هؤلاء النساء إذ كانت حركتهن خالصة لله ومع الله وإلى الله ولابد ان نتعلم وان تكون لنا اذن واعية.

الشهيدة بنت الهدى .. نموذج معاصر

لم تجرِ العادة ان يكتب الرجل فى كتبه ومؤلفاته باسم غير اسمه أو التعويض باشارة عنه؛ لأن العرف يدعمه ويسانده فى تعريف نفسه. أما المرأة فغالباً ما يكون نجاحها محاصراً معسراً ولهذا كتبت بنت الهدى باسم مستعار يكنّى عن هويتها النسائية لا أكثر. ورغم ذلک فقد حورب هذا الاسم النسائى ضمن اطروحات العلماء المتصلبة؛ إذ كيف يمكن لهذه الانثى ان تقتحم قلاع العلماء الكبار فتأخذ منهم سطوراً وصفحات كانت مقصورة عليهم!. وهذا الامر عاشته المرأة الغربية قبلها فقد كتبت جان ساند باسم الرجال رغم انها كانت إياها لا إياه!. فالذكورية كانت حاكمة ومسيطرة على العقل المجتمعى.

ولكن بنت الهدى رحمها الله كانت اقوى من التحديات المعاصرة فكتبت ونشرت

كتبها النسائيـة فى زمن الهجمـة الشـيوعية المحاربـة للإسـلام وفى وقت تفرغ فيه علماؤنا الاعلام للرد على الفكر الشـيوعى وحمايـة الفكر الـدينى بشـكل عام، تبنّت الشـهيدة احياء وتوعيـة عقل المرأة المسـلمة ووقايته من التلوث الزاحف وتقـديم القناعات القوية لها حول دينها وإسلامها. وكانت ضمن حركة دؤوب بين أطياف المجتمع العراقى فنشرت فكرها فى الحيز الجامعى واستقطبت طالباته وقدمت لهن الرؤية المعاصـرة للإسـلام والذى يريد للمرأة ان تكون واعية متسـلحة بالمعرفة والعلم (طلب العلم فريضة على كل مسـلم ومسـلمة) لكن ضمن القيم الإسـلامية. اعدت الشـهيدة جيلاً من النساء المؤمنات الصالحات اللائى حملن مشـعل التغيير والإصـلاح وانطلقن يكملن برنامجها الإسـلامى الكبير حتى ظهر الخـط الإسـلامى الواضـح من خلال انتشار ظاهرة الحجاب فى الوسط الجامعى وفى أوساط الأثرياء والفقراء على حـد سواء. وكانت ظاهرة مميزة وجهت رسالـة واضـحة للحكام والشـياطين بابطال اجنـدتهم الفكريـة التى رصدوها لحرب الإسـلام وتشويه أفكاره وقيّمه الحضارية.

ولهـذا سارع نظام صدام المقبور إلى انهاء حياتها كى ينهى صورة معاصـرة للمرأة المتسـلحة بالعقيدة وهى تدافع عن العقيدة. صورة لامرأة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر فى زمن الضباب والتضييق.. قتلها صدام لكى لا تسير على خُطى زينب فتنطلق فى دور إعلامى واسع ينشر لواء الإسلام عالياً فى سماء أرض الطفوف بعدما ألبت الناس على النظام من خلال انتفاضة رجب(1) فلابد ان يقطع هذا الدور.

ان الكفر الحاقد لم يبق لها جسداً ولا أثراً سوى تلك الصفحات المكتوبة فى

1- فى انتفاضـة رجب عـام 1979 اعتقل المرجع السـيد محمـد باقر الصـدر فما كان من السـيدة آمنـة الصـدر اخته إلا أن تحضـر الحرم الحيدرى وتعلن نبأ اعتقال السيد وتدعو الناس للجهاد ولنصرة المرجع الصدر، فخرجت المظاهرات فى أنحاء العراق ضاغطة على الحكومة فى الافراج عن السيد وهذا ما حصل.

أوراقها القديمة.. لكن طالباتها مازلن ينشرن لواء الإسلام فى ارجاء المعمورة مستفيدات من كل الآليات المتاحة.

ان بنت الهدى صورة معاصرة ومشرقة للمرأة المسلمة ولادوارها الزينبية فى زمن التحديات الصعبة. ولعل هناك صوراً أخرى لا تقل عن هذه الصورة لكنها غائبة أو مغيبة (كما غاب الألوف من الرجال فى سجن الحجاج).. انها ثمرة العطاء الزينبى الخالد لعاشوراء عام 61 هـ.. إذ لم تكن ثورة الحسين وكلمات زينب لوقتها وزمانها وأرضها المحدودة إنما كانت لكل الأمة على مر الأزمان والتواريخ.

كيف تبقى صورهم فى الذاكرة؟

نحتاج إلى ان نحافظ على هذه النماذج السامية فى القدوات الصالحة وان نبقى وهج أنوارهم فى نفوسنا.. ولا بد أولاً ان نفهم هؤلاء النساء ونعرفهم ونعرف أدوارهم وكيف ضحين وجاهدن فى الله حق جهاده.

ولا بد لنا - كمربين - ان نستعين بكل ما من شأنه ان يحفظ هذه الصورة النبيلة عبر استخدام التقنيات المعاصرة والاصرار على حماية المنبر الحسينى بتقديم هذه النماذج بشكل دورى ودائم كى لا يضعن فى غيابت النسيان.

لابد من التعريف بشخوصهن وأدوارهن وزرع القوة فى نفوس بناتنا ونسائنا بأنهن قادرات على إعادة الأدوار الكريمة وعليهن التعرف على آليات النجاح التى اتبعنها.. لابد أولاً ان نعرفهن على قوة المرأة المسلمة وقوة شخصيتها ولكننا - مع الأسف - ظلمناهن.

فهذه هى مشكلتنا الإساسية، فلقد حرصنا على الدوام على تصوير هؤلاء النساء اللائى كن جبالاً فى الشجاعة والصمود والثبات. حرصنا على تصويرهن على انهن نساء عاجزات ضعيفات لم يكففن عن الشكوى والعتاب مع الاخ والزوج والابن

وشتان بين الصورتين.. وهذا لعمرى ظلم كبير!..ولقد حرصنا دوماً على تقديم صور النساء فى الفاجعة لاستثارة العواطف واشعال المشاعر وهـذا مـا جعلنا نقفز على كل ما هو صـحيح وواقعى من أجل دموع قلائل. كسـرنا هؤلاء القـدوات حينما جعلناهن نماذج سـلبية جامـدة واقتربنا منهن فقط ضمن دائرة المأساة والمواساة لا أكثر.

ظلمنا هؤلاء العظيمات حينما فكرنا ان نقترب من الإمام ونسائه لا من موقع الثورة والتغيير والانتصار الحتمى الخالـد بل من موقع الانكسار والبكاء والندب الجاحد الذى يميت هؤلاء العظيمات فى دوائر الانهيار.

ظلمنـا هؤلاـء النساء حينما جعلنا الحواجز بيننا وبينهن واسـعة وبعيـدة فهن غائبات عن حياتنا إلا فى دائرة البكاء.. لقـد وسـعنا قبور هؤلاء العظيمات فهن فى وعينا كائنات ميتة ماتت بعد بكاء طويل وشكوى مستمرة!.

ظلمنا هؤلاء النساء اللائى عشن الحرص على الإسـلام والإمام والأمـة كلها.. ظلمناهن لما عشـنا همَّ أنفسـنا وذواتنا بعيـداً عن هموم الأمة الكبيرة وهموم الإسـلام الـذى يذبـح من منحره كـل يوم ربمـا مئـات من الحسـينيين والزينبيـات... ورغم ان نساءنا اليوم يعشن الكثير من المشـكلات والتصـدعات فى جـدران الهوية والهدف والطموح لكنهن لم يتعلمن آليات التعامل مع هذه التصدعات من خلال صور نساء الطفوف أنفسـهن!.. أو ليس هذا ظلماً كبيراً لهؤلاء النساء الخالدات؟.. والأدهى والأمّر اننا نستجدى من الاخريات ممن هن أقل شأناً وحظاً ودیناً ما نتصوره ناصراً لنا على مشكلاتنا. وهذا ظلم أكبر من سابقه.

ربمـا نبكى زينب عليهـا السـلام ونـذرف عليهـا دموعاً متتابعات لكننا نقتل فى كل يوم وليلـة الف زينب من خلال اسـتهانتنا بمبادئ ديننا، بمواقيت صـلاتنا، بحجابنا، بقيمنا، باهتمامنا بمعرفتنا.. نقتل زينب حينما نعيش اسـتغراق الصورة والمظهر لا اسـتغراق الـدين والعلاقـة مع الله.

نحن نقهر أنفسنا على الذوبان ضمن الصورة الجسد وننسى ان زينب عليها السلام كانت عظيمة حرة أبية طفرت على كل ابعاد العبودية التى تطوق نساءنـا المعاصـرات. لـم تكن واحـدة من نسـاء الطفوف تعيش القهر والجبر على الحضور إلى كربلاـء أو على القيام بأدوارها الرسالية العظيمة وعشنا نحن قهر الموضة وقهر العادات والأعراف فبقينا نرزح تحت قيود العبودية دهراً طويلاً.

وإذ اننا نعيش كل هذا الظلم الكبير لهؤلاء النساء، فكيف نسـتطيع ان نضـعهن فى سـلم الاقتداء الصاعد عبر الفكر والمنهج وليس فى سلم الاقتـداء الجامـد عبر العواطف الميتة؟.. وإذا ما حررنا هؤلاء النساء فى وعينا وذاكرتنا وأخرجناهنّ من سـجن ظُلمنا إياهن فحينئذ نسـتطيع تحفيز القدوة فى سلوكنا وسلوك الآخرين.

لنتعلم أولاً ان نبكى على الحسـين وأنصاره ونسائه لا من أجل الثواب والأجر – وان كان هـذا مطلوباً بحد ذاته وتشـجع عليه الرسالة – لكن من باب ابراز الحاجة والعوز إلى محطات الانطلاق كى ننطلق كما انطلقوا.

الفصل الرابع: سيدة الطف الأولى

اشارة

السيدة زينب بنت على بن أبى طالب عليهم السلام

اشارة

فى العـام الخـامس للهجرة، تطـايرت نسائم الفرح فى أرجاء البيت الفاطمى وقـد غمره السـرور وفاضت به البهجـة بميلاد الحفيـدة الأولى للرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وها هى الزهراء عليها السلام قد تهللت أساريرها واشرق وجهها وهى تحتضن المولودة الصغيرة متأملة البراءة العذبة المرسومة على محياها الصـغير.. وانتشـر خبر ولادة الحفيدة الأولى فى أرجاء المدينة كما ينتشـر عطر المسک الزكى وتسـلق جدران مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لينتشر بين جنباته وأركانه وها هو على بن أبى طالب عليه السلام وصى رسول الله وأخوه وابن عمه يتلقى البشـرى فتهفو نفسه لرؤية المولودة المباركة فيترک المسـجد ويحث الخطى إلى البيت يتبعه ولداه الحسنان عليهما السلام سبطا هذه الأمة وريحانتا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة ليريا اختهما الصغيرة وقدكان الحسين عليه السلام يكبرها بسنتين.

حمل على عليه السـلام الطفلة بين يديه.. تأمل وجهها الباسم وطبع على جبينها قبلة وقرأ الأذان والإقامة فى اذنيها. وتسابقت النساء تزف له التهانى بالزهرة المتفتحـة فى البيت المحمـدى سـليلة الزهراء وخديجـة الكبرى عليهما السـلام.. وتساءل الجميع عن اسم هـذه المولودة؟ فسـكت على والتفتت إليه الزهراء عليها السـلام وقالت سمّ هذه المولودة فقال: ما كنت لأسـبق رسول الله وكان فى سفر له. ولما جاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن اسمها فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما كنت لاسبق ربى تعالى، فهبط

جبرئيل يقرأ على النبى صلى الله عليه وآله وسلم السلام من الله الجليل وقال له سمّ هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم. وزينب تعنى زين أبيها وكانت حقاً زين ابيها وأمها وزين رسالتها ودينها.

مناقبها الفاضلة

وفى هذا البيت الذى استضاء بأنوار الرسالة المحمدية وثبتت أركانه على دعائم التوحيد شبّت زينب وترعرعت لتكون تربيتها على يد سيدة نساء العالمين فاطمة بنت سيدة نساء العالمين خديجة عليها السلام وعلى يد سيد الأوصياء وقائد الغر المحجلين والسابق إلى الإسلام على بن أبى طالب عليه السلام، وهكذا رضعت زينب من ثدى الإيمان وتغذت من مائدة الرسالة؛ لترتقى السلم الإيمانى لتكون حقاً عقيلة بن هاشم - والعقيلة هى المرأة الكريمة فى قومها - فالاستعداد الفطرى للكمال موجود عند الجميع ويمكن الوصول إليه عن طريق التربية الصالحة والتوجيه والجهد والاكتساب، وإذا كان عدد قليل من النساء قد وصلن إلى مرتبة التكامل الإنسانى على مر التاريخ فليس هذا بسبب القضاء أو القدر أو الضعف البدنى بل بسبب الإهمال لعناصر القوة والوعى فى تربية الشخصية (فالمرأة بحاجة إلى تنمية شخصيتها وبنائها على أساس تقوية الطاقة العقلية لديها بالتجربة الحية والمعرفة الواسعة ولا بد من وجود النمو العقلى والعملى والحركى لها).

ولقد توفرت لزينب عليها السلام كل أسباب التربية الناجحة، ولهذا فنحن لا نجد فضيلة إلا وزينب عليها السلام فى قمتها فمن زهدها انها كانت - على ما رواه الإمام السجاد عليه السلام - انها ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً.

وكانت عليها السلام تقضى عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن وما تركت صلاة الليل حتى فى ليلة الحادى عشر من محرم رغم شدتها.

وعن عماد المحدثين: ان زينب عليها السلام كانت تروى عن امها وأبيها

وأخويها وقد روى عنها ابن عباس وعلى بن الحسين وعبد الله بن جعفر.

وكانت عليها السلام من أكثر نساء أهل البيت جرأة وبلاغة وفصاحة وهذا واضح من خطبها فى الكوفة والشام.

وعن الصدوق محمد بن بابويه (طاب ثراه):

كانت زينب عليها السلام لها نيابة خاصة عن الحسين عليه السلام والناس يرجعون إليها فى الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين من مرضه.

وفوق كل هذا فقد كانت على قدر كبير من العلم والمعرفة وكانت لها مجالس لتعليم النساء القرآن الكريم فى الكوفة ما بين عامى 35 - 40 هـ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان لها دوراً كبيراً فى عملية التوعية النسائية، وهذه العملية المهمة والخطيرة تحتاج إلى المرأة المثقفة الواعية العالمة بشؤون دينها والأمة نفسها تحتاج إلى هذه العملية لتحريك العنصر النسوى والقضاء على الجهل بين صفوفهن.. وخلاصة ما قلناه ان زينب الحوراء عليها السلام كانت صنوان أمها فى طيب الخلق وحسن السجايا وكانت تشبه اباها فى قوة القلب فى الشدائد والثبات عند النائبات والصبر على الخطوب القاسيات.

زواجها المبارك

ولعظم مناقبها وكرم أخلاقها العالية فقد خطبها الكثيرون فردّهم الإمام عليه السلام بحثاً عن الكفوء الذى يليق بهذه المرأة العظيمة، ولم يكن هناك اجدر من ابن اخيه عبد الله بن جعفر بن ابى طالب الذى كان أول مولود يولد فى الإسلام فى أرض الحبشة التى هاجر إليها أبوه جعفر وامه اسماء بنت عميس مع جمع من المسلمين. وكان جعفر من احب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عاد من الحبشة إبان فتح خيبر فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقبله وهو يقول ما ادرى بأيهم انا اشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.

زينب... المرأة الصابرة

ابتداء من عصر عاشوراء تنتقل المهام الاساسية للسيدة زينب عليها السلام .. فقد اصبحت هى مديرة القافلة ذلک ان الرجل الوحيد الذى بقى من أهل بيت الحسين عليه السلام فى كربلاء كان الإمام زين العابدين، إذ كان فى حالة صحية متردية.(1)

ان المقام الشامخ لزينب عليها السلام انما تبلور فى الواقع من عملها التبليغى.

ولقد استطاعت زينب عليها السلام التغلب على عواطفها فى اللحظات الحرجة وكان من الممكن ان تنهار لعظم الفاجعة ولكنها صمدت وسيطرت على مشاعرها واحاسيسها لتعطى صورة المرأة الصابرة الثابتة التى تفوق صلابتها الجبال الراسيات.

زينب عليها السلام خطبت فى الناس وكانت فى منتهى الحياء والعفة والعظمة وبذلک تكون قد عجنت فى شخصيتها حياء المرأة وشجاعة على.(2) يقول الراوى ولم ارَ والله خَفِرة قط أنطلق منها.(3)

أظهرت السيدة زينب عليها السلام درجة عالية من التسامى من خلال التحول إلى الأهداف العليا التى انطلق من أجلها الإمام عليه السلام فى نهضته ويبدو ذلک من مواقف عدة فقد مر بنا فى أدوار نساء الطفوف فى دور المتابعة والحماية والذى يكاد يكون خاصاً بالسيدة عليها السلام نرى سؤالها ومتابعتها لشؤون الإمام والاخوة ولكن لا ينقل المؤرخون أى شىء عن سؤالها عن أولادها الذين استشهدوا فى الواقعة.. لقد كان الإمام كل همها وكل حياتها ولكن ليس بمعنى الأخ فحسب بل كان بمعنى الولى الشرعى والإمام المعصوم والقائد الأول.

1- مطهرى، الملحمة الحسينية، ص 253.

2- مطهرى، الملحمة الحسينية، ص 256.

3- المقرم، مقتل الحسين.

وهـذه مرتبـة عاليـة تشـير إلى عِظم نكران الـذات وتبلور المهم نحو الاهم والـذوبان فى الهم الأكبر ولعل نكرانها لذاتها واهتمامها بشؤون الرسالة والإسلام يبدو واضحاً منذ البداية حيث اصرت على ان تكون معه، وهى تعلم مشقة السفر وغياب الراحة والأمان فيه. لكنها انطلقت من موقع حاجة الرسالة إلى وجودها واهمية دورها فى كربلاء.

كما ابدت السـيدة مهارة عالية فى قيادة إدارة شؤون القافلة الحسـينية وتولّيها بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حيث كان الإمام زين العابدين عليه السلام مريضاً آنذاک فما هو معروف ان الأزمات والخطوب تُعَدَّ المرآة العاكسة لشخصية الفرد، فالشخصية لا تبدو ملامحها وخصوصـياتها وقـدراتها إلاـ فى الظروف الصـعبة وفى المحكات الحرجـة وهـذا ما يقوله الشـيخ مطهرى رحمه الله: لم تكن زينب عليها السلام شخصاً فى التاريخ ولكنها انطلقت لدعم الحق الذى عرفت أهله لتكون كلمة الله هى العليا.

فالتاريخ انما يدون حركة الذين يتركون بصـماتهم عليه وواحدة من البصمات الموجودة هو دور القادة والمدراء فى الحركة العامة. ونحن إذا تتبعنا التاريـخ نفسه فماذا يحـدثنا عن خلافـة مروان الحمار غير الحماقـة والذل، وماذا يزيد على خلافة سـليمان بن عبد الملک غير الشـره والظلم اللا محدود. ويمكن ان نتابع الشأن الادارى والقيادى للسيدة زينب عليها السلام من خلال عدة أمور:

ففى الأوقات الحرجة واللحظات العصـيبة، عادة ما يبحث الناس عمن يلتفون حوله ومن يعينهم فى ذلک الظرف العسير، وبعد واقعة الطف لم يبق من الرجال أحـد إلا الإمام السـجاد عليه السـلام والذى كان هو الآخر مريضاً وبحاجة إلى رعاية وعناية.. كانت هناک مجموعة من الطيور الجريحة والمنكسـرة فى الركب الحسـينى وهؤلاء كلهم التفوا حول السيدة زينب عليها السلام لأمور منها وصية الإمام الحسين عليه السلام للسيدة وتكليفها بهذا الأمر.

لقد كانت لزينب عليها السلام مسؤوليتان: الأولى ان تعطى النموذج الأعلى للمرأة المسلمة فى ان تكون اكبر من المصيبة. والأخرى ان تعطى القوة والصلابة لمن حولها.

وقد كانوا كلهم قبل استشهاد الإمام وبعده متمسكين بالسيدة، فهذه رباب تسلم رضيعها الظامى إلى السيدة زينب لتوصله بدورها إلى الإمام الحسين عليه السلام، وهذه فاطمة بنت الحسين عليه السلام تلوذ بعمتها فى مجلس يزيد، وتلك رقية ترافقها السيدة حتى وفاتها ودفنها فى الشام. وقد سمعنا ولاحظنا مراراً ان كثيراً من الذين يدّعون وجود قدرات قيادية وإدارية عليا لديهم يتعثرون أمام المشكلات والأزمات التى تعترض طريقهم وكثيراً ما ينهارون أو يبحثون عن ملجأ يفرون اليه. وبعضهم يلجأ للانتحار لأنه غير قادر على التكيف مع المشكلات أو المصاعب التى تعترض سبيلهم، فى حين ان الظروف التى مرت على آل البيت عرّفت بقدرات السيدة وابانتها إلى العالم الإنسانى كله، ففى الظروف الصعبة يلتف الأفراد حول نموذج يتعلقون به وهذا يتطلب الإيمان بقدرة هذا الشخص فلا بد وان يكونوا قد عرفوا له مواهب وملكات واخلاقيات عليا. ولابد ان يعرفوا انه يمتلك مقداراً من القوة التى يعبر فيها عن رأيه بصراحة دون خوف أو وجل. وان يتخذ مواقف حاسمة فى المنعطفات الساخنة (فاطمة بنت الحسين مع الشامى) (وموقفها من الصدقات)، وان لا يبدى ضعفا اوانهياراً أمام المجموعة كى لا ينهار أعضاؤها الباقون، وهذا هو أحد الأسباب التى تحدثنا عن مواقع القوة لدى السيدة فى شخصها وشخصيتها وفى قدرتها على اتخاذ الموقف الحازم فى الظرف الصعب. وهنا سنمر على صفة أخرى لدى السيدة ومواهبها الإدارية والقيادية.. فالإدارى الناجح والقائد الناجح هو الذى يتمتع بمعنويات عالية ويقف على أرضية صلبة من القوة النفسية الصامدة. وهو - أى القائد والإدارى - لابد وان يطلع على نفسية موظفيه فيعرف بحساباته وأرقامه كم هى معنويات من هم تحت يديه ليهب لهؤلاء

الضـعاف فى المعنويات وذوى الدرجـة الـدنيا من القوة الذاتية الباطنية فيهبهم ما يشد ازرهم ويقوى شـكيمتهم ويثبتهم فى موقع الانهيار، ولهذا لـم نسمع عن أى موقف ضعيف أو مهزوز أو لا يناسب الساحة المقدسة لآل البيت عليهم السلام.

لقد مرت السـيدة على مصـرع الحسـين عليه السلام ووضعت يدها تحت منحره لتقول نحن آل البيت قدمنا قرباناً لنصرة دين الله. ولـم تهن ولـم تضـعف أمام الجند بل اظهرت شـجاعتها وصلابتها واخفت دموعها مع نفسها حتى لا يراها عدو أو شامت وبهذا عرفت نساء القافلة ما هو المطلوب منهن. فهنا فى قضـية الحسـين ليس هناك وقت لاظهار العجز وافراغ الحزن الاجوف، وبهذا قادت السيدة زينب عليها السلام القضـية الحسـينية – تحت رعايـة المعصوم – فى مساراتهـا الحادة والصـعبة لكنها عبرتها بقوتها وقوة إيمانها بالله تعالى وكانت تهتم بتقوية المعنويات لدى ابناء القافلة، ولأن النساء عشن اجواءً قيمية سابقة فى بيوتهن الأولى فقد كان للعامل النفسـى والمعنوى أثرٌ فى صـياغة القيم التى حملها الحسـين عليه السـلام فى ثورته سواء القيم الأساسـية فى العز والكرامة والتضحية والصبر والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو القيم الأساسية الأخرى كقيم صيانة المرأة وحفظ ماء الوجه برد الصدقات وإلى غير ذلك.(1)

بل ان معنوياتها العاليـة وروحيتها السامية لتحكى عن عظيم صبرها.. لله درک يا سـيدتى.. هى التى مرت على أجسام الضـحايا وهى التى قدمت القربان وهى التى كانت تأنس بصوت الإمام الحسين خارج الخيمة يقاتل حتى إذا انقطع الصوت وجاءته لتراه كومة من سهام!!.. هى تواسى الإمام السجاد عليه السلام لما رأى مصرع أبيه. ولا

1- زينب ادخلت السكينة فى قلوب الأطفال وهدأت روعهم خاصة بعد هجوم الخيول على المخيم المحترق وفزع النساء وحيرتهن فى أى اتجاه يتحركن تأتى زينب المكلوم قلبها لتهـدئ هـذا الجمع الغفير ولا يمكن ان ينجـح أحد فى هذا الدور ما لـم يكن هو مظلّلاً بالسـكينة. (مؤسسة البلاغ, نساء هن المثل الاعلى).

أقول ان الإمـام – والعياذ بالله – أقل صبر وكيف ذلک وهو شـيخ الصابرين ولكنى أقول بقـدرة هـذه المرأة على ضـبط عواطفها – فـدموعها داخلية – والسـماح بالقدر المناسب فى الوقت المناسب لمشاعرها ان تظهر على السطح. فهى تواسى الإمام الجديد الذى آمنت بطاعتها له وتصّبره على مرأى الخطب العسـير وتـذكره بالعهد القديم .. كانت السـيدة تواسـى الإمام وتواسـى الآخرين لكن من الذى واساها وصبرّها وقدم لها العزاء؟!

وتشاطرت هى والحسين بدع_وة

حت_م القض_اء عليهما ان يندب_ا

هذا بمشتب_ک النص_ول وه_ذه

فى حيث معترک المكاره فى السّب_ا(1)

وبهـذا فالمرأة القويـة الشخصـية القويـة الروح والمبـدأ القويـة فى ضـبط العواطف والمشاعر لهى نعم العون للرجل فى ساعة الخطر وفى مساحات الشـدة، فهـذا رسول الله يجـد فى خديجـة نعم المواسـى ونعم العون، وإذ قـدمت السـيدة خديجة للمسـلمين مالها فهى قدمت للرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم تصبرها وتصبيرها، قدمت المشاركة النفسـية فى مواجهة الضغوط وهو احوج ما يحتاج إليه كل مصلح وكل نبى وكل قائد.. وهو ما يعبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقول:

آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذّبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء».(2)

وكذلک كانت السـيدة الزهراء لأمير المؤمنين عليهما السلام.. لقد آمن كلاهما بالقضية الحاسمة آنذاک قضية الولاية وقضية الرسالة وقضية فـدک.. كانت الزهراء عليها السـلام هى التى تـدافع عن حق زوجها – وهو حق الرسالة نفسه – وهى التى تعلن اسـتنكارها للظلم والحيف والجور لم يكن مع على رجال كثيرون فى صراعه الأول لكن

1- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص 307.

2- الصقلانى \الاصابة فى تمييز الصحابة.

الزهراء كانت إلى جواره حتى إذا ما رحلت وقف عند القبر باكياً.

وقد حاصرنا مفهوم القوة فى الكتف العريض واليد الغليظة وفى صولة السيوف. ولكن القوة الذاتية لدى الإنسان كقوة زينب ناءت عن مضاهاتها آلاف السيوف..

ويرى البعض ان هناك تخوّفاً لدى الرجال من ان تكون المرأة قوية فى شخصيتها ويتصورون القوة فى الجرأة أو الوقاحة وكلاهما مرفوض إنما القوة تبدو فى صيانة المواقف وفى التحكم بالمشاعر وفى دعم الأساسيات العامة التى تريدها الأمة.. وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ الخوف من قوة شخصية المرأة؟ وقد رأينا بعضهم يسعى لابقاء المرأة بين ظلام الجهل واساطير الخرافة ويتصور انه بهذه الوسيلة سيبقى على المرأة فى قبضة يده – يا للعجب – كأننا نعيش فى غابة لابد من قوى يأكل الضعيف ولا بد للضعيف ان يعيش أخرسَ أبلهَ أعمى كى يبقى فى الغابة!.

ان المرأة اذا تكاملت اقتربت فى سماتها من الرجل المتكامل وهذا ما بان واضحاً عند السيدة زينب عليها السلام والتى كانت شبيهة لاخيها الإمام الحسين عليه السلام فى رفضه للضيم والذل وعدم رضوخه ليزيد، فزينب قالت له (مثلى لا يبايع مثلك) ولكن بلغة أخرى، وهى إذ لم تعطهم اعطاء الذليل، فهى أيضاً بقيت الحافظة للقيم التى نادى بها الإمام الحسين ونشرها.

وزينب مثلت المعارضة للحكم الأموى وهى مع نساء الطفوف كنَّ نموذجاً لنساء محجبات مؤمنات عابدات معارضات للحكم الأموى.

والسيدة زينب عليها السلام التى تصدّت لكل هذه الاحمال والأثقال فى وقت الشدة وتحملت المسؤوليات الجسام، بل تعددت مسؤولياتها ما بين الحفاظ على العيال والحفاظ على القيم والحفاظ على القضية والحفاظ على المواقف العامة وما بين التسامى والانعتاق من أسر الضغوطات والطيران فى أجواء السماء الإلهية.. لم تنس ولم تترك صلاة

الليل حتى ليلة الحادى عشر وهى بهذا القلب الكسير والهم الثقيل وعيون الأعداء ترصد زينب وترصد صلاتها، فالصلاة معراج كل مؤمن لكنها صلاة الاستنكار والإدانة لما قام به الأمويون.. ومهما زاد بطشهم فعلاقة السيدة مع الله مازالت فى القمة.

وقد رأيت بعض النساء أمام أدنى مشكلة فى البيت مع الزوج اوالأولاد تهمل صلاتها وتقلص حجم ما تستطيع تقليصه وتقدم لنفسها عذراً فى ذلک بانها مثقلة الهم، وليست المرأة وحدها فى هذا الجانب بل الرجل أيضاً وبخاصة الرجل المعاصر الذى تحيطه المغريات وتحاول ان تنتزعه (المعاصَرة) من دينه وقيمه..

وبسبب مجالس العزاء التى اقامتها فى المدينة والتعريف بفكر الثورة الحسينية أمر يزيد باخراجها من المدينة كى يصبح قبرها فيما بعد مزاراً وموئلاً..

لقد كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام برجالها ونسائها ومسيرها حركة جلية نحو الله لم تكن هناک دنيا أو اهواء او استرقاق دنيوى، بل كانت هناک رغبة وتسابق نحو تحصيل رضا الله وجنات الخلد، ولئن استشهد الإمام عليه السلام وصحبه بتلک الطريقة المؤلمة فان مواقفها كانت سجل انتصارات وبطولات وملاحم تحكى عن عظمة امرأة خلقت من الماء والطين ليس اكثر لكنه الايمان الذى جعلها اقرب الى الله.. ومن مظاهر الإيمان هو الصلاة والعلاقة مع الله (ما رأيت إلا جميلاً.. اللهم تقبل هذا القربان) وهذا لا يكون إلا من نفس راضية بقضاء الله وقدره مطمئنة إلى وعده.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

ان عمتى زينب كانت تؤدى صلاتها من قيام الفرائض والنوافل وعند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام وفى بعض المنازل كانت تصلى فى جلوس فسألتها عن سبب ذلک فقالت أصلى من جلوسى لشدة الجوع لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال.(1)

1- جعفر النقدى، زينب الكبرى.

وقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام:

واما عمتى زينب فانها لم تزل قائمة فى تلك الليلة (أى العاشر من محرم) فى محرابها تستغيث إلى ربها فما سكنت لنا عين ولا هدأت لنا رنة(1).

وقالت أيضاً:

ان عمتى مع تلك المصائب والمحن النازلة بها فى طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية.

السيدة زينب عليها السلام لم تكن امرأة قائدة ومديرة ومواسية وموالية بل كانت أيضاً نموذجاً سامياً للمرأة الربّانية ..ولقد ضرب الله مريم عليها السلام مثلاً فى تهجدها وعبادتها لله تعالى وكانت عليها السلام تصلى فى أوقات الرخاء واليسر، فكيف بالسيدة زينب قد واظبت على عبادتها فى أوقات الشدة والأعداء يحاصرونها ويحرمونها من الماء وهم يشتمون آل البيت ويستهينون بكل المقدسات والقيم.

وقد بانت علاقتها القوية مع الله من خلال عبادتها وخطبها وكلماتها مع الجميع، بانت وكأنها رسالة إلهية تتحرك بين أبناء البشر ومع كل الظروف الصعبة يأتى الإيمان والعلاقة الطيبة مع الله ليكون المعين على الثبات على العقيدة وعلى تحمل القول الثقيل والقدرة فى التحكم فى المشاعر والأهواء والاستمرار فى طريق ذات الشوكة دون ارتخاء أو تنازل.. ولو سألنا أنفسنا ما هى أزمة الإنسان المعاصر – الرجل والمرأة – لوجدنا ان أزماته كلها الروحية والاجتماعية والنفسية تعود إلى أزمته الأصلية فى غياب العلاقة مع الله وعدم وجود الذخيرة الروحية الناتجة عن ذلك والقادرة على فتح أبواب الأزمات والشبهات أمامه والتى ترسم له هدفيته الواضحة فى الحياة.

والسيدة زينب عليها السلام رفضت الاستغلال السيّئ للفاجعة فرفضت ان

1- الشريف الجواهرى، مثير الأحزان، ص 560.

تـدخل عليهن ای امرأة كانت واشترطت ان لا يسـمح بالـدخول عليهن الاّ لامرأة مسبيـة أو أم ولـد لكن هذا لم ينفِ الحضور الاجتماعی المتين الذی رسم آثاره فی كل موقع نزلت فيه.

ومما ينقله أصـحاب المقاتل ان السيدة زينب لم تستقبل أياً من أصحاب الواجهات فصاحت (زينب) بالناس: لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أم ولد فانهن سبين كما سبينا.(1)

ومن المعروف ان الطـامعين والطـامحين إلى تحصـيل المنـاصب والمقامات العليا يحاولون تقويـة وجودهم من خلال اسـتغلالهم لهـذه المواقف، ولهذا كثيراً ما نرى الإعلام يعرض لنا الرؤساء (الجلادين) كيف انهم يساعدون الفقراء أو يزورون المرضـى أو يزورون الشخصـية العلمائية أو يقدمون لها دعماً أياً كان.. السـيدة زينب عليها السلام قطعت السبيل امام هذا النمط من الاستغلال فرفضت دخول أی امرأة ما لم تكن امرأة عاشت مأساتهم ومصائبهم.

ورغم كل المصائب والمصاعب كانت السـيدة عليها السلام شخصية متوازنة لم يطح بها الاضطراب النفسی الذی يئن منه الرجال والنساء؛ لأن الإنسان المؤمن يفرغ همومه من خلال إيمانه بانتصار العدالة الإلهية، ومن خلال يقينه بعدم ضياع جهوده أو أعماله فی الحياة الدنيا.

كانت السـيدة من أولياء الله الذين يعيشون همّ الآخرين وكيفية انقاذهم من الشـقاء، ولأجل ذلک هاجرت مع أخيها وتحملت كل شـیء.. وعاشت أهدافاً واضحة فی الثورة ولـم تعش الضبابية التی تعيشها نساؤنا ورجالنا فی معرفة ما هو المطلوب وما هو الهدف وكيف الطريق إلى الهدف.

1- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص 326.

لقد كانت المحن التى مرت بها من شـهادة أمها وهى صـغيرة واختفاء قبرها ومتابعة شؤون والدها المقصى عن الساحة كلها لا عن الخلافة وحدها ورؤية مصائب أبيها واخيها الحسن ومن بعدُ الإمام الحسـين عليه السلام. كل ذلک اكسبها القدرة على التحمل وبهذا تحول العسر الذى عاشـته إلى طريق نحو تكاملها. ورغم ان التاريخ لا يتحدث كثيراً عن السيدة وعن عموم آل البيت منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم حتى تولى أمير المؤمنين عليه السـلام خلافة الدولة الإسـلامية الكبرى عام 35هـ. فلقد كان للسـيدة زينب عليها السـلام مجالسها الثقافية فى الكوفة إبّان خلافة أبيها عليه السـلام فى المدة ما بين 35 - 40 هـ وبذلک أسهمت كثيراً فى نشر الوعى الثقافى بين النساء خاصة إذ إنّ الكوفـة كانت بعيـدة عن مركز الوحى ومنطلق الإسـلام الأول، وقـد كان لهـذه المجالس أثر كبير فى وعى النساء الكوفيات وفى جعل الكوفة بالذات بلداً متميزاً بولائه لأهل البيت عليهم السلام ومتميزاً بنسائه فى الطفوف وقبلها - راجع سير الوافدات على معاوية -(1).

بهذا تبدو السـيدة زينب عليها السـلام نموذجاً ثقافياً عالياً اشار إليه الإمام زين العابدين عليه السـلام بقوله: فأنت عالمة غير معلَّمة فهمة غير مفهَّمة.(2)

وهـذا ما اثبتته هى فى مجالسـها وخطبها وكلامها وسـلوكها وهى أيضاً نموذج لصورة متكاملـة لما تحتاج إليه المرأة المسـلمة من ثقافـة.. وبخاصةٍ فى عصرنا عصر العولمة وعصر القرية الكونية وعصر تحدى الثقافات وعصر مسخ الثقافات.

فلهذا زينب عليها السلام عالمة، عظيمة الصبر قوية فى الله قمة سامية فى إيمانها وشجاعة نادرة أمام أعدائها أين كل هذا من الصورة السلبية التى نحملها نحن فى وعينا

1- محمد الصدر، أخلاق أهل البيت.

2- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص313.

عن السيدة زينب بانها – والعياذ بالله – المنهارة، الشاكية، القليلة الصبر.

تقول عنهـا بنت الشـاطىء: وكانت «زينب» هى التى جعلت من مصـرع «الحسـين» مأساة خالـدة، لا نعرف ما هو أبعـد منها أثراً فى تطور العقيدة عن الشيعة.

وكانت هى التى صـيرت من ليلـة العاشـر من المحرم، مأتماً سـنوياً للأحزان والآلام، يحـج فيه أحفاد «التوابين» إلى المشـهد المقدس فى «كربلاء»، حيث يعيدون تمثيل المأساة، وكانت هى التى سلطت عليها – من أنفسهم – نكالاً أليماً لا ينتهى بالموت، وإنما هى نار «الندم» الجامحة، يصلاها منهم الجيل بعد الجيل.(1)

بهذا يمكن القول: ان لنساء الطفوف أنواعاً متنوعة من الذكاءات وقد نحصر جلها فى السيدة زينب عليها السلام بوصفها سيدة الطف الأولى، فقد كان لها ذكاء لغوى ولفظى من خلال الإفادة من أكثر الكلمات تأثيراً وآثاراً على المستمع كما هو ملاحظ فى خطبتها. كما ان هذا النوع من الذكاء قد اشار إلى موقعية الكلمات فى التأثير المختلف بين الموالين المتخاذلين وبين الأعداء الحاقدين فلكلّ كلماته التى تؤثر عليه.

كما كشـفت السيدة عن نمط عالٍ من الذكاء العاطفى والذى يمثل 85% من الاداء المرتفع للأفراد القياديى، والـذى يتمثل فى قدرتها على التحكم فى عواطفها وفى توجيه عواطف الاخريات والآخرين (كما فى كلامها مع الإمام زين العابـدين عليه السـلام). وفى توجيه العواطف لتكون سـلاحاً قوياً بارزاً وخالـداً أمام الأعـداء. وهـذا الـذكاء هو الذى صان هؤلاء من الوقوع اسـرى العواطف السـلبية كاليأس والغضـب والخوف وتحرك المنظومة كلها باتجاه التفاؤل (كد كيدك...) وباتجاه تحقيق الأهداف العليا للثورة الحسينية (انما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدى أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر). وأيضاً كشفت عن درجة عليا فى مقاييس الذكاء الاجتماعى والذى

1- بنت الشاطى، دكتورة عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب، ص 167.

عرفه (ثوراندیک) بانه القدرة علی فهم الرجال والنساء والبنین والبنات وقیادتهم لیعملوا بحکمة فی العلاقات الإنسانیة. وعرفه آخرون بانه القدرة علی التعامل مع الناس، والقدرة علی اصدار الأحکام فی المواقف الاجتماعیة والقدرة علی التعرف علی حالة المتکلم النفسیة إلی غیر ذلک.. ولم نشاهد فی سلوکیات نساء الطفوف أی خلل فی سیاق التعامل الاجتماعی سواء معهم فیما بینهم کمنظومة آل البیت علیهم السلام أو مع الآخرین من المناصرین والموازرین الذین نصروا الإمام الحسین علیه السلام بأصنافهم، لا نجد هناک سلوکاً خاطئاً وموقفاً یتم الاعتذار منه هیهات لقد کانت السلوکیات کلها فی المضامن العلیا.

لقد کان حسن التصرف – بالتعبیر الحدیث – أحد أهم مظاهر السلوک لدی هؤلاء النساء الخالدات.

مضافاً إلی الذکاء الذاتی الفردی والذی یمیز صاحبه بقوة ارادة وبقدرته علی تحفیز ذاته بذاته دون وجود أشخاص آخرین (فهو سند لغیره) ویعیش أهدافه العلیا ویسعی من أجلها کما انه یمتلک حلوله لمشکلاته – ومشکلات الآخرین – بعیداً عن الحیل النفسیة وحالات الانکفاء علی الذات والطفولة.

وهناک الذکاء الحرکی الذی یهتم باختیار المکان ونمط الحرکة فالسیدة زینب علیها السلام تقف علی التل الزینبی وقفة شموخ سائلة عن مصیر الإمام، والتاریخ یسجل هذه اللحظات الصعبة بل ویبقی صورة التل الزینبی انموذجاً للتواصل بین السیدة وأخیها، وأیضاً نتقصی حرکتها فی الشام فی تتبع الإمام زین العابدین علیه السلام لما خرج من الخربة.

وقد بقی لزینب علیها السلام رمزها فی ارض الطفوف فالتل الزینبی کان یشرف علی مصارع القتلی فی حادثة الطف. إذ کانت السیدة زینب الکبری (سلام الله علیها)

تتفقد حال اخيها الحسين (عليه السلام). هذا التل يشير إلى رحلتها المقدسة إلى كربلاء ويعرّف بدورها وبطولاتها ويجعلنا بحاجة إلى اعادة النظر فى أنفسنا لنرى ما هى المسافة بيننا وبينهن واين هو موقفنا أمام المشكلات والخطوب العاصفة بالاسلام.

ولقد صدق مطهرى حينما قال: من بداية الخليقة الى الآن لم تأت اِمرأة من نساء الاولياء والانبياء بصبر وحلم زينب.

تأملات فى خطاب السيدة زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد

اشارة

تأملات فى خطاب السيدة زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد (1)

إنّ خطاب السيدة زينب عليها السلام كان يومئذٍ يتدفق كالشلال الهادر الذى ينحدر من قمة الجبل، يجرف معه ما يواجهه من الصخور، والأحجار، التى يقتلعها عن مستقرّها لا يصدّه شىء، ويرغمك أن تفتح له سمعك وقلبك.. كذلك كان تأثير هذا الكلام يومئذٍ على ذلك الجمهور الغفير الذى جاء متفرجاً على مأساة أهل البيت عليهم السلام، وليس متعاطفاً، كما يتفرج الناس على أى مشهد يثير فضولهم... فأرغمهم الخطاب على ان يعدلوا عن هذا الموقف إلى التعاطف والتفاعل، وأبكاهم فاجهشوا بالبكاء، وارتفع نحيبهم وصراخهم، وهزّهم من الأعماق. لقد أحبطت السيدة زينب عليها السلام بكلماتها كل الجهد الذى بذله الطاغية فى إدارة هذا المشهد الإعلامى وإعداده. إنّها كانت حمماً، وليست كلمات، قذفتها ابنة على والزهراء على كل ما شيّده طاغية بنى أمية فى الشام وعاملهم فى الكوفة فهدمت كلما صنعوا من مجد كاذب وغرور وكبرياء وسلطان.

ولست أدرى ماذا أودع الله تعالى فى خطابها واشاراتها، من التأثير والنفوذ والقوة يومئذٍ، عندما أشارت إلى ذلك الجمهور المتفرّج اللاغط: أن اسكتوا، فسكنت الأنفاس والأجراس، كما تقول الرواية.

1- نص منقول بتصرف من كتاب الخطاب الحسينى للشيخ الآصفى.

وليس لنا أن نتوقف بالتأمّل فى كلمات ابنة الزهراء ووارثة علم على وشجاعته وبلاغته، ومن الخير أن نمضى مع هذا السيل الجارف المتدفق من الخطاب الزينبى الهادر، ولا نشوّش على القارئ هذه الفرصة، حتى يرتوى من الخطاب كما يحب ويشتهى.

ولكن أجد من النافع أن أِشرح بعض مقاطع هذا الخطاب ليعرف القارئ خلفياته فى القرآن والحديث والتاريخ. وإليک طائفة من هذه النقاط، معتذراً إلى سيدة نساء كربلاء وابنة سيدة نساء العالمين.

1 - الشجب والتأنيب والتقريع

كان أهل البيت عليهم السلام عند دخولهم إلى الكوفة بعد مأساة كربلاء بتلک الحالة المزرية، يتحدثون مع أهل الكوفة بمرارة وألم، لا نعرف فى تاريخ أهل البيت عليهم السلام مثله قط بل إنهم اتبعوا فى ذلک المنهج ما أسست له بضعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام فهى أول من شجب وأنب وقرع المتخاذلين فضلاً عن التخصيص فى الخطاب لذوى النخب ومن عليهم المتّكأ: يكشفها ابتداءً قولها عليها السلام: إيه بنى قبلة. وكانوا يؤنّبون أهل الكوفة، ويشجبون تخاذلهم عن نصرة الحسين عليه السلام وغدرهم، وقعودهم عنه، بل خروجهم لقتال الحسين ومشاركتهم فى محاربته.. أشدّ ما يكون الشجب والتقريع بعدما دعوه وكاتبوه، ووعدوه أن ينصروه ويقفوا معه، وتواترت إليه عليه السلام كتبهم، فتقول بحرقة وبألم ما بعده ألم:

«يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل (الغدر)».

وعندما رأتهم يتصارخون بالبكاء قالت لهم:

«أتبكون فلا رقأت الدمعة».

وتقرّعهم بما جنت أيديهم من الجريمة التى تخر الجبال لها هداً، فتقول: «أتدرون، ويلكم أى كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فريتم، وأى دم له سفكتم، وأى

حرمة له انتهكتم، لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً».

ويتكرر هذا التأنيب والتقريع والشجب بكل ما تحمل الكلمة من حرقة وألم وأذى فى كلمات الإمام على بن الحسين عليهما السلام وفاطمة الصغرى والسيدة أم كلثوم فى أوّل لقاء التقوا فيه أهل الكوفة وجهاً لوجه.

وعندما ارتفع نحيبهم وأجهشوا بالبكاء ندماً وحسرة قالت لهم:

«أتبكون وتنتحبون، أى والله، فأبكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولسوف يطول بكاؤكم ويقل فرحكم وسروركم ولن تغسلوا عار تلك الجريمة، وأنى تغسل الدموع عار تلك الجريمة التى شاركوا ودخلوا فيها وتخاذلوا فيها عن الحسين عليه السلام ونصرته، واصطفّوا مع أعدائه، رَهَباً أو رَغباً.

سبحان الله! ما هذه بكلمات، ولكنها أفلاذ من كبد الحوراء، بنت فاطمة، تتقطّع حسرة وألماً فى هذه المأساة التى سجلها الله تعالى فى ذاكرة التاريخ ليعرف الأجيال التى تأتى فيما بعد، بأىّ ثمن حفظت هذه الثلة من أهل البيت عليهم السلام الإسلام فى تلك الحقبة الصعبة من التاريخ.

2 - عاقبة الخذلان

ولن يطول الأمر بالذين تركوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فى مقابلة عدوان بنى أمية وبطشهم، وانتهاكهم لحرمات الله، فلم يغضبوا لله، ولم يضربوا معه بسيف، وخذلوه وخانوه، وصفوا مع الطاغية، وتعاونوا معه على قتله، وهو يدعوهم إلى الله، والطاغية يدعوهم إلى النار...

فلن يطول بهم الامر حتى يذلهم الله على يد طغاة بنى أمية الذين آثروا نصرهم

والوقوف معهم على الانتصار للحسين عليه السلام، وهذه سنن الله عزّ وجل تلقيها الحوراء زينب عليها السلام فى ذلک المشهد العجيب، بعـد عودتها من مأساة كربلاء... فلن يطول بهم الزمان حتى يحكمهم الحجّاج بالسـيف والقهر والـذل والبطش، ويـذلهم ببطشه، ويسـفک دماءهم.

وكأنما ترى الحوراء فى ذلک اليوم بطش الحجّاج بهم وإذلاله لهم، بعد أن تخاذلوا عن نصرة أخيها بكربلاء وهو يدعوهم إلى الله ورسوله:

«فتعساً ونكساً، وبعداً لكم، وسحقاً، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليهم الذلة والمسكنة».

إنّ السـيوف التى غُمدت عن نصرة الحسين عليه السلام سُلّت بعد ذلک لقتال الحسين جنباً إلى جنب مع الطاغية يوم عاشوراء، ثم لم تطل بهم العافيـة التى طلبوها فى الـدنيا بجانب بنى أمية، حتى اسـتبدّ بهم طغاة بنى أمية وحكمهم الحجّاج فأكثر فيهم القتل وانتهک حرماتهم، وأراهم الرعب والخوف والذل والبطش.

وتتنبأ الحوراء زينب عليها السـلام بهـذه العاقبـة لأولئک الناس يومئذٍ، حينما تقول: «وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضـربت عليكم الذلة والمسكنة».

3 - التعميم فى الخطاب

يلفت النظر فى هذا الخطاب التقريعى ان السـيّدة زينب عليها السـلام تعمّم التقريع والتأنيب بقتلهم للحسـين عليه السلام على الحاضرين الذى استقبلوهم بظهر الكوفة، وعلى المشاركين فى قتال أخيها على نحو سواء فتقول:

«أتـدرون أى كبـد لرسول الله فريتم، وأى كريمـة له أبرزتم، وأى دم له سـفكتم، وأى حرمـة له انتهكتم. فلقـد ذهبتم بعارها وشـنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولم يكن فى ذلـک الجمهور نفر كثير ممن شارک فى قتل الحسـين عليه السـلام، فإن الجلاوزة جاءوا بأهل البيت عليهم السـلام والرؤوس الشـريفة قبـل عودة الجيش إلى الكوفـة، على أننا نسـتبعد أن يكون هؤلاء الـذين اسـتقبلوا أهل البيت عليهم السـلام بالبكاء والنحيب ممن تلطّخت أيديهم بدماء شهداء الطف.

فمن هذا الخطاب، كما هو ظاهر لا يخص الذين تولّوا قتل الحسـين وأصـحابه عليهم السـلام، وإنّما يشـمل جمهوراً كبيراً من أهل الكوفة، الذين تخاذلوا عن نصـرة الحسين عليه السلام، ورضوا بمقتله ولم يغضبوا لقتل الحسين عليه السلام، هؤلاء يشملهم هذا الخطاب، وملاک التعميم هو الرضا والسخط.

فإنّ الرضا والسـخط يجمعان الناس الـذين يجمعهم الرضا والسـخط، وان تباعـدت أزمانهم وبلادهم ويقرّبان الناس الـذين يفرّقهم الرضـا والسخط، وإن تقارب مكانهم وزمانهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيّها الناس إنّما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، قال سبحانه:

((فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ))(1).

فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة من الأرض الخوارة».(2)

وهؤلاء الناس رضوا بقتل الحسين عليه السلام، حتى الذين لم يشاركوا منهم فى قتال الحسين عليه السلام، وأصحابه يوم عاشوراء، وآية هذا الرضا انّهم لم يسخطوا ولم

1- سورة الشعراء، الآية 157.

2- نهج البلاغة، 2/207.

يغضبوا، ولم يثوروا بوجه الطاغية، ولم يتلاوموا فيما بينهم على تخاذلهم عن دعوة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نستثنى منهم إلا (التوّابين) الذين عادوا إلى رشدهم فيما بعد، وتلاوموا وتعاهدوا على الثأر لدم الحسين عليه السلام، إذ فاتهم الانتصار للحسين عليه السلام.

روى محمد بن الأرقط عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«تنزل الكوفة؟

قلت: نعم. قال:

فترون قتلة الحسين بين أظهركم،

قلت: جعلت فداك ما رأيت أحداً منهم. قال:

فإذن أنت لا ترى القاتل إلا من قتل أو وُلى القتل، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجل:

((قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))(1).

فأى رسول قتل الذى كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم ولم يكن بينه وبين عيسى عليه السلام رسول، وإنّما رضوا قتل أولئك فسمّوا قاتلين».(2)

ويشير الإمام عليه السلام فى هذه الرواية إلى الآيات (181 - 183) من سورة آل عمران:

((لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ

1- سورة آل عمران، الآية 183.

2- تفسير البرهان: 1/328 .

وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (182) الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).

فإنّ هؤلاء الذين ينسب الله تعالى إليهم القول بأن الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الأنبياء بغير حق... قد قالوا هذه الكلمة، كما يثبتها المفسرون فى شأن نزول هذه الآية، ولكن لم يقتلوا نبيّاً قط... وقد جاءت هذه النسبة إليهم بوضوح فى موضعين من هذه الآيات، فأى نبى قتل هؤلاء، وبينهم وبين أنبياء بنى إسرائيل عدّة قرون من الزمان... وإنّما الذى قتل الأنبياء من بين إسرائيل وأنكر نبوتهم وجحدهم سلفهم من اليهود.

والجواب: إنّ اليهود فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا راضين بجرائم آبائهم، ولم يتبرّأوا منهم، ولم ينكروا عليهم، ولم يعلنوا رفضهم وبراءتهم عنهم، فنسب الله تعالى إليهم جرائم آبائهم فى قتل الأنبياء.

وتشير السيدة زينب بطلة مأساة كربلاء إلى هذه الحقيقة.

فإنّ هؤلاء شاهدوا أبشع جريمة فى عمل بنى أمية، وأنصع دعوة فى تاريخ الإسلام فى دعوة الحسين عليه السلام، فلم يقفوا مع الحسين عليه السلام وينكروا على طغاة بنى أمية جريمتهم بحق الحسين عليه السلام وأصحابه.

ولم يتبرأوا من فعلتهم، ولم يعلنوا سخطهم وانكارهم وبراءتهم منهم، وآثروا العافية فى كل ذلك على مرضاة الله، فسكتوا ورضخوا وخذلوا إمام المسلمين عليه

السلام... ولا نستثنى منهم إلا الذين عادوا إلى رشدهم وتابوا وأعلنوا غضبهم وخروجهم على بنى أمية بعد ذلک.

فتخاطبهم الحوراء بهذا الخطاب المؤلم الشامل، وبهذا التقريع الشديد العام:

«فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة. . وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون».

«ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمة له أبرزتم؟ وأى دم له سفكتم؟ واى حرمة له انتهكتم؟».

ثم تعمّهم بالدعاء بعد أن عمّتهم الجريمة:

«فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعى، وتبت الأيدى، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة».

4 - الإمهال فى العذاب

وتنذرهم ابنة على عليه السلام فى هذا الخطاب بعذاب الدنيا وأليم عذاب الآخرة:

أفعجبتم إن مطرت السماء دماً.

((وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)).

وأى عذاب هذا العذاب؟ أن تمطر السماء دماً، ثم تنذرهم بأنّ عذاب الآخرة أشد وآلم.

ثم تنذرهم مرة أخرى أن لا يغرّنهم، ولا يستخفّنهم تأجيل العذاب عنهم إلى حين، فإنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، تقول عليها السلام:

«فلا يستخفنكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربّكم لبالمرصاد».

ومن أشد ما يعاقب الله تعالى عباده أن يمهلهم ويستدرجهم إلى العصيان والإثم، ويملى لهم، ثم ينقضّ عليهم العذاب، فيأخذهم فجأة، ضحىً وهم يلعبون.

يقول تعالى:

((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ))(1). ((فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ))(2).

فتنذرهم السيدة أن لا يستخفنهم الإمهال فى العذاب، فإنّ الله تعالى لا يحفزه البدار، ولا يستعجل بعذاب عباده، وفى ذلک نقمة وعقاب لمن يستحق النقمة والعقاب فلا يتوب ولا يؤوب إلى رشده فيزداد إثماً، ويستدرجه الإمهال إلى الامعان فى العصيان والإثم.

عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام:

«إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً، فأذنب ذنباً تبعه بنقمة يُـذكِّره الاستغفار، وإذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب تبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عزّ وجل:

((سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ))(3).»(4)

1- سورة آل عمران، الآية 178.

2- سورة الأنعام، الآية 44.

3- سورة الاعراف، الآية 182.

4- بحار الأنوار: 73/ 387.

وما من عقوبة للأمم التى استحقت العقوبة بالعصيان والإثم أشد من الاملاء والإمهال.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام، والكلام فى نهج البلاغة:

«أيها الناس ليراكم الله من النعمة وجلين، كما يراكم من النقمة فرقين، إنّه مَن وسّع عليه فى ذات يده، فلم ير ذلک استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضيّق عليه فى ذات يده فلم ير ذلک اختباراً فقد ضيّع مأمولاً».(1)

ويقول عليه السلام:

«كم من مستدرج بالاحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له».(2)

ولم يطل الإملاء والإمهال الإلهى بهؤلاء القوم الذين أنذرتهم ابنة الزهراء عليها السلام بعذاب الله فى ذلک اليوم الرهيب، طويلاً فما مرَ عليهم سنوات خمس حتى سلّط الله تعالى عليهم المختار رحمه الله فاستتبعهم ولاحقهم والتقطهم وعاقبهم تحت شعار: «الثأر من قتلة الحسين»، ولم يسلم منهم إلا القليل وأذاقهم الذل والخوف والرعب وحر الحديد، ولعذاب الآخرة آلم وأشد وأقسى.

ثم لم يمضِ بعد ذلک سنوات حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف لعنه الله، فأذاقهم الذل والهوان والقتل وسلب منهم الأمان والعافية التى كانوا يطلبونها لدنياهم فخذلوا الحسين عليه السلام، فعاقبهم الله بالحجّاج.

ثم توالت عليهم المحن والنكبات محنة بعد محنة ونكبة بعد نكبة، وتتابع عليهم طغاة بنى أمية طاغية بعد طاغية.

1- نهج البلاغة، حكمة رقم 358.

2- نهج البلاغة، حكمة رقم 116.

5 ـ الإحباط

وتذكّرهم زينب عليها السلام بقوله تعالى:

((وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ...)).(1)و(2)

فقد نقض القوم كل ما شيّدوه وعملوه من قبل، وقد كان فيهم من وقف مع على عليه السلام فى الجمل وصفين والنهروان، ولكنهم نقضوا كل ذلك فى عاشوراء عام (61هـ) بخذلانهم للحسين عليه السلام ووقوفهم إلى جنب الطاغية وقتالهم الحسين، ورضاهم بقتالهم. إن المحافظة على الأعمال الصالحة قد تكون أشق من أصل العمل، وليس بقليل الذين أحسنوا، وعملوا الأعمال الصالحة، ثمّ أفسدوا أعمالهم وأبطلوها.

يقول تعالى:

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (32) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)).(3)

ويقول تعالى:

((وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا)).(4)

1- سورة النحل، الآية 92.

2- النقض يقابل الإبرام، وهو بمعنى افساد ما أحكم من حبل أو غزل. والنكث بمعنى النقض، وكل شىء نقض بعد الفتل فهو أنكاث حبلاً كان أو غزلاً، والآية الكريمة تنهاهم عن أن يكونوا كالمرأة التى تغزل ثم تعود فتنقض ما غزلت وتهدم ما بنت.

3- سورة محمد، الآية 32 - 33.

4- سورة الفرقان، الآية 23.

وكما أن السيئات تحبط الحسنات، كذلک الحسنات تكفّر السيئات وتغطيها.

والقرآن يشير إلى كل من هذين: الاحباط والتكفير، يقول تعالى:

((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)).(1)

ويقول تعالى:

((وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ...)).(2)

فالأعمال، كالأشياء المادية، فيها بناء وهدم، وفيها إعادة بناء ما هدمه الإنسان، وهدم ما بناه.

إنّ السلوک الاجتماعی والسياسی والمالی فی وسط المجتمع من أشق الأمور، فقد يهدم الإنسان فی موقف سياسی أو اجتماعی ما بناه وعمله فی حياته.

وتنصحهم السيدة زينب ألا يكونوا ممّن أحبطوا أعمالهم.

((وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا)).

وألا يتخذوا أيمانهم ومواثيقهم التی أعطوها للحسين عليه السلام من قبل حين سألوه القدوم إليهم، دخلاً وأداة للغدر والخيانة.

وطالما يجدون فرصة للعودة والتوبة إلى الله فعليهم أن يعودوا ويتوبوا إلى الله عن الخذلان والتقصير، الذی حصل منهم تجاه دعوة سيد شباب أهل الجنة.

1- سورة الأنفال، الآية 29.

2- سورة هود، الآية 114.

ولئن كـان فى كلمات السـيدة زينب عليها السـلام تقريع موجع يعبّر عن آلام بطلـة مأساة كربلاء... فإنّها (عليها السـلام) تفتـح لهم طريق العودة إلى الله مرة أخرى، وان يؤوبوا إلى أنفسـهم، ويسـتغفروا الله، ولئن فـاتهم أن ينصـروا الحسـين عليه السـلام فلاـ يفوتهم أن يثأروا له وللكوكبة الصالحة التى خرجت معه، وأن ينتقموا من الظالمين الذين أكثروا الفساد فى الأرض.

6 - علاقة الكوارث الكونية بسيّئات الناس

اشارة

نجد فى كلام السـيدة زينب عليها السلام إشارتين جديرتين بالتوقف والتأمّل فى علاقة الكوارث الكونية والعذاب الإلهى النازل على الأرض بسيّئات الناس وذنوبهم.

فهى تخاطبهم منـذرة إيّاهم من عـذاب الله: أتـدرون أى كبـد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمـة له ابرزتم؟ وأى دم له سـفكتم؟ واى حرمـة له انتهكتم؟

((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)).(1)

ثم تقول بعد ذلک، وفى نفس السـياق: «ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض، وملء السماء، أفعجبتم ان مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى».

1- سورة مريم، الآية 89. الآية الكريمة من سورة مريم: 89، وهى بصدد تهويل الشـرک بالله، وأن بالشرک بالله تكاد السماوات أن تتفطر وتكاد الأرض أن تنشق وتكاد الجبال أن تسقط (تخر) هدّاً (أى هدماً) يعنى تكاد أن تنهدم الجبال وتتساقط. و(الإد) الذنب الفظيع، وواضح أن الآيـة الكريمـة بصـدد التهويل، وتحسـيس المشـركين بهـذه المظاهر الكونية المحسوسة على عظم الجريمة، ولكنها واضـحة فى علاقة العذابات الكونية كالزلازل والكوارث الكونية بسيّئات أعمال الناس وجرائمهم.

الكوارث الكونية عند مصرع الحسين عليه السلام

وقد استفاضت الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر أم المؤمنين أم سلمة رحمها الله بمصرع الحسين عليه السلام وأودع عندها قارورة، وعرّفها أنها إذا فاضت دماً فهو علامة مصرع ولده الحسين عليه السلام... فلمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق كانت أم سلمة تنظر إلى القارورة كل يوم، وتقول: إنّ يوماً تتحولين إلى دم ليوم عظيم.

فرأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اليوم العاشر من المحرم فى المنام أشعث، مغبرّاً، وعلى رأسه التراب، فقالت له: مالى أراك يا رسول الله مغبراً؟!

فقال لها: قتل ولدى الحسين عليه السلام، ومازلت أحفر القبور له ولأصحابه، فانتبهت من منامها مذعورة، فبادرت إلى القارورة التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علامة لها فإذا بها تفور دماً.

فنادت أم سلمة: قتل الحسين، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، فأقبلوا النساء عليها، وقلنَ لها: (من أين علمت ذلک فأخبرتهنّ برؤياها، وتصارخت النسوة، حتى ضجت المدينة، وهذه الرواية معروفة وقد ذكرها جملة من المؤرخين».(1)

وقال ابن حجر الهيتمى فى الصواعق المحرقة: (ومما ظهر يوم قتله عليه السلام من الآيات أيضاً أن السماء اسودّت اسوداداً عظيماً، حتى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط).(2)

1- منهم ابن عساكر فى تاريخ دمشق: 13/85 و4/340، واليافعى فى مرآة الجنان: 1/134، وأحمد فى (المسند): 1/242، وابن الأثير فى الكامل: 4/38، والخوارزمى فى المقتل: 2/95، والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى: 148، والسيوطى فى تاريخ الخلفاء: 139، وابن حجر فى تهذيب التهذيب: 2/355. والشيخ الطوسى فى الأمالى: 3/56، والطريحى فى (المنتخب): 235، والسيوطى فى (الخصائص): 2/126، ومصادر أخرى أخذناها من مقتل الحسين للعلامة الفقيد السيد عبد الرزاق المقرّم (ره): 343.

2- الآصفى: الخطاب الحسينى، نقلاً عن مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: 345.

يقول السيد عبد الرزاق المقرّم فى المقتل:

(أظلمت الدنيا ثلاثة أيام واسودّت سواداً عظيماً حتى ظن الناس ان القيامة قامت وبدت الكواكب نصف النهار ولم ير نور الشمس.

والروايات التاريخية فى ذلک متضافرة، تناقلها أئمة التاريخ والسيرة، وحفّاظ الحديث النبوى، ولا نريد أن نسهب فى هذا الأمر أكثر من هذا الحد.

الكوارث الكونية وعلاقتها بسيئات الناس فى القرآن

والقرآن صريح وواضح بعلاقة الكوارث الكونية بسيئات أعمال الناس. وإليک هذه الآيات من كتاب الله:

يقول تعالى:

((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)).(1)

ويقول تعالى:

((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)).(2)

ويقول تعالى:

((أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِى الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ)).(3)

1- سورة الشورى، الآية 30.

2- سورة الروم، الآية 41.

3- سورة المؤمن، الآية 21.

ویقول تعالی:

((وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِکَ قَرْیَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِیهَا فَفَسَقُواْ فِیهَا فَحَقَّ عَلَیْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِیرًا)).(1)

ویقول تعالی:

((کَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْیَاهَا (13) فَکَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَیْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا یَخَافُ عُقْبَاهَا)).(2)

وقال تعالی:

((أَلَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهَا فِی الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِینَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتَادِ (10) الَّذِینَ طَغَوْا فِی الْبِلَادِ (11) فَأَکْثَرُوا فِیهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصَادِ)).(3)

ویقول تعالی فی قوم:

((مِمَّا خَطِیئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ یَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا)).(4)

1- سورة الإسراء، الآیة 16.

2- سورة الشمس، الآیات 11 - 14.

3- سورة الفجر، الآیة 6 - 14.

4- سورة نوح، الآیة 25.

النعمة وعلاقتها بالتقوى

والعكس أيضاً صحيح، فكما تنزل الكوارث والنقم بسيئات أعمال الإنسان، كذلك تنزل النعم والخيرات والبركات على الأرض بحسنات أفعال الناس.

وكما تكون الآثام والمعاصي سبباً في نزول الكوارث من زلزلة وصاعقة وفقر وبأس وابتلاء وأمراض وحروب كذلك تكون التقوى سبباً لنزول الرحمة، من لدن الله إلى الأرض، ويفتح الله تعالى على الناس بالتقوى بركات الأرض والسماء.

يقول تعالى:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)).(1)

والسنّة الإلهية العامة في هذا وذاك انّ الله تعالى لا يغير ما بالناس من نعمة ورحمة أو ابتلاء وشدّة إلا بسيئات أعمالهم وحسناتها، فإذا حسنت أعمالهم أحسن الله إليهم، وإذا ساءت أعمالهم عاقبهم الله تعالى فساءت أحوالهم.

يقول تعالى:

((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ)).(2)

ويقول تعالى:

((ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ)).(3)

1- سورة الأعراف، الآية 96.

2- سورة الرعد، الآية 11.

3- سورة الأنفال، الآية 53.

وهاتان الآيتان واضحتان فى الدلالة على العلاقة بين أحوال الناس وأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبين أعمالهم، فإذا ساءت أعمالهم ساءت أحوالهم وأوضاعهم، وإذا حسنت أعمالهم طابت وحسنت أوضاعهم وأحوالهم.

العلاقة بين العمل والجزاء

ولا نريد أن نترك هذا الحديث قبل أن نتطرق إلى القانون العام الشامل لكل ما ذكرناه، وهو علاقة العمل بالجزاء فى المعايير الإلهية.

إنّ الجزاء الوارد فى النصوص الإسلامية من كتاب وسنّة من قبيل نتائج الأعمال وآثارها التكوينية، وليست من قبيل العلاقة بين العمل والجزاء فى الدنيا. فإنّ العلاقة بين العمل والجزاء فى الدنيا علاقة قانونية تدخل فى دائرة التقنين والتشريع، ويختلف الجزاء من أمة إلى أخرى، حسب اختلاف القوانين والتشريعات، فقد تكون القوانين متسامحة فى تقدير العقوبة، فتكون العقوبة هيّنة، وقد تكون القوانين متشدّدة فتكون العقوبة شديدة وقاسية.

ولكن الجزاء فى الآخرة، عقوبة ومثوبة، من قبيل النتائج والآثار التكوينية للأعمال، ولا تدخل فى حقل القرارات التشريعية... ومثل ذلك فى الدنيا أن من لا يتحفظ على صحته ولا يحتمِ يمرض. والمرض هنا نتيجة عدم الاحتماء، والتاجر الذى يهمل الحركة فى السوق يصيبه الفقر والخسران. والفقر والخسارة نتيجة لانعدام السعى والحركة فى السوق. والطالب الذى يكسل عن الدراسة ولا يجتهد فى الدرس يفشل فى الامتحان، والذى يسعى ويجتهد ينجح ويتقدم.

كذلك العلاقة بين العمل والجزاء فى الآخرة من هذا القبيل، وكذلك فى الدنيا، فى غير العقوبات التشريعية التى تدخل فى دائرة التقنين والتشريع.

7 - ما يقدمه الإنسان بين يديه إلى الله

تقول الحوراء زينب عليها السلام فى خطابها لأهل الكوفة:

«ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون».

وهذه الفقرة من كلام السيدة مقتبسة من قوله تعالى:

((تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)).(1)

وهذه النقطة من كلام السيدة عليها السلام ذات علاقة بالنقطة السابقة، فى علاقة العمل بالجزاء. إنّ جزاء عمل الإنسان فى الآخرة هو نتيجة عمله فى الدنيا، وهذه النتيجة هى باطن عمل الإنسان تتراءى له فى الدنيا بغير هذه الصورة، وتتجلى له فى الآخرة بصورته الحقيقية. حيث يكشف عن بصر الإنسان، فيرى واقع عمله وباطنه الذى كان يخفى عليه فى الدنيا. يقول تعالى:

((لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)).(2)

وكأنّ الإنسان كان فى غفلة من حقيقة السيئة وواقعها وجوهرها فارتكبها، فلمّا كُشِفَ عن عينه الغطاء بالموت وجد ما غفل عنه.

إنّ مال اليتيم الذى يأكله الناس حراماً، ظاهره ذهب وفضة ومتاع وضياع، وباطنه نار يغفل عنها الإنسان، فإذا حل به الموت وكشف عن عينيه الغطاء، عرف ما غفل عنه فى الدنيا.

1- سورة المائدة، الآية 80.

2- سورة ق، الآية 22.

يقول تعالى:

((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)).(1)

إنّ الناس لا يرون من هذه النقود والضياع فى الدنيا إلا ظاهرها، فإذا ماتوا عرفوا ما غفلوا عنه وعرفوا أنّ الذى أكلوه من أموال اليتامى كان ناراً فى بطونهم.

وان الثمن البخس الذى يبيع به علماء أهل الكتاب ما عرفوا من التوراة والانجيل فأخفوه عن الناس وتكتّموا به... إنّ لهذا الثمن البخس الذى تلقوه إزاء هذا الكتمان ناراً فى بطونهم غفلوا عنه فى الدنيا، فإذا ماتوا عرفوا به:

((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)).(2)

ويقول تعالى:

((... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)).(3)

إنّ تعبيرات القرآن فى هذه النقطة واضحة وصريحة مثل:

1- سورة النساء، الآية 10.

2- سورة البقرة، الآية 174.

3- سورة التوبة، الآيتان 34 - 35.

((هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ)) ((إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا)) ((مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ)).

وأمثال ذلک، وهی تأبی الحمل علی المجاز. وهـذا هو باطن عمل الإنسان وجوهره الذی کان یخفی علیه فی الدنیا. وما یصدر عن الإنسان من عمل من خیر وشر، یبقی ولا ینعدم، فإذا مات الإنسان أحضره الله تعالی عنده، فوجد ما عمله من خیر أو شر حاضراً.

((یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ...)).(1)

هـا هنا یجـد الإنسان عمله حاضـراً أمامه بعینه، فإذا کان عمله سوءاً تمنی أن یکون بینه وبین عمله أمـد بعیـد، وان یتخلص من عمله، ولکن هیهات

((... تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَهَا وَبَیْنَهُ أَمَدًا بَعِیدًا وَیُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ))(2).

وجزاء الإنسان فی الآخرة بنفس عمله، وعمله جزاؤه.

یقول تعالی:

((... لَا تَعْتَذِرُوا الْیَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا کُنتُمْ تَعْمَلُونَ)).(3)

ویقول تعالی:

((... ثُمَّ تُوَفَّی کُلُّ نَفْسٍ مَّا کَسَبَتْ...)).(4)

1- سورة آل عمران، الآیة 30.

2- سورة آل عمران، الآیة 30.

3- سورة التحریم، 7.

4- سورة البقرة، الآیة 281.

وفی سورة الإسراء نلتقی آیة عجیبة فی کتاب الله:

((وَکُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ کِتَابًا یَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) اقْرَأْ کَتَابَکَ کَفَی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیبًا)).(1)

و(الطائر) هو (العمل). ویوم القیامـة یجعل الله أعمال الناس فی أعناقهم، وهو کتابهم الـذی یعکس أعمالهم، إنّ أعمالهم هو کتابهم الذی یلقون به الله تعالی، والإنسان هو الذی یقرأ کتابه یومئذٍ، لا غیره ((اقْرَأْ کَتَابَکَ)) وهو الذی یحاسب نفسه ویحکم علی نفسه:

((کَفَی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیبًا)).

إذن جزاء الإنسان هو عمل الإنسان، باطن عمل الإنسان، وهذا الباطن کان قائماً فی الدنیا غیر أن الإنسان کان غافلاً عنه.

فإذا مات الإنسان انکشف باطن عمله، وأُحضر عمله إلیه، ویری الإنسان عندئذٍ عمله الذی قدمه لنفسه، یقول تعالی:

((یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّیُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَرَهُ (7) وَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ)).(2)

إنّ الإنسان یومئذٍ یری عمله من خیر أو شر، فإذا عمل خیراً رآه أمامه، ولو کان مثقال ذرة من الخیر.

ومن عمل شرّاً یره أمامه، ولو کان مثقال ذرّة من الشّر، فإنّ المیزان والحساب دقیق، غیر أن الله رؤوف بعباده رحیم.

1- سورة الإسراء، الآیتان 13 - 14.

2- سورة الزلزلة، الآیات 6 - 8

فما يعمله الإنسان من عمل فى الدنيا من خير أو شر، إنّما يقدمه الإنسان لنفسه فى الآخرة فإذا مات وجده أمامه.

يقول تعالى:

((...وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ)).(1)

وهنا (الإمام المبين) لا يغفل عن شىء قدمه الإنسان أبداً فهو يحصى كل صغيرة وكبيرة مما قدمه الإنسان لنفسه إحصاءً دقيقاً.

((وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ)).(2)

وتأمّلوا فى هذه الآية من كتاب الله:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)).(3)

حيث يأتى الأمر بأن ينظر الإنسان فيما يقدمه لآخرته، بعد الأمر بالتقوى وقبله، وهو يستوقف الإنسان طويلاً، فإذا كان ما يعمله الإنسان من عمل هو ما يقدّمه لغد، فما أحراه بأن يتقى الله تعالى فى عمل يعمله من صغير وكبير.(4)

السلام على من أصبح حرمها موئل آمال الآملين وملتقى وفود الزائرين ويتمسك بضريحها جميع المحبين والمحتاجين ويأتمّ بقبرها الخلائق فى كل حين.

1- سورة يس، الآية 12.

2- سورة البقرة، الآية 110 والآية 223.

3- سورة الحشر: الآية 18.

4- الآصفى، آية الله الشيخ محمد مهدى، الخطاب الحسينى، المرحلة الثانية للثورة الحسينية، ص74.

المصادر

1. ابن طاووس، اللهوف فی قتلی الطفوف.

2. آیة الله الشیخ محمد مهدی الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحلة الثانیة للثورة الحسینیة.

3. بنت الشاطیء, بطلة کربلاء.

4. د. أحمد علی کنعان، أدب الأطفال والقیم التربویة.

5. السید حسین معن، الإعداد الروحی.

6. السید محمد باقر الحکیم، دور المرأة فی النهضة الحسینیة.

7. عبد الحسین أحمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّة والادب.

8. عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسین علیه السلام.

9. عبد الوهاب الکاشی، مأساة الحسین بین السائل والمجیب.

10. العلامة السید مرتضی العسکری، معالم المدرستین.

11. کفاح الحداد النجاح فی عالم المرأة.

12. کفاح الحداد، المرأة والعمل السیاسی.

13. مؤسسة البلاغ، الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

14. مؤسسة البلاغ، زينب وفاجعة كربلاء.

15. مؤسسة البلاغ، نساء المثل الأعلى.

16. مجموعة باحثين، مجلة المنعطف، العدد 15/ 16.

17. مجموعة مؤلفين، المرأة فى الفكر الإسلامى المعاصر، كتاب المنهاج.

18. محمد جواد مغنية، الحسين وبطلة كربلاء.

19. محمد مهدى الآصفى، فى رحاب الإمام الحسين عليه السلام.

20. محمد مهدى شمس الدين، ثورة الحسين.

21. مرتضى مطهرى، الملحمة الحسينية.

22. المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

المحتويات

الاهداء. 5

مقدمة اللجنة العلمية. 6

المقدمة. 8

الفصل الأول

المرأة قبل الطفوف

1 – المرأة فى العصر الجاهلى.. 15

2 – المرأة فى العصر النبوى (العصر الذهبى). 17

3 – المرأة فى عصر خلافة الشيخين.. 29

4 – المرأة فى العصر الأموى.. 43

الفصل الثانى

نساء الطفوف

لماذا حمل الإمام نساءه وعياله إلى كربلاء؟. 61

أدوار النساء فى ملحمة الطفوف... 69

1 – دور نصرة الثورة ودعمها بشتى الوسائل... 69

ألف – دور حرائر أهل البيت فى نصرة الإمام الحسين عليه السلام ونصرة ثورته. 69

باء – دلهم بنت عمير. 71

جيم – دور طوعة فى نصرة مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام. 74

ص: 266

دال – دور ام وهب فی نصرة آل البیت علیهم السلام. 75

هاء – ام عمرو بن جنادة الانصاری.. 77

واو– دور مارية بنت منقذ العبدی.. 77

زاء – دور النساء النادبات علی الإمام علیه السلام فی منع تعیین عمر بن سعد والیاً علی الکوفة. 79

حاء – ام سلمة تبکی الإمام علیه السلام. 80

طاء – مجالس العزاء. 82

2 – دور المتابعة والحمایة. 82

3 – الدور القیمی... 89

ألف . الدفاع عن المقدس... 91

باء . قیم حمایة المرأة. 96

1 – منع الإمام الحسین علیه السلام النساء من القتال.. 97

2 – خاطب الإمام الأعداء بان لا یتعرضوا للنساء فهو الذی یقاتل... 97

3 – حفر الخندق حول الخیام. 98

4 – منع النساء من الخروج من الخیام حتی استشهاده علیه السلام. 98

5 – مراعاة مشاعر النساء. 99

جیم . ادب التعامل مع المصاب الجلل.. 103

دال . ایثار المصلحة العامة علی المصلحة الخاصة. 106

1 . الأم تحث ولدها علی الشهادة لنصرة الإمام. 108

2 . ام عمرو بن جنادة الانصاری... 108

3 . دلهم تحث زوجها علی الالتحاق بالحسین علیه السلام. 108

هاء . القيم الانسانية والاخلاقية. 109

أ- قيمة الوفاء. 109

ب – قيمة استنكار الظلم.. 110

ج – قيمة الصدق... 114

د – قيمة حفظ العز.. 114

هـ – قيم العطاء. 114

و – قيمة الإيثار والتضحية. 115

ز – قيمة الصبر.. 116

واو . قيم تكامل الشخصية. 117

أ – التكيف الذكى... 117

ب – التصميم والإرادة. 118

ج – الأمل بالمستقبل... 119

د – الثقة بالنفس..... 119

هـ – الجرأة الشخصية. 119

4 – الدور الإعلامى... 120

المرحلة الأولى.. 122

ألف – مجیء النساء إلی أرض المعرکة بعد الاستشهاد. 122

باء – عند باب الکوفة. 125

جیم – فی مجلس ابن زیاد. 133

المرحلة الثانیة من الدور الإعلامی.. 137

محطات من خطاب السیدة زینب علیها السلام فی قصر یزید.. 141

المرحلة الثالثة من الدور الإعلامی.. 145

ألف – القسم الأول.. 145

باء – القسم الثانی... 147

الدور الإعلامی فی المیزان.. 151

5 – روایة المقتل الحسینی... 157

6 – اعلان الحزن العام (الحداد الرسمی). 159

السبی.. المأساة الکبری.. 161

الفصل الثالث

نساء الطفوف فی دائرة الضوء

الموازنة بین أدوار الجنسین.. 177

العنف السیاسی ضد نساء الطفوف.... 179

التعامل مع الضغوط... 181

غیاب الشکوی... 183

المهارات الحیاتیة. 184

1 – مهارات الحوار. 184

2 – مهارة التعاون والمشاركة. 185

3 – مهارة الاتصال الشفوى والتواصل اللفظى.. 185

4 – مهارة التعاطف.... 185

5 – مهارة الاقناع عبر تقديم الدليل والبرهان.. 185

6 – مهارة اتخاذ القرار وحل المشكلات... 186

7 – مهارات إدارة المشاعر. 186

الضبط العاطفى... 186

الاستقلالية. 190

نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح.. 192

الإمام الحسين رائد الإصلاح... 195

ص: 268

غياب أم حضور.. 197

دور المرأة فى صناعة التاريخ... 197

نساء بين النهضتين.. 203

ما بين نساء الانتظار ونساء الطفوف.... 203

نساء الطفوف.. القدوة الخالدة. 212

السيدة زينب عليها السلام .. المثل الأعلى للمرة المسلمة. 212

نساء الطفوف ... القدوة الحسنة. 214

الشهيدة بنت الهدى ..نموذج معاصر.. 217

كيف تبقى صورهم فى الذاكرة. 219

الفصل الرابع

سيدة الطف الأولى

السيدة زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام. 225

مناقبها الفاضلة. 226

زواجها المبارک..... 227

زينب... المرأة الصابرة. 228

تأملات فى خطاب السيدة زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد. 239

1 - الشجب والتأنيب والتقريع. 239

2 - عاقبة الخذلان.. 239

3 - التعميم فى الخطاب... 239

4 - الإمهال فى العذاب... 239

5 – الإحباط.. 239

6 – علاقة الكوارث الكونية بسيّئات الناس... 239

الكوارث الكونية عند مصرع الحسين عليه السلام. 239

الكوارث الكونية وعلاقتها بسيئات الناس فى القرآن.. 239

النعمة وعلاقتها بالتقوى... 239

العلاقة بين العمل والجزاء. 239

7 – ما يقدمه الإنسان بين يديه إلى الله.. 239

المصادر. 239

ص: 269

اصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدى الخرسان

السجود على التربة الحسينية

1

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية

2

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو

3

الشيخ على الفتلاوى

النوران ـــــ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــ الطبعة الأولى

4

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى ـــ الطبعة الأولى

5

الشيخ على الفتلاوى

الإمام الحسين عليه السلام فى وجدان الفرد العراقى

6

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

7

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

8

الشيخ وسام البلداوى

إبكِ فإنك على حق

9

الشيخ وسام البلداوى

المجاب بردّ السلام

10

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيدية

11

السيد عبدالله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن

12

الشيخ جميل الربيعى

الزيارة تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

13

لبيب السعدى

من هو؟

14

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟

15

الشيخ على الفتلاوى

المرأة فى حياة الإمام الحسين عليه السلام

16

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

17

السيد محمدحسين الطباطبائى

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)

18

ص: 270

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الصغرى

19

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الكبرى

20

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ج1

21

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ج2

22

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ج3

23

الشيخ وسام البلداوى

القول الحسن فى عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

24

السيد محمد على الحلو

الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة

25

الشيخ حسن الشمرى

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

26

السيد نبيل الحسنى

حقيقة الأثر الغيبى فى التربة الحسينية

27

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيرة النبوية

28

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء والحوار والمناظرة

29

علاء محمدجواد الأعسم

التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

30

السيد نبيل الحسنى

الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام

31

السيد نبيل الحسنى

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)

32

الدكتور عبدالكاظم الياسرى

الخطاب الحسينى فى معركة الطف ـــــ دراسة لغوية وتحليل

33

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدى

34

الشيخ وسام البلداوى

السفارة فى الغيبة الكبرى

35

السيد نبيل الحسنى

حركة التاريخ وسننه عند على وفاطمة عليهما السلام (دراسة)

36

السيد نبيل الحسنى

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء ـــ بين النظرية العلمية والأثر الغيبى (دراسة) من جزءين

37

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــــ الطبعة الثانية

38

شعبة التحقيق

زهير بن القين

39

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

40

الأستاذ عباس الشيبانى

منهل الظمآن فى أحكام تلاوة القرآن

41

السيد عبد الرضا الشهرستانى

السجود على التربة الحسينية

42

السيد على القصير

حياة حبيب بن مظاهر الأسدى

43

ص: 271

الشيخ على الكورانى العاملى

الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها

44

جمع وتحقيق: باسم الساعدى

السقيفة وفدک، تصنيف: أبى بكر الجوهرى

45

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعة الألوف فى نظم تاريخ الطفوف ـــ ثلاثة أجزاء

46

السيد محمدعلى الحلو

الظاهرة الحسينية

47

السيد عبدالكريم القزوينى

الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام

48

السيد محمدعلى الحلو

الأصول التمهيدية فى المعارف المهدوية

49

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹